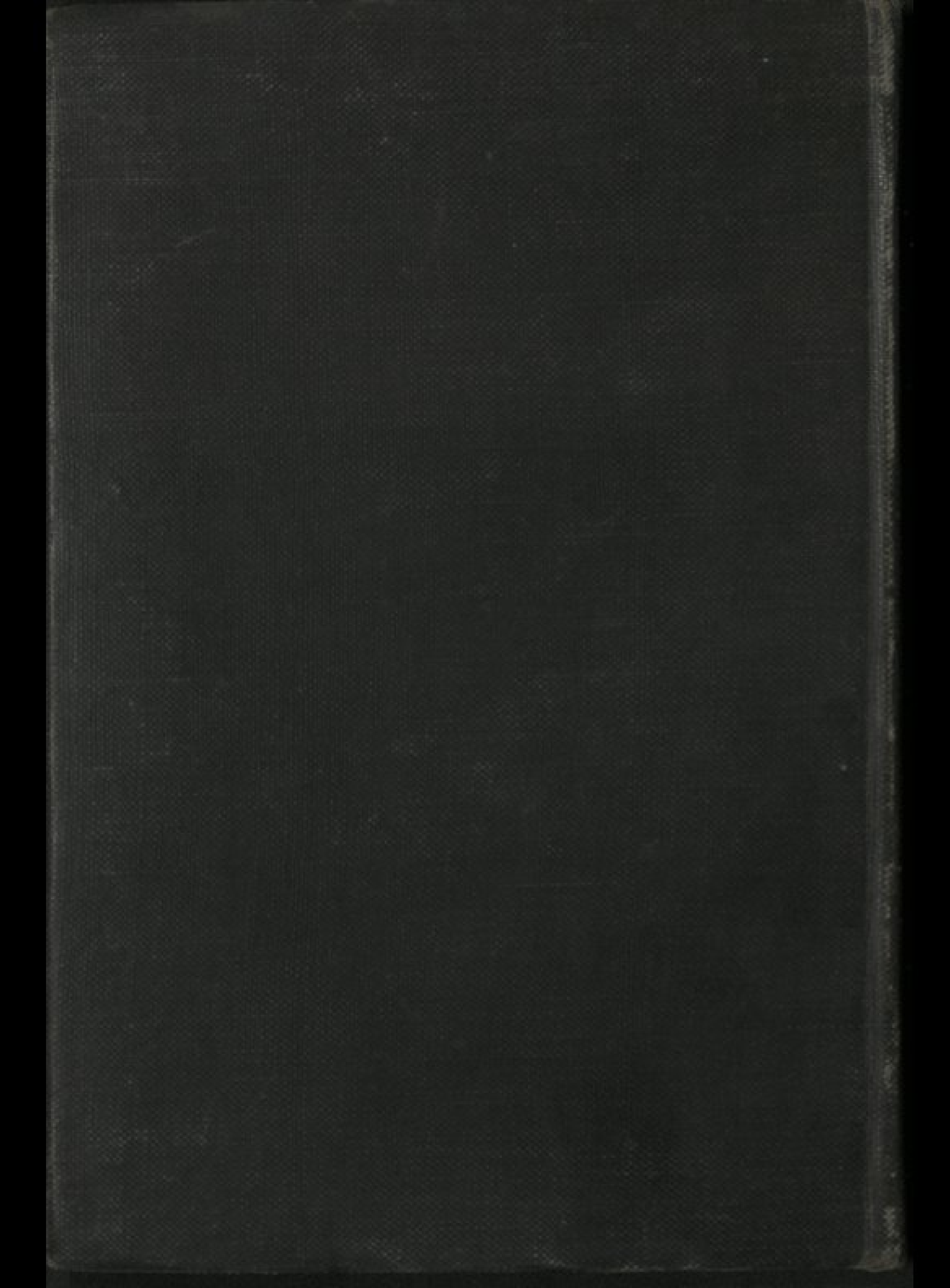




سلسلة مطبوعات [الاهلية]

العراق الجديد

تأليف

عمر أبو النصر

الطبعة الاولى – بطبعة دار الاحد ١٣٥٦ هـ – ١٩٣٧ م



صاحب الجلالة الملك غازي الاول ملك العراق



صاحب السمو الملكي الامير فيصل ولي عهد العراق — وهي آخر صورة له —



صورة ثانية لصاحب السمو الملكي الامير فيصل ولي عهد العراق

صاحب السمو الملكي

الامير فيصل ولي عهد العراق



يبلغ الامير فيصل السنة الثانية من عمره في اليوم الثاني من شهر مايس ١٩٣٧ وهو بعد طفل قوي البنية جري. لا يعرف التعب، ولا يستخذي الى الراحة والنوم، باسم للحياة ابداً، ضاحك للشمس دائماً . .
لايكاد يبكي حتى حين يقع الى الارض في محاولته السير بنفسه ووحده .
ولا تزال معارفه من الكلمات قليلة محدودة ، ولكنه قد اكتسب حتى الان كثيراً من الكلمات العربية من صاحبي الجلالة ، وبعض الكلمات الانكليزية من مربيته الانكليزية .

وكانت آخر الكلمات التي اكتسبها يوم كنت في بغداد في شهر كانون الثاني ١٩٣٧ ، كلمتي (دكتور) ، و (بطاطا) ، ولكنه لم يوفق كما يظهر الى التمييز بينهما ، لانني علمت انه في يوم من الايام قد استقبل طبيبه الانكليزي الخاص بكلمة (بطاطا) بدلا من (دكتور) .

وسمو الامير الطفل لطيف المعشر ، يضحك للغريب ولا يرى كبير امر في محاولة الزائر ان يتحبب اليه ، فلا يتهرب منه ، ولا يفزع من تحيته

اليه ، وهو يحب والديه صاحبي الجلالة حباً عظيماً، وهما الى ذلك لا يألوان جهداً في الجلوس اليه والعبث معه ، ما كان الى ذلك سبيل ، وتمكنا من التفرغ من واجبات الملك وتقاليد القصر ، كما انه يقدر اخلاص مربيته الانكليزية له وخدمتها لسموه منذ نشأته حتى اليوم .

والامير الصغير الى ذلك يظهر اهتماماً خاصاً بالالعاب الميكانيكية فكأنه يترسم خطوات جلالة والده في هذه الرغبة، وهو يفضل هذه الالعاب على سواها ، واعظم سروره حين يوفق للوصول الى زر يبرمه بيديه ويتكلف تحريكه وتقليبه .

وصحة الامير جيدة جداً ، وهو ينعم بشهية حسنة ، ولا يكره من الاطعمة الا شيئاً قليلا ، ويفضل اللبن من الاطعمة على غيره ، وكما يأكل بشهية ينام ايضاً برغبة ، فاذا اضفنا الى هذين العاملين ابتسامته الدائمة وحبه للمرح والسرور وقفنا على الاسباب الثلاثة التي تجعل من الامير طفلاً نشيطاً صحيح الجسم ، قوي العضلات . . .

والذين كان لهم شرف الاجتماع بالامير الصغير لا بد وانه قد استرعاهم هذا الشبه العجيب بين سموه وبين جده الكبير سيد ملوك العرب المرحوم فيصل الاول . . .

اطال الله عمر سموه ، وجعل حياته هناء متصلا ، موفور السعادة مانع الاشراق ، واقر عيني صاحبي الجلالة به ، واسعد في حياته الغالية العراق والبلاد العربية

الوزارة



حكمت بك سليمان
رئيس الوزارة



جعفر جلبي ابي التمن
وزير المالية

ناجي بك الاصيل
وزير الخارجية



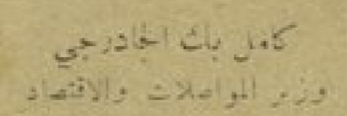


الفريق عبد اللطيف نوري باشا
وزير الدفاع



يوسف بك ابراهيم
وزير المعارف





كامل بك الجادرجي
وزير المواصلات والاقتصاد



الفريق بكر صدقي باشا رئيس اركان حرب الجيش العراقي

لم نتمكن من الوصول الى صورة صاحب المعالي صالح بك جبر وزير العدلية العراقية فنأسف لذلك كل الاسف لاننا كنا نريد ان نزين كتابنا بصورة تمثل شخصه الكريم

اهداء الكتاب

الى

العراقي المجهول

الذي حرره سيد العرب فيصل الاول من الاستعباد السياسي

والذي يسعى اليوم جلالة الملك غازي الاول، ورجال الوزارة الحاضرة لتحريره، من الاستعباد الاقتصادي والاجتماعي، بحيث يصبح انساناً منظوراً، له ما لغيره من ابناء العراق وعليه ما عليهم، بعد ان مضت اجيال لا يفطن لوجوده احد، ولا تفكر في شأنه حكومة!!!

مقدمة الكتاب



حاولنا في هذه الصور العراقية العربية الصادقة التي سويناها كتاباً ، ان ننقل الى شباب العرب في مختلف الاقطار الواناً من التضحية والاخلاص والاحسان والاعمار في العراق الجديد ، كما حاولنا القضاء على هذه الشوائع التي اراد بعض اعداء العربية ترويجها عن الشيوعية والماركسية في العراق ، وليس في العراق شيء من هذا ، الا اذا كان التجديد والاصلاح والعدل ، والمساواة بين افراد الرعية في الواجبات والحقوق يعد شيوعية وماركسية ، ونظن بعد هذا اننا قد وفقنا في هذه الصور الى حد بعيد ، وسيرى القارىء في الفصول التي تلي ، ان العراق لا يزال عربيا خالصاً ، وان جذوره ما تزال متصلة بجذور كل موطن تجلله رايات محمد ، وان الوزارة الحاضرة اذا وفقت الى اقرار مشاريعها العمرانية الضخمة التي نذر رئيسها واعضاؤها انفاذها ، ستذهب بفخر الاجيال وستخلق العراق خلقاً جديداً يعيد اليه سالفات حضارته ، وماضيات امجاده ، وان التاريخ سوف يحمل لهم في صدره اجمل الصور ، واكرم الذكرى ، وسوف يشي اسمهم في العراق ، وكأنه الربيع الاخضر

وكذلك اراد الله لنا ان ننبعث ، وشاء لنا ان نبذل الجهد ، ونصرف مختلف القوى في اعادة العهود السالفة والحضارات الماضية ، كأحسن ماتكون

وانضر ما يكون،وشاء القدر الى هذا كله ان يقف في وجوه العاملين المخلصين قوم بعدت بينهم وبين التضحية والاخلاص الشقة ، فلا يفطنون الى تبدل الزمن ولا يرضون عن الحياة الاستبدادية بديلاً،فهم ابداً في وجه كل مخلص،وهم ابداً يحاربون التجديد والاعمار والانشاء ، لا يفرضون لاصلاح وجوداً ، ولا يرغبون في مصلحة عامة ، وتحرير قومي، ولا يرضون باستقلال ولا حرية . . .

وشباب العرب في تشميرهم للاصلاح ، وفي مطالبتهم بالحريات والاستقلال مجبرون حتماً على مجابهة هذه العصبة الخطرة، مضطرون الى مقاومتها بكل ما لديهم من سلاح وبأس وقوة، لان وجودها بقاء لكل الامراض السالفة ، والاوبئة السابقة ، والاضطهاد والاستعباد وما يتصل بهذا من تأخر وخصومة واختلاف .

ثم ان البلاد العربية مجبرة على العناية بشأن المرأة العربية . . .
لانه من المفروض ان امة تريد ان تحيا وان تأخذ مكانها تحت الشمس انما تعبث بعقلها وكرامة تفكيرها اذا ظنت انها بالغة من ذلك بعض ما تريد ونصفها أشل ، وكيف يرقى الرجال اذا لم يرقَ النساء ؟ وكيف ينتظم حال بيت تديره امرأة جاهلة ، لا رأي لها في الحياة ولا كرامة ولا خطر ، وكيف نريد للامة رجالا صالحين اكفاء للحياة المجيدة القوية، اذا كان يتولاهم في بدء شأنهم، ويطبع تفكيرهم، امهات جاهلات، وضيعات التفكير . . .

واخيراً يجب ان تعلم شعوب الشرق العربية ان الحريات لا تؤخذ عفواً ولا يصل اليها المرء ارتجالاً ، وانما هي عمل شاق ، ومسؤوليات ضخمة وان الشرق العربي اليوم في غير موقفه السابق ،فسيخطيء. وتعد عليه غلطاته، وسيغرق اعداؤه في تعداد الخطيئات والاغلاط ، وسيتعجلون في الحكم عليه

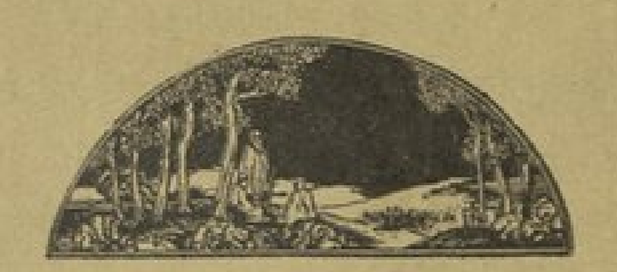
ويروجون الى فشل التجربة الاستقلالية ، فعلى الامم العربية ان تعرف كل هذا وان تعلم ان هذا الاستقلال الذي وصلت اليه محوط بعقبات كثيرة ، لا سبيل للتغلب عليها الا بانصرافها جماعة واحدة للبناء والاعمار والاحسان ، وعلى القادة الذين يحملون اعباء الحكم اليوم ان يدركوا خطورة الواجبات الملقاة على عاتقهم ، وضرورة الاخذ بسياسة العدل والانصاف والتضحية والاخلاص .

يجب ان تفهم كل امة في الشرق ان واجبها بعد المعاهدة اشق وادق من واجبها في طلب الاستقلال ، فالمطالبة بالاستقلال قد تكون في نداء وقد تكون في مظاهرات ، وقد تكون في عمل سلبي ، اما بعد المعاهدة فلا بد من اعمال ايجابية لاحد لها ، ولا بد من ايد كثيرة تبني ، ولا بد من نفوس كثيرة تضحى .

ان اعمالنا في المطالبة بالاستقلال اعمال هدم لنظام الاحتلال واعمال اعاقة لسيره ، اما اعمال الامة اليوم فاعمال بناء ووضع اسس ، ولا شك ان البناء اصعب من الهدم ، ووضع الاساس اشق اعمال البناء .

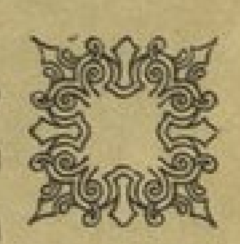
يجب ان يستشعر كل فرد في الامة ان واجبه اشق واجب ، ولعله واجب لم تحمله الاجيال قبله ، ولن تحمله الاجيال بعده ، فمن قبلنا الى قرون مضت ، كانوا قد استسلموا للاجنبي يحمل عنهم عبئهم ، ويصرف امورهم ، ومن بعدنا سيجدون اساسا يبنون عليه سواء اكان متيناً صلباً او ليناً طرياً ، اما نحن فقد شاء القدر ان نكون بناة الاساس ، وان نكون ورثة التركة المثقلة ، وشاء القدر ان نكون مخضرمي العهدين ، وموضع ادق تجربة واخطرها .

وهذا الكتاب يعرض لهذه التجربة الشاقة في العراق ، كما يصف قادة هذه التجربة ، من رجالات الرافدين ، وشباب العراقين !!



في طريق الصحراء...

الساعة السابعة من صباح يوم الاثنين ١ شباط سنة ١٩٣٧



اطلق السائق الانكليزي نظره الينا بعدنا واحداً بعد الاخر ، فكنا ثمانية نفر ، تمام عدد القافلة ، فلما اطمأن الى ذلك، مدّ اصابعه الى الازرار المنتشرة امامه ، فتحركت السيارة تطوي الارض نحو الصحراء فمشارف الشام .

تناسيت نفسي ، فلم اعد افكر فيمن حولي ، كان يخيل الي اني قريب منهم ، واني بعيد عنهم في وقت واحد ، وغمرتني سحابة من الماضي فلم اعد اتميز اصوات قوم يتحدثون من حولي ، فيهم انكليزي عرفته في الفندق ، وانسة اميركية تعرفت عليها في منزل صديق حميم ، وكانت هذه الآنسة قد

حملت معها الى السيارة قطة قدمتها الينا باسم (القطة الفتاة) واوصتنا بها خيراً وذكرت فيا ذكرته من مناقبها انها من اصل نبيل ، وانها تمت بصلة رقيقة من النسب الى نوع من القطط عظيم حقاً ، واما جنسية القطة فكانت سيامية على ما اذكر ، وكانت واحدة من عشر قطط تناولها الموت بضرباته فلم يبق منها غير هذه الصغيرة، البقية الباقية من قوم صلحاء نبلاء .

وكان الى جانبي مسافر كهل من رؤساء شركات الضمان ، ادار نظره اليّ لما استمع الى حديث الاميركية فالفيت امارات الانكار ظاهرة على وجهه ورأيته يعالج الكلام فيستعصي عليه ، فخشيت ان يأخذ معي في حديث القطط وليس لي بهذا النوع من العلم معرفة ولا اتصلت لي فيه خبرة سابقة ، فصعرت خدي، واطلقت نظري نحو سطح السيارة، وتثاقلت عنه ، وانا احمد الله — الذي لا يحمد على المكروه سواه — ان رفع الرزء ، ورد البلاء ، فأخذ تسعاً من هذه العائلة النبيلة اليه ، ولولا ذلك لما رأت الاميركية — ولهن غرائب مشهورة — كبير امر ، في ان تشحن السيارة بقططها ، فتسير — ونحن فيها — وهي اقرب الى حديقة من حدائق الحيوانات، منها الى سيارة من سيارات تزن الجميلة الضخمة .

وكانت القطة قد اخذت — منذ رأت سحن المسافرين المتجهمة كما يظهر — بالمواء العذب البديع ، وكلما امعنت سيدتها في دعوتها الى الاتزان ، والسكون والتخلق بمكارم الاخلاق ، — وبالانكليزية طبعاً — كلما ازدادت مواء متصلاً لا تمل من ترديده ، ولا تنقطع عن ترجيعه . . .

وكذلك كانت براعة الاستهلال لهذه الرحلة الساحرة حقاً . . .

. . . .

واعود بالفكر الى هذه الايام التي قضيتها في بغداد وغير بغداد من اعمال العراق ، فاذكر هؤلاء الاصدقاء الذين تكلفوا السهر الى ساعة متأخرة من الليل ليصافحوني قبل السفر ، وكلهم امل بالمستقبل، ورجاء بان احمل معي الى شباب امية وسواحل البحر ، رسالة شباب العراق ، هؤلاء الشباب الذين يؤمنون بانهم واصلون في مقبلات ايامهم الى تجديد الحضارة العربية الماضية ، التي قامت على سواعد مختلف الشعوب التي كانت تنام مطمئنة تحت رايات امية وبغداد

وهم في ايمانهم هذا على مثل اليقين من قدرتهم على الابداع والاحسان فيما سيكلفون به من عمل ، وما سيلقى عليهم من واجبات ، وانهم ليحاورون بعضهم بعضاً بلهجة الواثق المطمئن ، انهم ما يخافون صراعاً ولا حرباً ، وان الموت احقر ما يحسونه في سبيلهم ، او يلمسونه في طريقهم .

وليس يسيراً ولا هيناً ان يستنيم الشباب الى حظه الحاضر ، يفترش الارض مطمئناً الى نصيبه ، قاتلاً في نفسه الطموح وفي تفكيره التجدد ، وفي عمله الابتكار ، ويرضى ان يكون في الدنيا كالاثر في المتحف تاركاً بلاده للغالب والظافر ، والمتلاعب ، يتكالبون على تراث اجداده وابائه ، وهو كما يعلم الناس والتاريخ طريف جميل شريف .

. . . .

وعلى ذكر التاريخ اقول : لقد توالت عليّ مع هؤلاء الاصدقاء ساعات اخذنا فيها باطراف الحديث ، في شيء من الرقة احياناً ، وفي كثير من الشدة احياناً اخرى، وقد التبست عليهم ، والتبسوا عليّ اول عهدي بالاجتماع بهم ، واول عهدهم بالاجتماع بي، فودوا لو اهمل هذا القديم فلا استفيض في حديثه،

ولا ابسط في شرحه ، لانه بعيد عنا ثقيل علينا ، ولانه لا يضطرب في احسان ولا يتصل بخير جديد ، وذهبوا فيما ذهبوا اليه يسألونني الافاضة بما في هذا الجديد من رائع الحضارة ومختلف المخترعات ، وجديد الرأي ، وقويم الفكر ، بحيث نشيء هذه الدنيا في الشرق العربي ، جديدة في كل مظاهرها والوانها ، لا تتصل بالقديم ولا تتعلق به في كثير ولا قليل .

ولست انكر ما في بعض القديم من نكر وشر ، ولا ما يضطرب به من اخطاء من الواجب اصلاحها وتعديلها ، ولكنني كنت اعتقد في الوقت نفسه ، ان فيه شيئاً جميلاً ليس من الحق اهماله ، وانكاره ، واننا نحسن صنعاً اذا اخذنا ما في القديم من جمال ، وصهرناه مع هذا الجديد الجميل النافع ، ثم افضنا عليه من روح العربية بعض الخير ، بحيث تخرج جدتنا الحديثة عربية صافية ، لا شرقية ولا غربية .

ويظهر لي اني لست فريداً في هذا الرأي فقد قال الكاتب الانكليزي الشهير ولز في كتابه (مختصر التاريخ) « ان من الاسباب التي دعته الى اصدار مؤلفه شعوره ان الناس لا يعرفون عن ماضيهم ولا مستقبلهم الشيء الكافي ، وان الفرد لا يستطيع ان يفهم حاضره ومستقبله ما لم يفهم ماضيه ، ولما كانت معرفة الماضي ضرورية ، ليكون الناس على بصيرة من الاسباب التي اوصلتهم الى حاضرهم ، وليعلموا موقفهم ازاء الواجبات الملقاة على عاتقهم ، فقد اصدر كتابه لسد هذا الفراغ الذي يعتقد انه في بقائه اعظم الضرر والخطر على الانسانية .. »

والواقع ان هذا الرأي لم يكن مما يتفصد عنه الجميع ، ولكنه رأي من هذه الاراء التي تختلج في نفوس بعض شباب العراق ، ولا ادل على (فرديته)

وضعف خطره ، من هذا الاجماع عند كل الامم والشعوب،حتى الشيوعية منها على العناية بتاريخها القديم ، وماضياتها الغابرة ، سواء اكانت حسنة ام سيئة ، عذبة ام مريرة ..

ويصح ان يفطن اصحاب هذه الفكرة الى ظاهرة خطيرة ، وهي ان الامم ذات التاريخ القصير الامد في عالم الانسانية كاميركا مثلاً ،لا تضطرب بحضارة فنية او ادبية بارعة ، بخلاف الامم التي تنعم بتاريخ طويل الامد ، بعيد الشقة، كثير المسالك ، كالانكليز والاغريق والرومان والعرب .. وهذا دليل على ان الحضارات الرائعة يجب ان تتصل بتاريخ مديد واجيال عديدة .

....

واعود الى نفسي فاذا الحديث متصل من حولي،واذا السيارة قد وصلت الى (الرمادي)،واذا هواء القطاة يرتفع حينا ويفتر حينا اخر ، واذا الآنسة الاميركية تنظر الي نظر من يرغب ان يوجه الي حديثاً، فاتجاوز بنظري عنها الى الارض المنبسطة امامي ، ثم تنزع نفسي الى معاودة البحث في هذه الايام التي قضيتها في بغداد ، فاعود بالفكر الى تلك الاشهر التي كانت تغشى العراق قبل الانقلاب الاخير .

ولو خيرت لتخيرت ان افرغ من هذا البحث باسرع ما يدخل في طوقي ، وانفض يدي منه وانتقل الى سواه، وليس مرد ذلك عدم مبالاتي بامره ، واستصغاري لشأنه،وانما لاعتقادي باننا قد لا نستطيع التأريخ لهذا العهد بالدقة اللازمة المفروضة في مثل هذه البحوث قبل ان تتكشف لنا بعض الوثائق الحكومية الضرورية التي تساعدنا على تفهم مستور الحقائق ، ومخفي الاخطاء والفضائح .

لقد حاولت في الايام التي قضيتها في العراق ان اصل الى اعماق النفس العراقية وكان اقصى الاماني ان اجتمع الى اكبر عدد ممكن من شباب القطر الشقيق كهوله وشيوخه، تجاره وعماله،بدوه وحضره،بحيث اصل الى رأي كل واحد منهم في العهود السوالف ومن توالى على هذه العهـود في الوظائف والاحكام،وقد فتقت لي الحيلة ان اتريث في الاجتماع باعضاء الوزارة الحاضرة حتى استمع الى رأي الناس فيهم، لاني من الذين لم تتعلق لهم صلة برجالات العراق من سالف وحاضر في كثير ولا قليل، ولان احداً منهم لا يستطيع ان يقول انه افضى الي بفضل او توسل الي بخدمة او نفض لي عن رأيه او تحدث لي عن سالف اعماله وتاريخه، فاذا انا كتبت اليوم عنهم فانما اكتب عن قوم ليس بيني وبين احد منهم صلة ولا مصلحة

والواقع اني على مثل اليقين من ان ما وصلت اليه من رأي في كتابي هذا هو اقرب الى تصوير النفسية العراقية الحاضرة من كل رأي آخر، لاننـا في دراستنا للعراق ورجالاته ليس من العـدل ان نولي وجوهنا شطر المغرب والمشرق في التقصي عن احواله وسالف احداثه، ولكن المفروض في المؤرخ المعاصر ان يبحث الامر بنفسه وان يدرس مواطن الداء في موضعه،وان يسأل عن جلية الخبر اهله .

وشيء آخر ايضاً وهو ان نجاح امريء في عمل سالف ليس يعني نجاحه في عمل لاحق ،وقد اخفقت العبقريات قديماً وحديثاً في كثير من الوجود التي وجهت جهودها اليها لكثير من الاعتبارات التي لا مجال الى ذكرها في هذا الباب، كما اخفق نابليون في معركة (واترلو) لانه افضى الى كروشي بقيادة الجيش الذي يطارد بلوخر الالماني،وليس عند كروشي من المؤهلات التي كان من المفروض ان ينعم

بها مثله ، مع انه كان ماريشالاً من ماريشاليات فرانسا والجيش العظيم .

لقد رأيت كثيرين في العراق يذهبون في توجيه اخطاء الوزارات السابقة بجملتها الى وزير الداخليه السيد الكيلاني ، ولكن احداً منهم في الوقت نفسه لم يكن ينكر ان المرحوم الهاشمي مسؤول عن اختياره ، كما ان قائد الجيش مسؤول عن اخطاء كل فرقة وكل فرد من افراد جيشه ، وقد نجد لغير الهاشمي عذراً في هذا الاختيار ، ولكن الهاشمي رجل كبير ومثل هذا الخطأ معدود عليه ، واخطاء الرجل الكبير العظيم بعيدة الاثر عظيمة المصاير . .

وهنا يتسائل المؤرخ الذي يؤرخ لهذا العهد المضطرب في سياسة العراق يتساءل متعجباً من موقف الهاشمي — وليس من ينكر عليه جرأته واقدامه وذكاءه وسعة حيلته — كيف لم يفطن الى ضرورة الاستغناء عن خدمات الكيلاني بعد فشله المريع ، والاستعاضة عنه بسواه ؟ ؟ ؟

ومن المؤكد ان الجواب على هذا السؤال يضطرب في كثير من الصعوبات ، ويتعلق الى حد بعيد بتصوير نفسية الهاشمي الخاصة ، والافاضة في بحث العوامل الخفية التي كانت تجعل منه في بعض الاحايين شخصاً قوياً ذكياً وانساناً متردداً فاتر العزيمة ، متعدد الشخصية . . .

ويخيل الي وفاقاً لما لدي من المعلومات الخاصة ان المرحوم الهاشمي ، لم يكن بالاداري الحازم ، ولا الشخص القوي الجريء حين يتصل بحياته الخاصة ، وصلاته مع الاصدقاء والانصار . . .

وكان الى ذلك رجلاً ضعيفاً في بعض النواحي لا يعمل على رفع الشر ، واجتناب الاخطار قبل وقوعها ، فاذا وقعت فهو قوي التدبير في تذليلها ، حازم في قمعها ، ولكنه بعد توفيقه هذا يعود الى نشأته الاولى ، فلا يفكر في دراسة

الاسباب التي اثارت هذه العواصف ، وكانت من العوامل الكبرى في وقوعها، ولا يفطن الى ضرورة الاخذ بسياسة الحزم التي تمكنه من اجتناب امثالها، ودرء اخطارها، خصوصاً اذا كانت اسباب هذه الفتن والقلاقل متصلة برجال يعملون معه ، ويتصلون به، فانه يكون من الضعف بحيث لا يسأل واحدهم عن خطأه ولا يحاسبه على عمله ...

هذا التناقض الغريب في شخصية الهاشمي كان له ابعد الاثر في سياسته الداخلية ، فكثرت الثورات في عهده ، واحتكر انصاره واعوانه مختلف المناصب والمصالح العامة، وكان لهم في هذه المصالح فتوح وغزوات ، وكان لفتوحهم وغزواتهم احاديث وقصص ...



— ٢ —

اسرار ياسين الهاشمي

— الساعة الواحدة بعد الظهر —



اشتهر الهاشمي في السياسة العربية ، بانه من اولئك الذين افضوا الى ارض الوطن بكثير من الخير والاحسان، وانه من الافراد الذين نشطوا في ابان الحرب العامة الى المدافعة عن هذه الارض بصدورهم وارواحهم ، ولو كنت من الذين يرغبون في الاستقصاء والتبسط لذهبت اتكلف بحث المعارك التي خاضها، والجيوش التي قادها ، لان مثل هذه الشهرة لا تستقيم لصاحبها عفواً ، وانما تصير اليه بعد معاناة حرب ، وخوض زحف ، واقتحام حصن ، وتخضيد امصار ومواطن ..

والبلاد العربية ليست تنكر عليه ولا على غيره من شباب العراق هذه التضحيات السابقة في حروب التحرير والاستقلال ، ونحن في بحثنا هذا لا نرى من الحكمة ان نعرض لهذه الغابرات من الاعوام ، ولا ان نلم بتاريخ هذه العصبة النبيلة من ابناء الرافدين التي حاربت في الصحراء ، وقاتلت في مشارف الشام ، والتي حملت رايات فيصل الاول من صحراء الحجاز الى كل بقعة من ارض العربية حتى استقر بها المطاف في بغداد ، فاخذت بانشاء العراق انشاءً جديد جعل افئدة العرب تهوي اليه ، وتطرب لذكر اخباره ، وتسترق السمع عن كل ما هو متصل به ، قريب منه ..

ما رأيت نعش فيصل يوم سيروه على الاعناق الى مرقده الاخير ، لقد كان قبة من النبل والاخلاص والتضحيات ، تسير سبيلها بين صفين من الجند ومئات الالوف من الافئدة الملتاعة ، وكنت اقدر قبل موته ان هذه الحياة القوية التي تنبعث منها حياة قوية الى امة باسرها ، سيمتد امامها الدهر وستصل بها الايام حتى تنتهي من غايتها الى ما كانت تريد من تحرير امة ، وخلق شعوب !!!

ولقد مضى على فراق هذا المليك النبيل البارع لامته وشعوب العربية سنوات، ما يمضي يوم علينا لا نذكره فيه، ولا ندرك عظم الخطب الذي اصابنا بفقده ، ويخيل اليّ احياناً انه مدفون في قلبي وقلب كل شاب من شباب العربية ، نناجيه ونفكر به ، ونذكر فيما نذكره عظم اخلاصه ، وكريم شيمه، وحبه لامته ، ورغبته في اسعادها ، وسعيه الملح الى تحريرها واستقلالها،

بحيث استحالت نفسه الى روح تقيم في نفوسنا ، فهي تحيا معنا ابداً ، لا تفارقنا ولا نفارقها حتى يأخذنا الله اليه .

ولو ان فيصلاً كان مليكاً فحسب، لكان الى العزاء عنه سبيل ، ولكنه كان شيئاً اكثر من هذا، كان رجل الثورة ومحرر العرب، وقد فقد العرب بفقده جزءاً من نفوسهم ، وقطعة من قلوبهم . .

ما اعظم مصاب العراق بفقده ، وما اشد رزء العربية بفراقه ، ولله العراق كله شعباً وقبيلاً يوم استقبل مليكه ، لا ليحفل به ، ولا ليلجأ اليه ، ولا ليتخذه رداءاً يتقي به الشر والكيد ، ولكن ليشيعه الى حيث اراد الله ان يستقر الى آخر الدهر . . .

وهؤلاء الذين احاول التاريخ لاعمالهم بعد موته، كانوا من الذين عملوا معه وسارعوا الى ندائه ، فلما انطفأت شعلته انطفأت شعلتهم ، فما وفقوا بعده في كثير ولا قليل ، ولم يفطنوا الى ضرورة الاخذ بطريقته ، والعمل على الاحسان في ما انشأه من اعمال ، وما تركه من بناء ، ولعل مرد ذلك ان احداً منهم لم يكن ينعم بدهائه وبعد نظره ، ورحابة صدره وحكمته ، فقصروا عن الوصول اليه ، وبدلوا سياسته ، فلم يفطنوا الى الجماعة ، ولم يعنوا بخيرها ، وكان من اثر ذلك هذا الفشل الذي اعتور سياستهم ، وهذا الخطل الذي تسلل الى مختلف اعمالهم .

كان المرحوم الهاشمي ضعيفاً مع اصدقائه كثير التساهل معهم ، وكان الى ذلك لا يثق بالاشخاص الذين يعماون معه ثقته بمن لم يكن يعمل له ، فتغلبت عواطفه على عقله الرجيح ، والتوى عليه الامر ، فما كان يرى كبير امر — مثلاً — في استبقاء وزير داخليته مع كثرة الاضطرابات والثورات في عهده ، ونقمة الشعب عليه ، وكان مغرقاً في وعوده ، فاذا عاد الى نفسه ، وبحث الامر من وجوهه المختلفة ، ووجد انه لا يتفق مع (الحاسة) العملية في عقله ، اهمله وتناساه ، فاساء الى كثيرين ، وقطع بسياسته هذه ما كان متصلاً بينه وبين الناس ، فلما كان الانقلاب وجد انه وحده ، وان احداً لا يؤيد سياسته ، ولا يفطن الى سابق خدماته .

والواقع ان المرحوم الهاشمي كان رجلاً يحسن الحرب ويجيد المعارضة ، ولكنه لم يكن من اولئك الذين يحسنون الاعمار والانشاء ، واي فشل ابلغ من هذه الثورات المتعددة يشنها انصاره عليه في عهده ، لقد كانت العشائر لا ترمي الا عن قوسه ، وكان كثيراً ما يحارب بها رجال الحكم وهو خارج

الحكم ، فلما ولي الحكم اثارها عليهم حرباً شعواء ، فحارب هؤلاء الذين حاربوا الانكليز دفاعاً عن ارض الوطن العراقي ، وحارب اولئك الذين لم يكن الانكليز يخشون سواهم في العراق، وحارب هؤلاء الذين لو احسن السياسة معهم لكانوا له عوناً ، ولسياسته قوة ومنعة . .

اما قتال وزارته للعشائر وما تولتهم بـه من شر ونكر ، ومن تقتيل وتقطيع وتعذيب وابعاد وايذاء فمما يعجز القلم عن وصفه .

لقد حدثني الحاج شعلان العطيه احد زعماء العشائر عن شيء من هذا فاثار مني شجوناً ما اثارها وفاة والدي لسنوات خلت ، واذا قال قائـل ان الوزارة قد اضطرت الى ذلك اضطراراً ، وما كانت تستطيع غير ذلك بعد ثورتهم على الحكومة، نقول ومن الذي دعاهم الى الثورة، وحملهم على الفتنة؟؟

اليس سوء سياسة الوزارة ، واخطاء موظفيها . ؟؟!!

ثم لماذا الاغراق في التقتيل والعدوان، وللوزارة السابقة مندوحة عن ذلك، لو استعملت اللباقة ، وحسن السياسة ، ودعت القوم الى السكون ، ومنتهم بالوعود ، واعطتهم حقهم ، وانصفتهم من كل مستبد يحكم بهم .

انا لا ارى للوزارة السابقة عذراً في هذه الحرب التي اثارتها على العشائر، والتي لا اريد ان اذكر عنها الا شيئاً واحداً ، وهو ان من قتل فيها من شباب العرب من بدو وحضر ومن عرب وجند، يفوق عدد من قتل من شباب العرب في حروبهم مع الانكليز والترك دفاعاً عن ارض الوطن !!!!

. . .

يدور في خلدي ان اترك هذا البحث وانتقل منه الى غيره ، لانني في الواقع لا ارى في السياسة العراقية السائدة الا خطأ متصلاً ، وظلماً قبيحاً ،

ولكن التخلي عن التأريخ للوزارة السالفة يعد خيانة منكرة ، وضعفاً فاضحاً وحجة ظاهرة باننا نخشى ان لا نوفق في البحث ، ونسرف في الاستنتاج ، ولولا ما نستكرهه من هذا القول لا غفلنا هذا البحث وعدوناه الى غيره .

ولكننا نظرنا الى واجبنا نحو قرائنا ، وواجبنا نحو انفسنا فرأينا انه ليس يجب على المؤرخ المعاصر ، ان تعلق همته فيما يرى من رأي ، عما يقول الناس فيه ، او ما يمكن ان يتقولوا فيه ، او ما قد يكون لقوله هذا من اثر في الاوساط والجماعات ، وانما هو مدين لنفسه ولقرائه بما يعتقد انه الحق الخالص سواء ارضي الناس ام سخطوا ، وسواء اوافق رأيه هوى القراء ام انحرف عنه ، وهو حقيق الى هذا كله ، ان يذهب المذاهب في تعليل رأيه وتصوير ماعرض له من وقائع وحوادث ، يعتقد انها صحيحة وانها واقعة حقاً .

والواقع انه ليست تعنيني في كتابي هذا ، شؤون رجال الحكم الماضي في كثير ولا قليل ، ولا يهمني ان انظر اليهم متعرفاً بواطن شؤونهم في خير او شر ، الا ان يكونوا من الذين تحملوا مسؤولياته ، وتزعموا مصايره ، وتورطوا في اخطاره ، وامتدت ايديهم الى موازنـة الدولة بتعويض او راتب او اعطاء . .

قد لا يكون الهاشمي رحمه الله من الاشخاص الذين امتدت ايديهم الى موازنة الدولة او الى اموال الامة ، ولكننا اذا اعتقدنا فيه الامانة وبراءة الذمة ، فقد يكون موقفنا دقيقاً حقاً اذا اردنا بحث موقفه من بعض الوزراء والموظفين الذين امتدت ايديهم الى اموال الشعب دون ما حق ولا واجب .

ونضرب الامثال على ذلك هذه الاموال التي صرفتها الوزارة السالفة على صباح نوري السعيد .

فقد حلق هذا الشاب الموظف في سلاح الطيران العراقي في طيارته بغير ما امر من رؤسائه ، فلم يحسن التحليق في الجو فسقط الى الارض واصابته جراح نقل على اثرها للمستشفى .

ولما كان السيد صباح ابن وزير الخارجية ، وابن اخت وزير الدفاع المرحوم جعفر باشا العسكري فلا بد من ان تكون نفقات مداواته على حساب دافع الضريبة العراقي ، ليس في العراق فحسب وانما في اوروبا ايضاً ، اغراقاً من الوزارة بالعناية بصحة الجريح ، ولما كان القانون لا يجيز مثل ذلك قررت الوزارة ان تصرف للجريح ما يحتاج من المال على حساب التشريع الخاص الذي ستصدره لهذه الغاية ، وبناء على ذلك اقترح وزير الدفاع خال الجريح على مجلس الوزراء بكتاب رسمي ، ارسال ابن اخته الى لندن ليعالج على حساب الحكومة العراقية ، مع حاشية كبيرة مؤلفة من والده ووالدته والجراح الاختصاصي في المستشفى الملكي في بغداد ، وزوجته وممرضة اخرى واشخاص آخرين ، ووافق مجلس الوزراء على هذا الاقتراح ، وطار الجريح فعلاً مع حاشيته الى لندن ، والى القارىء اللائحة الرسمية بالمصروفات التي صرفتها وزارة الدفاع عليه ، فان فيها ما يطرب ويعجب ويؤسف

المصروفات الجارية عن تداوي الرئيس صباح السعيد على نفقة الحكومة بحسب انواعها

دينار	
٥٣٩	اجور نقله من العراق الى انكلترة ومنها الى العراق مع

افراد حاشيته واجور تنقله في انكلترة .

٨٣٣ اجور المستشفيات والاطباء والادوية .

دينار ـ اثمان الطعام

١٤١ اثمان الطعام المجهز

٣٧ اجور نقل الطعام .

٦٠ اثمان شامبانية .

---

٢٣٨ ٢٣٨

١٢١ ايجار دار واثاث

١٠١ اثمان غاز وكهربا واجور تلفون .

٤٧ اجور خدم

١٢٤ اجور نقل الدكتور ابراهام وزوجته .

٥٧ اجور نقل الممرضة دوكويد .

٣٤ اجور فنادق وطعام الى الدكتور ابراهام والممرضة دوكويد مع رسم جواز للدكتور

٢٧٦ ١٤ اجور غسيل .

---

١١ مصروفات نقل عطاء امين وصالح مهدي في انكلترة لترتيب سكنى المريض .

٩ اثمان عكاز وحذاء جلد ومطارتين وصحون لاستعمالها الى المريض .

٢١٢٨

واذا علم القاري، بعد كل هـذا ان صباح السعيد قد ركب الطيارة العسكرية بصورة خاصة ، وانه لم يكن يقوم بعمل حكومي في الوقت الذي سقط فيه ، وانه ارتكب عدة مخالفات عسكرية في ركوبه الطيارة وتحطيمها، وانه لو كان من الاشخاص العاديين لما بالت الحكومة به، ولا انشأت له تشريعاً خاصاً ، ادرك ان الوزارة السابقة قد اخطأت خطأ فظيعـاً في اقرارها هذا التشريع ، وانها قد اسرفت كل الاسراف في نفقات معالجة الجريح . . .

واظن انني قد استسيغ ان اهضم كل بند من هذه المصارفـات الا هذه القبضة من الدنانير التي صرفت على الشمبانيا ، فـانها في الواقع مرة شديدة المرارة !!! .

ذلك ان في العراق شيوخاً ورجالا واطفالا يموتون جوعاً ، اويكادون يموتون جوعاً ، وهم في الواقع احق بهذه الدنانير يردون بهـا عادية الموت عن انفسهم ، ويتبلغون بواسطتها بعض الاطعمة الضرورية لحياتهم وحياة ذويهم . . . ، وكان من الحق ان تعني الوزارة الهـاشمية بهم ،قبل ان تعني بسواهم وغيرهم . . .

وبعد فهذه واحدة من كثيرات ، ولو اردت التبسط لنفضتها واحدة بعد الاخرى، ولكنها جميعها على غرار ما ذكرت ، وفي بعضها ما هو ادهى وامر . . .

. . . .

انا لا اعرف المرحوم الهاشمي ، ولم اجتمع به ابداً ، ولكنني اشعر انني قريب منه ، واني اصبحت بعد هذا الحوار المتصل مع المقربين منه ، افهم له من سواي وغيري .

لقد كان شخصية قوية ، جريئة باسلة ، محسنة لاصدقائها، شديدة على خصومها ، وكان الى هذا كله ينعم بثقافة حسنة هذبتها التجارب ، وغذتها الايام ! ولكن ذكاءه هذا كما يظهر لي قد اصابه الخمود في اواخر ايامه ، فلم يعد يضطرب في هذا اللمعان الذي كان من اهم مزاياه السالفة ..

وكان الباشا معذباً في حياته العائلية ، وكان عذابه هذا من الاسباب التي اخمدت فيه هذا النشاط الذي كان يضطرم في صدره اول الاحتلال وفي ابان المعارضة ، ولو اني قصصت على قارئ كتابي ما اعرفه من اخبار هذا العذاب وحوادثه ، ، لكان اول من يعتذر للباشا عن هذا الخطل الذي اتصل بسياسته ، وهذه الفوضى التي تغلبت على مرافقة السياسية واعماله الادارية

والهاشمي كما بلغني عن لسان احد كبار رجالات العراق من الاشخاص الذين يفضلون الوصول الى ما يريدونه (قنصاً) وبشيء كثير من العسف والدوران ، ولعل في هذا مصداق ما قاله عنه الدكتور عبد الرحمن شهبندر وزير خارجية الملك فيصل في عهد الحكومة السورية (١) في مقال نشره في في الهلال بعنوان « كيف خرج الملك فيصل من دمشق » فقد قال الدكتور يصف مصاير معركة ميسلون وكيف ان الطيارات رمت المرحوم صاحب الجلالة بالقنابل والمتراليوز فاخطأته ، وما نجا من قنابلها الا باعجوبة : « وحدث في تلك الاونة الدقيقة في تاريخ البلاد ما زاد في البلبلة ، وهو ان ياسين باشا الهاشمي ابى ان يحل محل يوسف بك العظمه في وزارة الحربية لان يوسف بك كان قد ذهب الى ميسلون بنفسه وغادر وزارة الحربية شاغرة »

ونحن لا نعلق على هذا الخبر ، ولكنه في الواقع يلفت النظر ويستدعي

---

(١) الهلال عدد مارس ١٩٣٧

كثيرا من التفكير ...

وهو الى ذلك جبار عات يعتـــد بذكائه ومقدرته فيأبي ان يخضع او يخنع ، ويابى الا الغلبة ، وإلا ابراز كفـاءته مهما كان الاتجاه عاصفاً ، والثورة جارفة

وانظر اليه في العراق في عهد وزارته الاخيرة وقبل الانقلاب وهو يكافح امة باسرها ، واحزابا متجمعة باسرها ويأبى إلا ان يظفر بها جميعـاً ، وان يدحرها جميعاً ، حتى عند وقوع الانقلاب فقد راح يعمل لمحاربة الجيش بما لديه من رجال الشرطة ويأبى الاذعان للامر الواقع ولو اضطره ذلك الى الاستعانة بالانكليز !! اليس هذا جبروتاً وعتواً ، واليس هذا نوعا من انواع شهوة الغلبة والانتصار ولو كان في هذا الانتصار النار والدمار ...

والواقع ان سياسة المرحوم الهاشمي في عهده الاخير ، لا تدل على انـه كان بعيد النظر سديد الرأي . ولو كان كذلك لما عظم عليه الاعتراف بالهزيمة والاذعان للأمر الواقع ولكنه كان من النوع الذي اذا استفززته انتقم وثار وخرب ودمر ..

ولو اتيح له ان يدعم حياته السياسية في الحكومة على اساس (الشعبية) لا على اساس (الحكومية) لكان اكبر توفيقاً ، واعظم نجاحا ...

– ٣ –

في صحراء خالد بن الوليد

– الساعة الرابعة بعد الظهر –



شيء هادئ من حولي ، فالسماء صافية ، والجو بارد شديد البرودة ، والشمس تهم بالمغيب ، والسيارة تسير على ارض الصحراء في دعة المطمئن الى الحياة ، وحسن تعبيد الطبيعة لهذه الصحراء البعيدة الاطراف .

ولو انني كنت في بغداد او بيروت ، لما رفعت نظري عن يد السائق ، ولكني في هذه الطريق الواقعة بين بغداد ودمشق ، لا اذكر اني ارخيت اليه طرفي ولا مرة واحدة ، ولماذا افعل والطريق معبدة ، والاطراف بعيدة ، وليس هناك في سبيلنا صبي يلعب ، وفتى يخطر ، ولا سيارة يقودها احد الوارثين . . .

وكان السفر في هذه الفترة يرسلون اعينهم الى هذا الفضاء المترامي امامهم ، وقد احتبست انفاسهم ، فما يكلم احد رفيقه ، ولا يتحدث اليه ، وقد اخذت بمجامع نفوسهم ، هذه الارض العريانة الضاحكة ، التي تتقلص انوارها رويداً رويداً كلما اذنت شمس النهار بمغيب . . .

اما انا فكنت انتظر تقدم الليل بشيء من الشوق كثير ، وكنت اعلم اني لن اذوق فيه النوم الا غراراً ، واي نوم هذا الذي يتكلفه المرء على هذا المقعد المضطرب ، وفي وسط هذه الصحراء النائمة في جمالها ، البعيدة الغور في امتدادها ، الكثيرة الاسرار في ليلها . . . كنت شديد الرغبة في رؤية الصحراء والقمر مشرق ، والهواء رقيق ، وكنت مطمئناً الى اني ساجد فيها سحراً جديداً لا اقع عليه في غيرها وسواها . . .

ما اطول ليلي المقبل ، وما اجمل ما سيكون فيه من حديث بيني وبين نفسي ، لقد طويت في الصفحات السابقة حديث النهار ، وساتكلف في التي تلي حديث هذا الليل المتعب ، وكل رجائي من القاريء ان يقرأ كتابي هذا ، بما يجب من حذر السائر في مسالك السياسة المضطربة ، ومن سكينة المطمئن لنزاهة البحث ، وصدق الحديث . . .

نحن في العراق في عهد نستطيع تسميته بالعهد الاقطاعي ، ومن مظاهر هذا العهد ، تغلب المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ، وعبث فئة من الناس عبثاً معيباً بمصالح الاكثرية من سكان البلاد ، ومصالح الوطن .

والواقع انه لما تخلى الانكليز عن مسؤليات الحكم في العراق تركوا في البلاد اربع طبقات : الاقطاعيون ، والرسماليون ، ورجال الدين ، وطبقة رابعة مؤلفة من الموظفين الذين تناسلوا وتوالدوا في القرن التاسع عشر ، فبعدت بينهم وبين الحضارة الحاضرة الشقة ، واصبحوا لا يتصلون بالشعب ، ولا يتفهمون عقلية الامة ، ولا يؤمنون بحرياتها واستقلالها ، ولا يعملون لهذه الحريات والاستقلال التي يعدونها خطراً كبيراً ، وشراً مستطيراً . . .

وانكى من ذلك انهم كانوا يحاربون هذه الروح الاستقلالية ،

ويقفون بين الشباب والحرية ، فنشأت من ذلك في البلاد طبقـة مؤلفة من الشباب ، اخذت تؤمن انها غريبة في بلدها بعيدة عن مواطن آباءها واجدادها ولما اطلقت نظرها فيمن حولها وجدت ان رجال هذه الطبقات قد سدوا في وجهها مسالك العمل ، ووقفوا بين الفتوة والاحسان ، بحيث تكون الحياة في شتى مظاهرها ، وبمختلف الوانها ، نهباً مقسماً لهم ولاتباعهم واتباع اتباعهم .

وفي سبيل الكرسي الذي كانت هذه الجماعة تسعى وتعمل للمحافظة عليها ، كانت تتكشف لجمهرة الناس في كل يوم ، عورات من حقها ان تستتر وتطوى ، لولا ان اصبح التسول اعلى الفضائل في نفوس بعضهم ، وماذا يضير هؤلاء ان يعرف عنهم الكذب ، وماذا يضيرهم ان يتهموا بالخيانة ، ومـاذا يضيرهم ان يجردوا من كل فضيلة يتحلى بها الانسان في وجوه الناس ، ومـاذا يهمهم ان يكونوا متسولين ما دام التسول سبيل الوظيفـة ، والوظيفة سبيل الدرهم ، والدرهم هو كل شيء ، وهم في هذا الامعان وهذه الرغبة الملحة في سبيل الكرسي ، يساومون في المصالح العامة ، ويبيعون البلد بيع السماح .

. . . .

ليس الهاشمي ولا غير الهاشمي ابعد اثراً في الاسلام ، وامضى سلاحاً في العربية من خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص وغيرهما . من كبار الصحابة ، ومع ذلك فقد وقف منهم الفاروق عمر بن الخطاب موقف القـاضي المتهم فابعد الاول عن عمله ، وشاطر الثـاني امواله ، وفعل مثل ذلك بسواهم من العمال والولاة .

واما الذي دعا الفاروق الى هذا الموقف فكان الوفـاء لله ، وحب

العربية ، والشعور بالواجب نحو كل فرد من افراد رعيته ، وايمانه الايمان كله بان الخير كل الخير هو فيما قرره وجعله امراً «منظوراً» ، هذا ما دفع الفاروق الى ان يقوم مقامه هذا من العدل والتضحية ، وافضى به الى ان يفني نفسه في سبيل الدولة العربية اول نشأتها في الاستبحار والتوسع والفتوح ، وزاد ندى فساوي نفسه بادنى رعيته ، وقتر عليها تقتيراً اساء الى صحته ونفسه ، وغشيت روحه هذه الناس في عهده فتسابقوا في الوفاء ، وتسارعوا الى النداء ، ومشوا خلفه يقتحمون الامصار ، ويفتحون الممالك ، ويبدلون العصر نفسه ، فاذا عهد الفاروق شيأً رائعاً عذبا جميلا ، واذا هو انشودة ماتعة ، واذا العالم العربي عدل جميعه ، واذا به وهو الربيع الاخضر .

واقد حمد التاريخ لعمر بن الخطاب هذه الخدمة ، وقدّر له هذا الاخلاص وادرك العرب كيف صاغهم نقودا حرة ، تتغير الدنيا ولا تتغير

ونحن ما نطلب من حكامنا ان يكونوا كالفاروق اخلاصا وتضحية ، فان هذا فوق الطاقة وفوق الامكان . ولا نريدهم ان يقتروا عن انفسهم تقتيرا يسيء الى صحتهم فان صحتهم غالية في نظرنا ، وانما نطلب منهم امرا واحدا وهو ان يحافظوا على اموال الامة محافظتهم مع اموالهم ، وان يعلموا ان هذه الامة شيوخها ونساؤها وشبابها واطفالها تدفع لهم من دمائها راتبا كبيرا يكفل لهم كل وسائل الرفاهية والراحة فعليهم ان يحسنوا خدمتها ، ويزودوا عن مصالحها ، ويدافعوا عن شرفها ، ويرفقوا بفقيرها ، وينظروا بعين العطف الى بائسها ومستضعفها . . . ومن يأكل من مال الامة وجبت عليه خدمتها على الوجه الاكمل والاحسن . ومن اخره العجز وغير العجز عن ذلك عد مقصرا في خدمتها . مستهينا بامانتها .

لقد حدثني احد رؤساء الوزارة العراقية السابقين ان المرحوم جعفر باشا العسكري ونوري باشا السعيد كثيراً ما كانا يزورانه في منزله، ويتحدثان اليه عن سوء سياسة رئيس الوزارة وكيف انه جعل البلاد كلها حزبا واحدا ضده وضد وزير الداخلية. فكان صاحب المنزل ينصحها بالاستقالة محافظة منها على كرامتها، فيعدانه بذلك، ثم تمضي الايام ولا يفعلان من ذلك شيئا.

واذا كان هذا يدل على شيء، فعلى ان اعضاء الوزارة انفسهم لم يكونوا على اتفاق تام فيما بينهم، ولعل تنقلات نوري باشا سعيد وزير الخارجية العراقية في الخارج اكثر اشهر السنة يؤيد هذا الاستياء الذي كان يشعر به الوزير نحو رئيسه واعمال رئيسه. كما يدل في الوقت نفسه على رغبة الهاشمي باشا في ابعاده عنه، وارضائه بهذه الرحلات التي كانت تنسيه كثيراً من واجباته.

ولكننا لا نعذر الوزيرين على بقائها في الوزارة مع معرفتها بالاخطار التي كانت تهدد العراق من جراء السياسة المتبعة. ولو انها ما تقدما باستقالتها لتبدل الامر، وحسن الحال، وقامت في البلاد وزارة اخرى، ففي العراق اخلاص وفيه علم، وفيه تضحية، واما هذه الرحلات الغريبة التي كان يقوم بها وزير الخارجية في الخارج فانها في الواقع تستلفت النظر وتستدعي كثيرا من العجب، لان القضية العربية لم تكن بحاجة ماسة الى هذا القدر من الرحلات يقوم بها وزير لم يكن يصرف في بلده وعلى رأس وظيفته شهرين من اشهر السنة ...

...

لقد اذنت شمس النهار بمغيب، وبلغنا (الرطبة) ونظر الينا السائق

الانكليزي بعد ان مس جبينه باصابعه مساً رقيقاً وقال :

— لديكم ثلاث ساعات ايها السادة ، تأخذون فيها حظكم من الراحة ، وتتناولون الشاي ، لاننا لن نستأنف السفر قبل الساعة الثامنة مساء

وظهر الاستياء على وجوه ركاب السيارة ، ولكننا عرفنا بعد ذلك ان بقاءنا في (الرطبة) ثلاث ساعات متواليات خير من الوصول الى (ابي الشامات) وهو المخفر السوري لتأشير الجوازات في ساعة متأخرة من الليل ، والانتظار فيه الى مطلع الفجر .

والرطبة عبارة عن منازل صغيرة في صحراء وسيعة ، فيها غرف للاستراحة والنوم ، ومطعم مبتذل ، وصالة لتناول الشاي ، وقد تفرقنا فيها جماعات ، منا من ذهب ينفض عن يديه غبار الطريق بالماء الحار ، ومنا من استلقى على مقعد بجانب الموقد يصطليها وقد كان مقروراً واغمض عينيه استجماماً للراحة ، ومنا من ذهب يقرأ ، ومن جلس يكتب او يتحدث . وسكنت (القطة) الى ناحية قريبة من الموقد ، واسلمت عينيها للرقاد ، وقد كانت بحاجة ملحة اليه ، بعد ان ابهجت نفوسنا ، بمواثها الموسيقي العذب عشر ساعات متواليات من بغداد الى الرطبة . .

ووقف رب المنزل ، وحوله خدمه يطلق النظر فينا ويحاول ان يتعرف من ملابسنا وهيئاتنا على مبلغ ما لدينا من استعداد لوفاء حق ما نطلب من الاكل والاشربة . ولكننا كنا في شاغل عنه ، فقد استلقى كل واحد منا الى جانب النار ، وقد اخذ منه الجهد ، واعياه التعب ، واملّه طول الشقة .

وغمر الغرفة صمت رهيب ، وكنت لا ازل ممتلىء النفس بحديث هذه الايام التي قضيتها في بغداد ، لا يفارقني ولا انصرف عنه ، كأنما فرضت علي

التفكير في حديث العراق قوة قاهرة . لا استطيع لها دفعاً ولا اجد عن الاذعان لها محيصاً ..

ولم اكن حريصاً على الاكل ، ولكنه كان لابد لي ان آكل شيئاً ، خصوصاً ان صاحب النزل كان ما يزال يحصي علينا انفاسنا ، ويتطلع الى الموقد يتعرف منها على مقدار ما استنفذ فيه من الفحم ، وكان من العجز ان ابتغي عن هذا المكان حولاً قبل الثامنة ، فلما دقت اجراس العشاء تناولت مع السفر من رفاق السيارة شيئاً قليلاً . ما ادري اكان طعاماً ام علاجاً ، لان الانكليز في الواقع لا يجيدون الطبخ ولا يحسنون الاكل في كثير ولا قليل .

فلما كانت الساعة الثامنة استأنفنا ما انقطع من هذا السفر الشاق ، واذا نحن بعد قليل في الصحراء السورية ، وهي كجارتها العراقية ، طول مدى ، وبعد اطراف ، ووعورة مسلك ، وانقطاع امل

ما هذه الارض الشاسعة المنبسطة امامي ، وما هذا الاديم الواسع المدي البعيد الشقة ، وما هذا الليل الشاحب المعتم لا يتفصد عن نور ، ولا يترقرق عن سماء صافية !!!

لقد تلبد الغيم ، واسود الافق ، واخذت السماء تنذرنا بمطر قريب ، وكانت السيارة تسير سبيلها على ارض الصحراء في سرعة لو سارت بي على اقلها في الارض المتحضرة ، لشاع الرعب في نفسي ، وغمر الفزع قلبي ، ولسألت السائق ان يتريث ، وافهمته اني لست مستعجلاً . واني لست ذاهباً لاطفاء حريق او لانقاذ غريق ..

. . .

لقد اصبح الهواء بارداً ثقيلاً ، وازدادت السماء تعبساً وتجهماً وهدأت الاصوات حولي ، وانتحى كل واحد من السفر ناحية من السيارة وتراخى كل منهم على مقعده يحاول ان ينال حظاً قليلاً من الراحة . وكنت وحدي يقظاً او كاليقظ ، استمع لمرجل السيارة يدوي على ارض الصحراء المترامية الاطراف وكان لا يزال بيننا وبين دمشق عشر ساعات متواليات ، فاستشعرت لذة لا اعرف كنهها ، وعلمت انني استطيع الان الانصراف لنفسي ، احدثها وتحدثني واحاورها وتحاورني ، ولا من رقيب ولا وازع .

. . .

لما كنت في بغداد وتحدثت عن رغبتي في زيارة الكوفة ، لاشاهد اثار الحجاج بن يوسف فيها ، قال لي بعض الاصدقاء !

— انت واهم ان ظننت انك ملاق فيها اثراً لحاكمها الطاغية !!

فقلت لمحدثي !

— اتراني لا اجد فيها بعض هذه الحصى التي حصب بها اهل الكوفة الحجاج يوم مشى الى منبرها يخطبهم ويبسط سياسته لهم ؟

فضحك صديق وقال :!

— وقد لا تجد فيها هذا ايضاً !!

وتتابعت على الخواطر ، وقد ملت الطريق وملني ، ما هذه الرحلة المتعبة ، التي تحملنا على ركوب السيارة مالا يقل عن عشرين ساعة متوالية نقطع فيها هذه الارض الواقعة بين بغداد ودمشق !!

ويثب صدري ، ويتفتح امامي تاريخ العربية في اجل ايامه ، والمجد وقائعه وحوادثه ، فاذكر اجدادنا المغاوير ، يوم قطعوا هذه الصحراء ، منذ

نيف والف وثلاثمائة سنة ، فرساناً وركباناً ، رجالاً وشباباً وشيباً من العراق الى مشارف الشام لنجدة الجيش العربي في اليرموك

واذكر فيما اذكره كيف انهم بعد ان حملوا مشاعل الحرية الى العراق وفارس ، لم يكادوا يستريحون على ضفاف الانهر الرقراقة ، حتى وجههم الخليفة الاول لنجدة اخوانهم ، فرقت نفوسهم لخيالات الامبراطورية البزانطية وشاهدوا على نور فتوحاتهم وتضحياتهم الجديدة، طريق الصحراء باسماً ضاحكاً يدعوهم الى سلوك طرقه ومعابره ومساربه ، فرعشت نفوسهم ، وفاضت افئدتهم ، وظمئوا الى اكتساح العالمين ، وتدويخ الامبراطوريتين ، علهم يعقدون ما بين المشرق والمغرب .

واذا هم بعد قليل يسلكون هذا الطريق الذي نسلكه نحن اليوم ، فلا يملون طول الشقة ، ولا يشكون تعباً ، ولا يفطنون الى عناء ، ثم يدور الزمن دورته ، فتمر اجيال ، وتقطع الحياة مئات السنوات في طريقها الى الحضارة الحديثة ، وما تنعم به من تجديد واختراع . فلا نطيق نحن هذا التعب ، ولا نستطيع تكلف هذا العناء في طريقنا بالسيارات الفخمة الضخمة من بغداد الى امية ، واذا كان هذا يدل على شيء ، فعلى ان اجدادنا كانوا احراراً مالكين ، واما نحن فقد اصبحنا عبداناً مستضعفين . .

ويسير خالد في طريق الصحراء على رأس هذه العصبة البارعة يوغلون فيها ، لا تمر بهم مدينة قديمة من بعيد الا زرفوا اليها ونزلوا بها ، ولا تراءى لهم جبل الا ركبوا غاربه ، ولوحوا براياتهم من فوق قننه وهضابه ، وما يطالعهم معبد للوثنية الا ازالوه ، وبنوا على انقاضه ، مسجداً متواضعاً يكون جامعاً للعبادة ، وصومعة للاعتكاف ، ومدرسة للدرس والتحقيق . .

لقد كان اجدادنا رجالا حقا . رجالا غضيضة عن الشر اعينهم . سباقة الى المعالي نفوسهم ، قد باعوا انفساً تموت غداً بانفس لاتموت ابداً . . . .

من لي بمثل اخلاصهم وتضحيتهم وجرأتهم وبسالتهم ، وحبهم للانشاء والاعمار والتجديد والحياة، لقد كانوا يحملون رسالة محمد وتجديد محمد من اقصى الجزيرة الى البلاد المتحضرة في عهدهم، كانوا يريدون ان يبنوا دنياً جديدة من التضحية والاخلاص والتسامح . على دنيا لا تعرف التضحية والاخلاص والتسامح . . .

. . .

وكذلك مشى خالداً في هذه الصحرا الشاسعة المخيفة ، وقد اظلته الرايات التي اظلته في فتوحه في العراق ، والتي كانت فيناً لابطاله المساعير يقتحمون تحتها الحصون والمدن والصحراوات ، ثم يرفعونها فوق هذه الحصون والمدن والصحراوات . . .

. . .

لقد ارضى العربية من الهاشمي هذا الموقف الذي وقفه بعد الانقلاب، وارضى الوطنية هذا الصمت الذي اعتصم به بعد الاستقالة، كان عظيماً وكان جريئاً وكان ذكياً، وكان يعلم ان الناس يموتون . واما ارض الوطن فتبقى حية خالدة ، وما كان لمثله ان يجهل انه اخطأ في توجيه ذكائه الى ما وجهه له في الاشهر التي خلت ، وكان الى ذلك يعلم ان العراق قد سئمه وملّه ، وان من واجبه ان يترك ساحة الجهاد الى غيره . . .

لقد كان موته مفاجأة مزعجة ، كنت اقدر كغيري من الناس ان هذه الحياة القوية التي تنبعث منه ستمتد الى سنوات اخرى ايضاً، وكنت اعلم ان

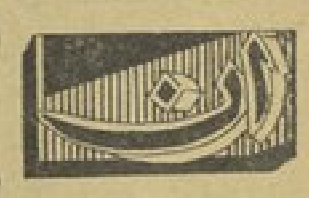
مثله وان كثرت اخطاؤه وتعددت زلاته لن يكون الا عراقياً عربياً مخلصاً يدرك الواقع ، ويعلم ان الخير كل الخير في هذا التحول الجديد ...

تبارك ربي، ما اكثر اسراره ، رجل كان اسمه في العراق والبلاد العربية ملء السمع ملء البصر ، يعتقد الناس فيه الاخلاص ، ويؤمنون بما ينعم من جرأة وذكاء وقاد، فاذا قلدوه امرهم لم يوفق فيما تكلف له من حكم وادارة، واذا هو في الحكم فاتر الرأي بادي الخطل مضطرب الخطط، وفي ذلك دليل على ان القائد البارع ، والمحارب الحاذق ، لا يوفق في السياسة والادارة الا اذا كان ينعم بالعبقرية وبعد الرأي وحسن النظر ، ودقة الفهم لعقلية الامة واتجاهاتها الجديدة

- ٤ -

اعمدة الاستعباد الثلاثة

الساعة الثالثة بعد منتصف الليل



الصحراء التي حولي لا تزال غارقة في بهاء الصبح واما القمر فقد اخذ يطل عليّ من بين السحب واصبح يسيراً ما بيني وبين دمشق .

تركت بغداد يخيم عليها صبح جميل ، كله امل وكله رجاء . واشرفت على امية ، وهي تمشي الى الفجر وتحاول بلوغ النهار .

ما هذا الليل الذي يزحف بطيئاً ، مشبوب الغرام ، لا يلطف ولا يرق ، لقد سئمته النجوم ، ومله الفضاء ، وما يزال على شأنه ثقيلاً عابساً .

لما عزفت عن بغداد وازمعت مضياً عنها كان الصباح قد ملأ الارض انواراً وكانت الشمس قد اخذت ترسل الحياة ضئيلة خافتة الى من كان لا يزال غارقاً في احلامه مستمتعاً بما يشع في هذه الاحلام من جمال وسحر وخيال وفن .

وكثيراً ما كان يدور في خلدي في هذه الساعات التي قضيتها في الصحراء وفي فترات متقطعة من هذا الحديث النفساني الذي كنت احاول الاتصال

بواسطته الى اعماق نفسي ان اسائلها : هل يستطيع شباب العرب اعادة هذه الامجاد الغابرة على منوال جديد يساهم في هذه الحضارة الجديدة التي تشع في اوروبا والتي تملأ الارض جمالاً وروعة وقوة ومضاء . وكنت اضع يدي على صدري ائلمس نبضات فؤادي لعلي استشعر بقوته واطمأن الى صلابته وقدرته على الاحسان والابداع والانشاء . .

وكان يخيل اليّ ان استمع الى صوت يناديني وينادي كل فتى عربي مِلء بردته مجد ، بان العالم الذي بناه محمد في ماضيات الايام لا يزال حياً وما يبرح جديداً ، واننا اذا اردنا ان نحيا الحياة الحرة التي ارادها لنا فان ارض الوطن نفسها تمدنا بما نزيده من حياة ومواد للانشاء والاعمار . فاذا انتظمنا صفاً واحداً وجماعة واحدة وازمعنا المضي في التجديد والاعمار واستوثقنا من قدرتنا على بناء المدن والصروح والمزارع . فقد لا يكون الزمن الذي نصل به الى مساوقة الغرب في حضارته بعيداً ولا قصياً . .

. . .

فيم افكر ، وبماذا ابحث ؟ لقد خلعت ليلا ما ذقت فيه النوم ولا عرفت فيه حلاوة الكرى ، وان موضوعي ليملك علي جوارحي ، وبودي لو انتهي منه قبل ان اشرف على دمشق . . .

عرضت في الفصول السابقة وبشيء كثير من الخفة واليسر الى الاخطأ التي وقعت فيها الوزارة الهاشمية واهمها الاسراف المفضوح في اموال الامة ، واقالة الموظفين الشباب لغير ما سبب الا انهم لا يؤيدون الوزارة في سياستها واضطهاد الناس وايذاء المعارضين وعدم العناية بالجيش العناية اللازمة وسوء الادارة بحيث ثارت العشائر على الحكومة ، فاضطرت هذه لتجريد

الجيوش لاخماد ثورتها ومقاتلة ابناء البلاد وهدم منازلهم ومطاردة شبابهم ورجالهم والانتقام من ذويهم وانصارهم مما جعل العراق ممزقاً مقسماً يضرب بعضه بعضاً وتحارب فئة منه فئة اخرى وهذه ظاهرة نستطيع ان نقول انها من اعظم الرزايا التي حلت بالعراق ومني بها القطر العربي الاشم شعباً وقبيلاً

ولعل من اكبر اخطأ الوزارة السابقة انها قامت اول امرها على عاتق فئات ليس فيها من يعمل لمصلحة بلاده او يفكر في خير العراق ونجاح شعبه . . .

ومن غريب الامر ان هذه الفئات موجودة في كل موطن من مواطن العربية وهي ابداً حجر عثرة في سبيل استقلال هذه الاقطار وتقدمها وقد لا افشي سراً اذا قلت ان من اهم هذه الفئات رجال الدين الذين ليسوا من الدين في شي. والذين يتاجرون باسم الدين . والطبقة الاقطاعية التي تسيطر على كثير من الاراضي الزراعيه ثم اصحاب الاموال من ابناء البيوتات البائدة المنقرضة ومن لف لفهم من ضعاف الوطنية وضعاف الاخلاق .

. . . .

ليس من حسن الرأي ولا من الوطنية ان يخرج هذا الكتاب للناس وليس فيه فصل يعرض لبعض رجال الدين الذين يتكلفون الدين، بشيء من النقد رقيق . .

ولسنا في الوقت نفسه نحاول اطلاق هذا النقد على علاته ودون ما تحديد لوجوهه وتعيين لاغراضه لان الله اكرم من ان يجعل رجال الدين جميعهم في صعيد واحد وهو جل جلاله ارحم بعباده من ان يتركهم كالقطيع دون ما وازع رشيد وامام رفيق . . .

ولكننا نريد ان نعرض لبعض رجال الدين ونريد ان نبحث هذه النواحي السياسية التي يتكلف بعض رجال الدين التسلل اليها والنفاذ الى مزالقها والتدخل في شؤون الامة الدنيوية والاستئثار بمصالحها واغراضها والمضي في هذا الاستهتار الى ما لا نهاية له ارهاقا للقضية الوطنية واستئثاراً بمختلف المصالح العامة يوزعونها على انفسهم وذويهم وانصارهم واعوانهم ، ويزيد بعضهم ندى فيكون عوناً للاجنبي على الوطن وابناء الوطن ومعواناً له على استعمار البلد واستذلال اهله وايذائهم في انفسهم واموالهم وفي دينهم وعقائدهم والاعتداء عليهم بمختلف السبل وشتى الاحابيل

والواقع انه يمر بمختلف الافراد وشتى الجماعات زمن يحسنون فيه الظن بمن يرتصد طريقهم من رجال واحزاب وهيئات ، وقد مر بي زمن احسنت فيه الظن بكل من ضرب في العمر بسهم ، اواتصل بالدين بنصيب ، فكنت في غابرات الايام ، ومستهل الفتوة احاول الاتصال بمشايخ البلد ما استطعت ، واسعى الى مخالطتهم ما كان الى ذلك سبيل .

وكان المجلس في عهدنا يعج بالمصلين وكان يختلف اليه الناس الواناً واجناساً وكان الشيوخ الذين يتناوبون التفسير والدرس فيه اهل علم وصلاح واخلاص .

ويمضي الزمن وتسير الايام سيرتها ، فاذا بنا نقع على شيوخ بعدت بينهم وبين الماضي الشقة ، واذا الدنيا قد تبدلت ، واذا الارض غير الارض ، واذ في بعض الشيوخ الحاضرين صلاح ظاهر وغلظة وجفاء عن الحق ، ولين الى الباطل يكاد يدفع بالشك الى قلوب الشباب من امثالنا ، ثم فيهم هذا السعي الملح الى عرض الدنيا ، وهذا التأييد المفضوح لاولي الامر من قريب وبعيد ..

واعود بالفكر الى عهد الامام الشيخ محمد عبده وان كنت لم ادركه، فاذكر جهاده في سبيل الدين ، وشيوخ الدين ، وكيف كان يعمل ليرفع مستوى المشيخة في عهده ، وكيف راح (الشيوخ) يسدون في وجهه المسالك ويحولون بينه وبين الاصلاح الديني الذي ينشده والذي نحن باشد الحاجه اليه ، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

وليس من ينكر اليوم . موقف شيوخ الدين في دمشق وبيروت وغيرهما من الاقطار العربية من الاستعمار ورجال الاستعمار في البلاد العربية بعد الحرب العامة ، فقد كان هؤلاء باكثريتهم يداً مع المستعمر على ابناء وطنهم ودينهم وكانوا ابداً عوناً لهذا المستعمر على استعماره ، وسيفاً مسلولا من سيوفه . وكانوا في عملهم هذا يساوقون رجال الاقطاع واصحاب الاموال والبيوتات في مقاومة الاستقلال والحريات التي تخلق في الشعوب العربية روحاً جديدة ، يخشون ان لا تكون لمصلحتهم ، وان يتصل هذا الاستقلال بمصالحهم فيدكها دكاً ، ويردهم الى المنزلة التي يجب ان يكونوا فيها ، فلا يتخطونها ولا يخرجون منها .

ولا انكر خطر هذه الذهنية على شيوخ الدين ، فهي تهدد مكانتهم الادبية عند مختلف الطبقات الشعبية ، وهي تحول بينهم وبين الاصلاح الديني الذي يجب ان يكون رائدهم في شتى اعمالهم ، وهي ابداً تضير الدين نفسه عند اصحاب النفوس الساذجة ، واما عند المثقفين فقد تدفعهم الى ترك الشيوخ وشأنهم ، لا يفطنون لهم ولا يعتبرون لهم وجوداً ، لانهم افهم للدين وواجباتهم الدينية من سواهم ، وهم ابداً يعلمون انه لا كهنوت في الاسلام وليس احد منهم ليفترض ان يكون الشيخ مهما سمت مكانته واستطار فضله وسيطاً بينه

وبين ربه . ارأيتك وانت تقرأ اخبار السلف الصالح اكان يدور في خلدك ان تسائل نفسك عن تقوى الشيخ وصلاحه، وعن علم الشيخ وثقافته وعن خلقه وطهارته ، فقد كان هذا امراً مفروغاً منه ، كان واجباً حتماً على من يلتمع شعار الاسلام في رأسه، ان يكون هيناً ليناً تقياً صالحاً وطنياً مخلصاً ، لا تمتد يده الى عرض الدنيا ، ولا ينصرف به الفكر الى مركز او منصب ، همه خدمة ربه وعباد ربه ، وشأنه الترويج لمكارم الاخلاق وجميل الصفات ، والاحسان في الحياة ، والعمل لخير المجموع ، والسعي لاشرف المثل العليا . .

واما اليوم فماذا تقول : فينا علماء اعلام ، وشيوخ كبار ، بلغ بعضهم في بيروت والشام ومصر والعراق وغيرها من مدن العالم العربي ، اسمى مراكز الدولة وارفع مناصب الحكم ، فما ردهم خوف الله وسلطانه عليهم من العبث والسرف ، ولا همهم دين يردعهم عن الخطل في الاحكام والاسفاف في الحكم وبيع ارض الوطن بيع السماح ، ولا جال في خاطرهم ان هناك في الحياة اموراً حرمها الشرع، وحذرت منها الديانات فما يصح لاحدهم ان تمتد يده الى مال سواه وغيره، بل ولا الى طعامه اذا ألقي في روعه انه طعام قد دخله ما لا يحل، ونحن في هذا ما نذكر ظاهرة معينة ، ولا نرمي الى حادث مقرر منظور فهذه امور شأنها بين المرء وربه ، وانما نحاول التلويح الى هذا التقدم الذي بلغه بعض رجال الدين في هذا المدى القصير من الاعوام .

وكنا نود لو كان ذلك بالامكان ، ان يكون هذا التقدم في غير هذه الظاهرة ، كنا نريده في مظاهر الحضارة الحديثة يوفق شيوخنا بينها وبين النظم الدينية القائمة ، حتى لا يظل الغرب يقول : ان الاسلام يدعو الى الجمود ، وينكر الوان التقدم ، ومظاهر الرقي والحضارة

وشيء آخر ايضاً وهو اننا نريد ان يفهم شبابنا الاسلام كما اراد الله ان نفهمه وكما اراد محمد ان نسيغه، وعليهم ان يعلموا ان الاحكام تتغير بتغير الاحوال والازمان

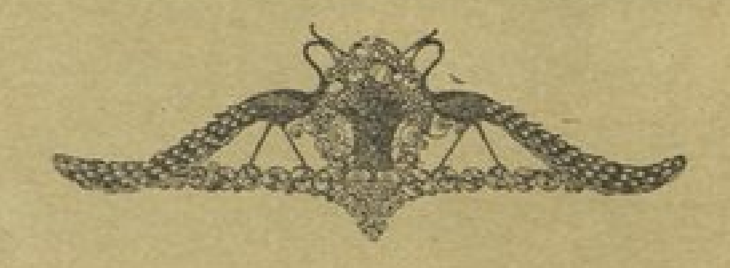
وما ضر المسلمين في عصور الظلمة الا تواكلهم وتخاذلهم واتكالهم على غير ما امر الله بالاتكال عليه، ظانين ان هذا من الدين وما الدين الا جد وعمل وسعي وراء ما ينفع الانسان في دينه ودنياه . وقد قال الرسول الاعظم : « ليس بخيركم من ترك دنياه بآخرته ولا آخرته بدنياه حتى يصيب منهما جميعاً »

وما الخمود والجمود اللذان استوليا على الامة الاسلامية الا عارض عرض لها بتأثير ما طرأ على الاسلام من تعاليم متصوفة اليونان والهنود وغيرهم حتى كادت تصبح هذه التعاليم عند بعض المسلمين عقيدة يجب الاعتصام بها . والتصوف بهذا المعنى قد ضر بالمسلمين ضرراً لا تزال آثاره ماثلة حتى يومنا هذا، فالاسلام دين يعطي الروح حقها والمادة حقها ويطلب من متبعيه ان يكونوا اقوياء في اجسامهم، اقوياء في كل شأن من شؤون حياتهم . .

فاذا رجع المسلمون الى تقوية الروح والمادة، معتصمين بالماضي، قائمين بما يتطلبه الحاضر، صلحت احوالهم وانتعشت آمالهم وحققوا بذلك المثل الاعلى الذي يصبو كل مسلم حقيقي اليه . واذا اعتصموا بدينهم غير ناسين دنياهم كان اعتصامهم هذا داعياً لترقية الوطن الذي يسكنونه وساعداً قويا يستند اليه اخوانهم في الوطن فكان من ذلك ائتلاف ابناء الوطن الواحد على اختلاف مذاهبهم واديانهم وسيرهم جميعاً في نهج قويم يساعد على بلوغ الامة والوطن ما يصبوان اليه من السعادة .

لقد كان محمد بن عبدالله رقيقاً شفيقاً ، كان ابن امرأة من قريش تأكل خبزها جافاً ، مضحياً بنفسه وهنائه وسعادته في سبيل المصلحة العامة ، داعياً ابداً لقومه الجاهلين مباركاً الفقراء والمكدودين والمستضعفين ، ما فكر يوماً ان يساوق قيصر في ترفه وبذخه ، او يساير كسرى في كبره وعنفوانه ، كان من الشعب ، وابن الشعب ، وظل للشعب حتى اخذه الله اليه ، وكان خلفاؤه من بعده على غراره . واي حديث في الاسلام اعذب من حديث ابي بكر وعمر وعلي ، الذين أفنوا حياتهم في سبيل المجموع ، والذين ضحوا بانفسهم في سبيل البائس والعاني والفقير والمستضعف ، يدللون بذلك ، ان الامام سواء أكان من رجال الحكم او من شيوخ الدين ، يجب ان يكون دائماً وابداً للجميع ، يعمل للامة ويعيش للامة ويموت في سبيل الامة ..

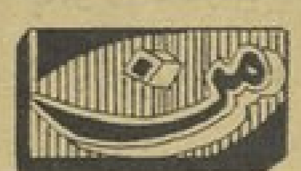
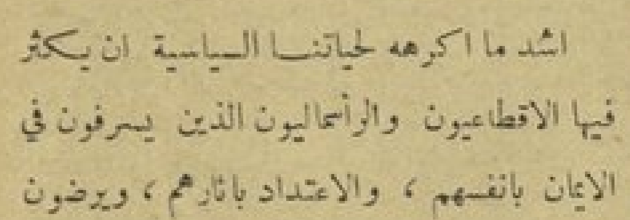
ومن الخطل ان ارسل كلمتي هذه على اطلاقها فان هناك بين رجال الدين من لا يزال يترسم سبيل محمد ورجاله ، وقد عرفت ان من هؤلاء من يعيش في النجف وكربلا ، ومنهم من يعيش في بغداد ، ومنهم من يقيم في المواطن العربية الاخرى ، ولكن امثال هؤلاء قليل وعسى ان يبارك الله فيهم ، وينفع العرب بعلمهم ، ويساعدهم على التجديد ليعود الى الاسلام لمعانه السالف ، وجماله الماتع الغابر ...



— ٥ —

اعمدة الاستعباد الثلاثة

— ٢ —

اشد ما اكرهه لحياتنـا السياسية ان يكثر فيها الاقطاعيون والرأسماليون الذين يسرفون في الايمان بانفسهم ، والاعتداد بآثارهم ، ويرضون عن الحياة السياسية المستعبدة لا لشيء ، الا لانهم من ابطالها الظاهرين فيها ، الناعقين في بوقها ، الناعمين بخيراتها ، فامثال هؤلاء ابعد الناس عن الخـير ، وانكرهم للأصلاح ، وارضـاهم للاستعمار والاستعباد ، وويل للبلد الذي يكثر فيه امثال هؤلاء ، وويل للحريات والامجاد حين يفرض هؤلاء ارادتهم على سياسة الوطن وارض الوطن . . .

والواقع اني من الذين يؤمنون بالحرية الذاتية والملكية الذاتية ، فلا مجال والحالة هذه الى ذهـاب بعضهم في توجيه كلامي هذا الى غير وجوهه وغاياته . . .

ولست اجهل الى هذا كله ، ان المجتمعـات العمرانية الانسانية قد ذهبت مذاهبها المختلفةوهي متنائية اقطاراً ، متباينة ادياناً ، مختلفة لغات ، متباعدة عادات ، لتفضي الى هذه الغاية ، ولم تكن هذه الغاية مما رسمه الفلاسفة ، او اختطه اهل الشورى ، بل كانت نتيجـة النمو الغريزي الذي يدفع كل امة ذات مدنية قليلة او كثيرة نحو الحرية والملكية الذاتية .

وقد كانت من نتيجة هذا التقابل في تقدم الحرية الذاتية والملكية الذاتية ، ان ازدادت مسؤلية الانسان وعظم انتفاعه بكده وحزمه ، واشتدت عليه عقبى اغاليطه ومعايبه ، وازهرت المجتمعات وسعدت بما نهض من عزائم افراده .

ولكن الذي احاول انتقاده في هذا الفصل هو هذه الطبقة الاقطاعية التي لا تزال موجودة في البلاد العربية حتى يومنا هذا ، والتي عانى العراق منها ما عانى قبيل الثورة العراقية وبعدها وفي خلال الحكم الوطني ، والتي تساوق بعض شيوخ الدين في تأييدها للمستبد والاجنبي والحاكم الظالم ، ما كانت مصالحها مرتبطة بمصالحه ، وما دام يعني بمطالبها ، ويساعدها في استبدادها واستئثارها ..

وليس من يجهل ان الانكليز قد وجدوا في العراق وفلسطين ومصر من هذه الطبقة ، طبقة اصحاب المزارع والاطيان الواسعة كل تأييد وتعضيد ، وليس من ينكر ما لقي الانتداب الفرنسي من هذه الطبقة ايضاً من العطف والمساعدة والتزلف والتأييد .

والواقع ان مرد هذه الظاهرة يعود في اكثر الاحيان الى ان الطبقة الاقطاعية لا تتصل بعامة الشعب في كثير ولا قليل ، لا تشعر بشعوره ، ولا تحس باحساسه ، فهي في الواقع غريبة عنه ، بعيدة عن عواطفه وقلبه ..

واذا اضفنا الى ذلك ضعف روح الوطنية والاخلاص فيها ، واهتمامها الاهتمام كله باغراضها المادية ، ومصالحها الخاصة ، وجدنا لها عذراً في موقفها هذا ، لانها غريبة عنا ، بعيدة منا ، ولولا هذه الاراضي الوسيعة التي تمتلكها في ارض الوطن ، لماعاشت بيننا ، ولا حاولت ان تكون منا ...

وموقف هذه الطبقة في البلاد العربية كثير الخطر على استقلال البلاد بعيد المصاير في حرياتها ، وقد رأينا كيف ان الاراضي التي تمكن الصهيونيون من الاستيلاء عليها في فلسطين كانت اراض يملكها اقطاعيون من اصحاب الاملاك الوسيعة، واما صغار الملاكين فقد منعتهم وطنيتهم من التسليم لليهود بشبر من املاكهم ، ولكن الاقطاعيين كانوا بعيدين كل البعد عن هذه الروح السامية ، فهم اول من باع ارض الوطن فكانوا السبب المباشر في هذه الدماء التي اهرقت في فلسطين، كما كانوا السبب المباشر في فشل الثورة السورية ، والثورات العراقية ، واكثر الثورات التي وقعت في الشرق العربي في السنوات التي تلت الحرب العامة،ومن البديهي انالعقلية الضيقة الرجعية التي تسيطر على رجال الاقطاع ، فتضعف فيهم روح الوطنية ، وتوجههم في سبل تخالف رغبات الامة ومطالبها ، كما تحملهم على عدم العناية بالاراضي الوسيعة التي لديهم ، وتدفعهم الى اضطهاد فلاحيهم وازدرائهم، واستعبادهم وايذائهم ، وتركهم في حالة اقرب الى حالة البهائم منها الى الانسانية ، تجعل من الاقطاعيين خطراً لا يقل في نظري عن خطر الاجنبي ينزل ارض الوطن للاستعمار والاستعباد .

ولست افشي سراً حين اقول : ان تاريخ سوريا ولبنان في السنوات التي تلت الحرب، كان عبارة عن جهاد مستمر بين شباب يريدون الحياة حرة مستقلة، وبين الانتداب ومن يؤيده من السوريين واللبنانيين الذين كانوا يؤلفون عصبة من الطبقات الثلاث ، رجال الدين ، والاقطاعيين ، واصحاب الاموال واما القول بان بعض هؤلاء قد انضم الى شبابها الوطني وحارب في صفوفهم ، فهذا نادر ، ولا عبرة بالنادر ، ولكنني استطيع القول ان هناك جماعة من هذه الطبقات الثلاث كانت تمثل دوراً مزدوجاً ، فتعمل مع الشباب الثائر حيناً ،

وتناصر السلطات الاجنبية حيناً آخر ، وكانت في مناصرتها للاستعمار اصدق قولا ، وامضى سلاحاً . . .

وفي العراق من هذه الطبقة عصبة موفورة العدد كما علمت،وقد كانت في ادوار حياتها المختلفة ، وباءً متصلاً وشراً دائماً ، خذلت شباب العراق ، ورجالات العراق ، وقاتلت الثورات التحريرية ، وايدت كل مستبد طاغية ، فوجد فيها الطغاة معوانا ، ووجدوا بينها انصاراً كانوا شراً على ابناء بلادهم من الاستعمار في ابشع صوره ، واشد ايام حكمه بلاءً وشراً . .

. . .

والواقع ان داء العراق والبلاد العربية ظاهر واضح ، وهو في العراق اشد خطراً ، وابعد اثراً ، لان الاقطاعية في العراق تتميز بميزتين لا توجدان في الاقطار الاخرى، اولها: انها مسلحة ، وثانيها : انها قبلية وعشائرية ، لان الاقطاعي في العراق هو عادة رئيس قبيلة ، واتباعه لا يمتون اليه بالصلة الاقتصادية فحسب ، بل بصلة التكتل العشائري ايضاً ، وكلهم مسلحون ، ثم انهم الى هذا كله لا يرون كبير امر في محاربة الشخص الذي يريد تحريرهم اذا ما اصدر اليهم رئيسهم الامر في ذلك ، وسبب ذلك انهم لا ينعمون بالروح القومية ، ولو كانوا ينعمون بها لقامت عندهم مقام الروح القبيلية ، وسيظل هذا شأنهم ما برحوا اميين جاهلين . .

وللوصول الى الغاية المرجوة من تحرير ابناء العشائر لا بد للحكومة وشباب العراق المفكرين من السعي الى بث روح القومية بينهم وفتح المدارس في امصارهم واقطارهم وقراهم ومزارعهم ، فالتعليم هو السبيل الوحيد للخلاص من الاقطاعية ، وخلق العراق خلقاً جديداً في

كل الوان الحياة الجديدة .

. . . .

واما اصحاب الاموال – الا اقلهم – فقد كانوا في مختلف البلاد العربية على غرار من ذكرنا من الشيوخ والاقطاعيين ، وكان اقصى اماني هؤلاء ان يصلوا للوظائف والمناصب العالية يوطدون بها مركزهم المالي والاجتماعي ، وقد بلغت القحة ببعض هؤلاء في الامصار العربية ان ظنوا هذه الامصار من اقطاعات جدودهم ، واملاك آبائهم ، فراحوا يمشون فيها مشية الامير في بستانه ، وذهبوا يمعنون في مصالحها واغراضها الاستقلالية واموالها تمزيقاً وتقطيعاً ، لا يكلون الى فاضل عملاً ، ولا يعتبرون لشاب وجوداً ، واقسم بالله لو اتيح لهم المكسب بحرق البلد ونسفها ما تأخروا عن ذلك ولا احجموا عنه ، وماذا يهم المرتزق الذي ليس له فضيلة يخشى عليها ، ولا اسرة يتقي ان تصيبها معرة جهله ونقائصه ، ألا يكون مصيبة البلد ، وفضيحة الامة وان يكون همه بطنه ، وهمته نفسه وألا يبيع البلد بيع السماح ...

ولولا ان شر هؤلاء قد تعداهم الى الوطن ومصالح الوطن ومصاير الوطن ، لما عرضنا لهم بخير ولا شر ، ولكنهم قوم قد بلغ بهم الشؤم ان شوهوا وجه الوطنية في قلب الفلاح والمزارع وعامة الناس ، ووقفوا بين هذه الطبقة الساذجة وبين انوار الحياة ، فضيقوا عليها السبل ، وحظروا عليها ان تتحرر من عبوديتهم وعسفهم ، وراحوا ينعمون بكدها ، ويعيشون من جهودها وكدحها ، لا يفرضون لها وجوداً ، ولا يسمحون لها ان تعيش الا مأجورة عاملة مستعبدة فقيرة بائسة . .

ويقف بنا الفكر حائراً حين نحاول التاريخ لهذه الطبقة من البشر ذلك

اني لا اذكر لاحد منهم – الى في القليل النادر – عملاً انسانياً ، او امراً نافعاً، فليس في البلاد العربية من ادناها الى اقصاها – على ما اذكر – مستشفى شيده باله واحد منهم، ولست اذكر مدرسة ارصد لها احدهم من الاوقاف ما يمكن لها في الحياة والاحسان، وانكى من ذلك انهم ابعد الناس عن التضحية في سبيل الوطن العزيز الذي ينعمون بخيراته ويعيشون من كدح اهله وجهود عماله ، وقد رأيناهم في الحرب الاخيرة يتهربون من الجندية ويتخلفون عن كل ثورة وطنية، فاذا كان امرهم مع الحكومة دفعوا البدل النقد وقبعوا في منازلهم ينصرفون الى مختلف الوان العبث واللهو والسرف والشراب، واذا كان الامر مع طلاب التحرير ودعاة الاستقلال عملوا على خذلانهم ، واشاعوا بين الناس ان حركة الشعوب الحديثة نحو الحرية ليست هي الا دسيسة يهودية بثوها في مدن التجارة وروجوا لها في جماعة الماسون ونشروها في اسواق المعاملات فصادفت قبولاً عند بعض الناقمين على المجتمع من رجال القلم وانصار كل تبديل وتغيير ...

واذا كان الاقطاعيون وابناء البيوتات في بيروت ودمشق وفلسطين لا ينعمون بما ينعم به الاقطاعيون من رجال العشائر في العراق من سلاح ورجال، فانهم الى ذلك يؤلفون عصبة تحاول التهام الاخضر واليابس من مصالح الدولة وموارد الخزانة، وكانوا في بيروت ودمشق يسيرون على خطة غريبة حقاً كانوا ينادون بالوطنية ويحاربون الانتداب، ثم لا يرون كبير امر في دخول المجالس النيابية وقبول الوظائف الادارية في مختلف الشركات الاستعمارية تحت سماء الانتداب، ثم كانوا لا يرون كبير امر في الامعان في موارد الدولة باسم الزعامة وباسم البلاد، وقد طالت بنا الايام فرأينا بعضهم يبيع الحكومة القائمة جزءاً

من املاكه بمبالغ تفوق ثمنها الحقيقي اضعافاً مضاعفة ، وكانت الحكومة في لبنان وغير لبنان لا تجد صعوبة في استجلاب هؤلاء اليها بمختلف السبل وشتى الاحابيل تجعل من صدورهم مطية للوصول الى اغراضها وتثبيت مركزها .

والواقع ان هذه الجماعة كانت تقوم من الانتداب ومصالح الانتداب بوظيفة (الاطفاء) فاذا اشتعلت ثورة اخمدوها ، واذا رغبت فئة في الدعوة الى الاصلاح اسكتوها ، واذا حاول بعضهم الهاب الناس واحماسهم ، تثاقلوا عن تأييده ، وارسلوا شياطينهم لتثبيطه واغراء الغوغاء به ، ثم يذهبون الى السلطات القائمة يساومونها في هذه (العملية الاطفائية) فينالون منها الوظائف والامتيازات ، يوزعونها على اقربائهم وانسبائهم الذين اصبحوا يخوضون في الحرير والديباج بعد ان كانت الدماء التي تسيل من ارجلهم الحافية ترسم خطوطاً حمراء على اديم الارض . . .

وادهى من ذلك ان هذه الجماعة من الاقطاعيين وابناء البيوتات لا تنعم بشيء من العلم والثقافة ، واكثرهم لا يحسن القراءة ولا يعرف الكتابة ، وهذه الظاهرة اظهر ما تكون بروزاً في بيروت من الاقطار العربية حتى ليصدق فينا قول الكولونيل لورانس — الذي اشتهر في الثورة العربية — في كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » : ان بيروت تنعم بظاهرة غريبة ينادي اهلها بالوطنية وهم لا يأبهون لها ولا يعملون في سبيلها ، واظهر اخلاقهم بروزاً سعيهم وراء الدرهم ، والعمل لمصلحتهم الخاصة »

واذا نحن عتبنا على المرحوم الهاشمي فلأنه لم يفطن الى ان في العراق جماعة غير هذه الجماعة ، والى ان في العراق شباباً يريدون الحياة حرة شريفة ، ويريدونها ظاهرة ديمقراطية ، بحيث يتمكن كل افراد الشعب من العمل يداً

واحدة على انهاض العراق ، وتعزيز العراق ، وتحرير العراق . . .

اننا من امة تمشي مضطربة الى حرياتها ، وتمعن في الجد لتظفر باغراضها وآمالها ، فاذا ادارت بصرها يمنة او يسرة ، لا ترى الا هؤلاء واشباههم في سبيلها يقفون بينها وبين الحريات الكاملة غير المنقوصة حائلاً وسداً ، ومن المؤسف ان هؤلاء يملكون كراسي الحكم ، وينعمون بالمال ، وكم افسدوا باموالهم من قلوب ، وشوهوا من اغراض ، ولكننا في الواقع لا نعرف اليأس ، ولا نفطن للفشل ، نمضي في سبيلنا لا يهمنا من يقف في طريقنا ، لاننا على مثل اليقين من ان الشباب المثقف وحده ، هو الذي سيعز هذه الامة بعد عز ، ويدفعها الى الاستقلال بعد الاستعمار ، ويبعث فيها روح التوثب والنهوض ، ويفيض عليها حلل العزة والكرامة ، ويفتح عليها ابواب الرخاء ، ويسوق اليها النعم اصنافاً والواناً ويغمرها عطاء واحساناً ، فتنافر الامم في حضارتها ، وتسابقها في مدنيتها ، وتمضي على رسلها لتأخذ في التجديد والانشاء لنفسها من كل ملة ودولة ، احدث فنونها وادق صناعاتها ، وارقى علومها وحضارتها ، فيكون بطوقها ان تدحض كل حجة تقوم على تأخرها ، و كل فرية تردها عن استقلالها معترفة بحاضرها وماضيها ، معتزة بحواضرها وبواديها . . .

. . . . .

نحن الشباب دعاة ديمقراطية وحرية ، ولكننا نأبى ان نكون دعاة جماعة من الاقطاعيين واصحاب الاموال ، وجهلة البشر ، والدولة التي تقوم على سواعد هؤلاء ، تكون دولة لا تنشيء حضارة ، ولا تؤيد حرية ، ولا تنعم باستقلال . . .

واذن فنحن نريد دولة يكون كل افرادها وسكانها شركاء في المنافع والمصاعب ، والخيرات والعقبات . . . بطريق مباشر وبطريق غير مباشر .

نريد دولة يشعر كل فرد من سكانها انها دولته وان ارضها وطنه ، وان عليه حين يجد الجد ، ان يدافع عنها بصدره ، ويموت في سبيلها باسما راضياً . . .

نريد دولة تعمل للجميع لا لطبقة واحدة ، ونريد حكومة تشعر بمسؤولياتها نحو الفقير والبائس والعاجز والمسكين كما تشعر بواجباتها نحو التاجر الكبير ، والمثري العظيم ، والمزارع الواسع الاطيان . . .

ومن المؤكد انه من الصعب انشاء دولة لا يشعر اكثر سكانها بانها منهم ، وانهم منها ، ولا يؤمن اكثر ابنائها بان من يجلس على كرسي الحكم فيها ، ليس غريباً منهم ، ولا بعيداً عنهم . . .

نريد دولة تقدر الشباب ، وتؤمن برغبة هذا الشباب في الاحسان والانشاء ، ونأبى كل دولة تتنكر للشباب ، وتعمل على ايذاء الشباب ، كما كانت الحال في العراق لاشهر خلت ، وكما هي الحالة في بعض البلاد العربية حتى هذه الساعة ، ولقد رأينا في الماضي كيف كانت تحاول بعض الحكومات السالفة في العراق ابعاد الشباب وانكار حقهم في الحياة ، فكانوا اذا اندفع واحدنا بشيء من اليسر الى خدمة عامة ردوه وابعدوه ، وان وقف في الناس خطيبا قاطعوه واذا نشر للقوم رأيا اتهموه بالكفر وتسللوا الى شياطينهم يحوكون حوله الدسائس ، ظنا منهم ان هذا الايذاء والعدوان قاتل فيه ثورة الشباب وحماسة الفتوة . .

نحن الشباب لا ننكر النيابة ، ولا نحارب النظم البرلمانية الا اذا

تعدت هذه النظم واجباتها ، فطغت على المصالح العامة ، واستعمل النواب نفوذهم لترويج مصلحة وجر مغنم ، ولكننا ننكر ان تمتد بلاهة القدر الى الاغبياء والجهلة ورجال الاقطاع فترفعهم من حيث كانوا لا يعرفون اتشرق الشمس في السماء ام في الارض ، ويعبر البحر بالطول ام في العرض ، الى ندوة برلمانية ، اهلها قوام على الحكومة ، ورقباء على الوزارة واصحاب رأي مطاع في شؤون الدولة ، وذو سلطة تشرع النظام ، وتفرض الشرائع ، اشارتهم امر، ورأيهم قضاء ، واهون ما ينتظر منهم ان تكون لهم عقول لا يلتبس عليها المسك والتراب ، وعلم لا يحارون معه ايدخلون الدور من النوافذ ام من الابواب .

. . . . .

لقد افضى اليّ تشرفي بمقابلة صاحب الجلالة العراقية بفجر جديد في حياتي ، فادركت اني امام الروح الثائرة والاخلاص الذي تعدى افق العراق فغمر العروبة من ادناها الى اقصاها ، واستشعرت اننا في عهده مقبلون على فجر جديد سيكون ماتعاً حقاً ، جميلا ابداً ، موفور الكرامة ، بعيد المدى في الاستقلال والحرية ...

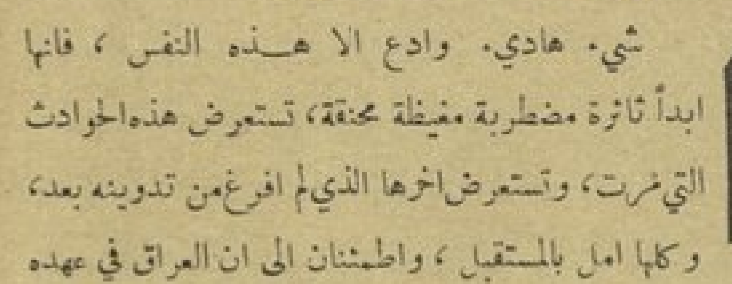
وكذلك اشرفت على دمشق ، والصبح يهم بالاشراق ، فاذا انا بين صبحين ، صبح رب هذه الكائنات جل جلاله ،

وصبح سيد شباب العرب جلالة غازي الاول ملك الرافدين ، وما وراء الرافدين من امصار وعواصم ...

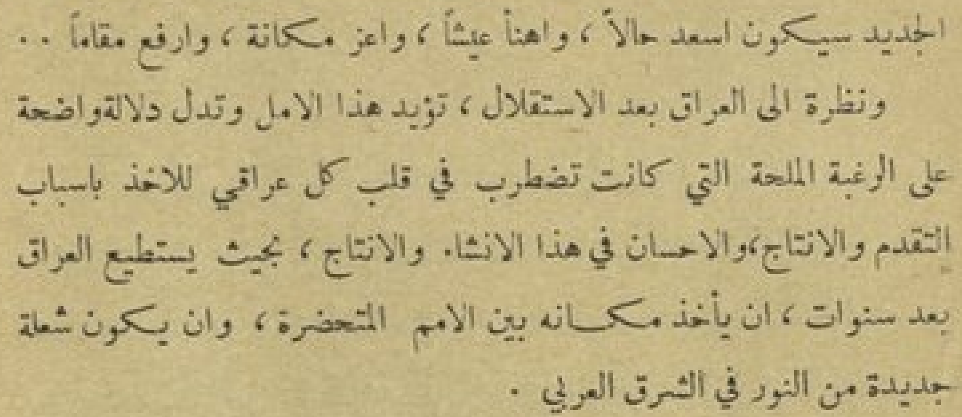
— ٦ —

قبيل الانقلاب

كل شيء هادىء وادع الا هـذه النفس ، فانها ابدأ ثائرة مضطربة مغيظة محنقة، تستعرض هذه الحوادث التي مرت، وتستعرض اخرها الذي لم افرغ من تدوينه بعد، وكلها امل بالمستقبل ، واطمئنان الى ان العراق في عهده الجديد سيكون اسعد حالاً ، واهنأ عيشاً ، واعز مكانة ، وارفع مقاماً . .



ونظرة الى العراق بعد الاستقلال ، تؤيد هذا الامل وتدل دلالة واضحة على الرغبة الملحة التي كانت تضطرب في قلب كل عراقي للاخذ باسباب التقدم والانتاج، والاحسان في هذا الانشاء والانتاج ، بحيث يستطيع العراق بعد سنوات ، ان يأخذ مكـانه بين الامم المتحضرة ، وان يكون شعلة جديدة من النور في الشرق العربي .



ولكن الوزارات التي قامت في بغداد لسنوات خلت لم تفطن كما يظهر الى هذا الواجب المقدس ولم تقم بالقسط المفروض عليها من الانشاء كل القيام ولو انها قامت بواجباتها من تنظيم المرافق الاقتصادية وتعزيز المعارف ، واقرار العدل والاحسان في مختلف مرافق الحياة العامة ، لما كان بطوق الهاشمي وغير الهاشمي ان يسير على هذه السياسة الديكتاتورية التي سار عليها والتي وجد لها ارضاً خصبة في الاخطاء التي سلفت ، والفوضى التي كانت تغمر الاوسـاط السياسية ، والتي امتدت منها الى المرافق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . .

ومن المؤكد اليوم ان فشل الوزارة السابقة في سياستها الداخلية يرجع في اسبابه الاولى الى الطريقة التي وصلت بها هذه الوزارة الى كراسي الحكم

ففي اوائل عام ١٩٣٥ بدأت العشائر المقيمة في ابي صخير والدغارة (في لواء بغداد) تعلن تذمرها وتهدد بالتمرد ، فاستقالت عندئذ وزارة السيد علي جودت ، وقامت مكانها وزارة السيد جميل المدفعي ، فلم تعبأ العشائر المذكورة بهذا التحول ، وتمردت على موظفي الحكومة ، وامتنعت عن دفع الضرائب ، واخذ المتمردون يجبون رسوم العبور على الجسور واحتلوا بناية الري في الدغارة ، واخذوا يطالبون باستقالة الوزارة المدفعية ، وبعض المطاليب الاخرى ، فاستقالت الوزارة المدفعية ، وعهد جلالة الملك الى ياسين باشا الهاشمي بتأليف الوزارة الجديدة التي اشترك فيها جعفر باشا العسكري ، ونوري باشا السعيد ، والسيد رشيد عالي الكيلاني .

ومن غرائب الصدف انه ما كادت تتألف الوزارة الجديدة حتى اعلن العصاة خضوعهم ، وجاء رؤساء التمرد الى بغداد باسلحتهم ، يهنئون الوزراء الجدد بمناصبهم ، ويعرضون اخلاصهم وثقتهم بهم ، كما استقبلوا من قبل الحكومة في الاماكن التي مروا بها في طريقهم الى بغداد ، وقد شكرت لهم الوزارة سعيهم وعفت عنهم ، ووهبتهم كثيراً من الاملاك الاميرية تقديراً منها لتمردهم وعصيانهم ، وتفسير هذه الظاهرة الغريبة حقاً ، يعود الى ان العصاة انما قاموا بعصيانهم بالاتفاق مع رشيد عالي الكيلاني ، وبمعرفة ياسين باشا نفسه ، وقد اشترط العصاة على رجال المؤامرة ان لا يسمحوا للحكومة المدفعية بارسال الجند للتنكيل بهم ، فلما فكر المدفعي بتجريد الجيش عليهم ، اعلن طه باشا

الهاشمي رئيس اركان حرب الجيش ، ان الجيش غير مستعد لمثل هذا العمل وانه لا طاقة له على مقاومة الثوار .. وكان هذا من الاسباب المباشرة في استقالة الوزارة المدفعية.

ولقد كان من اثر هذه السياسة المائعة ، ان فشت روح التمرد بين العشائر ، وان القي في روح رؤسائهم انهم يستطيعون اسقاط الوزارة ، دون ما خوف من العقاب ، متى شاءوا وارادوا ، ومثل هذه السياسة الملتوية ، كانت كفيلة مع الايام ، بان تنقلب على اصحابها ، وان يدفع الذين يروجون لها ثمنا غالياً ، ومهراً عزيزاً ..

...

والعشائر في العراق قوة لا يستهان بها،بل هم حكومة ضمن حكومة وقد كان الملك فيصل خير سياسي عرف كيف يوطد مركزه معهم فلم يكن يغضبهم كل الغضب ، ولا يرضيهم كل الرضاء ، ولا يمكنهم من الاجتماع، ولا يفرقهم كل التفريق ، فلما توفي الى رحمة ربه ، ترك لوزارته من بعده حملاً ثقيلاً

ولما تولي الهاشمي الحكم وجد نفسه في مركز حرج خلقه هو لغيره ، فشاء القدر ان يحمل هو اثقاله وموازينه ، ذلك انه لما كان بالمعارضة ، كان يؤلب العشائر على الحكومة ، ويثير رؤساءهم احراجاً منه لموقف الوزارة القائمة، فلما افسد روح العشائر ، وقام بالامر ، وجد نفسه امام قوة طاغية ، ولقي انه قد خلق جواً ليس له به طاقة ، فعمد الى الارهاب والبطش ففشت الثورات في عهده ، وكثرت الفتن في ايام وزارته، وزاد الطين بلة ما لاقاه من الفشل في السياسة الاقطاعية التي راح يعمل على اقرارها والتي كان يرجو من ورائها ان يركز الاقطاعية ، وان يسوق الخير والاموال والاراضي الى انصاره

ومؤيديه دون غيرهم ، فغضب عليه الاقطاعيون من خصومه ، خصوصاً بعض رؤساء العشائر ، وتكلفوا الانتقاض على سياسته ، فعم الاستياء العراق ، وفشا هذا الاستياء بين مختلف الطبقات ، وانتقل من القرى الى المدن ، واحس الهاشمي بهذه الجذوة المشتعلة ، فعمد الى السيف يضرب به الثوار ، ومضى يقيل الموظفين من مختلف الوظائف الحكومية ، فازدادت النقمة ، واتسع التمرد ، فاضطر الى اقفال صحف المعارضة ، واخـذ الناس بالقوة ، ومطاردة الذين لا يؤيدون سياسته من الشباب وغير الشباب

وبث وزير داخليته عيونه بين الناس حتى كانوا يعدون بالالوف ، ووضع الرقابة على المشتغلين بالسياسة وعلى المخابرات والكتب والصحف ، فاصبح العراق يعج بالخصومات ويضطرب بالاحقاد ، وجعل بعض رجالاتـه يفكرون في وضع حد لهذا الطغيان ، ولو ادى ذلك الى استعمال القوة ، فهي وحدها تضع حداً لهذه الفوضى ، وتقطع دابر الفساد الذي عم دوائر الحكومة وفشا في مختلف المصالح العامة .

ويذهب الكثيرون من المتصلين بالسياسة العراقية الى ان المرحوم الهاشمي كان يفكر بالديكتاتورية ويعمل لها ، وما اعلنه عن عزمه في حكم العراق عشر سنوات كاملات في خطاب القاه في البصرة في آخر ايام حكمه ، يؤيد هذه النظرية ، كما ان سياسته نفسها ، التي كانت ترمي الى حصر السلطات العامة في شخصه ومن يؤمن بهم من اهله وانصاره ، حتى انه كان رئيساً للجنة الاذاعة اللاسلكية . . يدل على انه في الواقع كان يفكر في هـذا الامر ، ويبحث الوجوه المختلفة التي تمكنه من اقراره وانفاذه

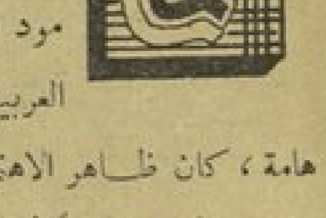
وهنا كان خطأ الهاشمي ، لانه تجاهل قوة النزعات الشعبية الجديدة التي

كانت تضطرب في نفوس الشباب ، وتطفو على افكارهم وعقائدهم كما تجاهل في الوقت نفسه الروح الاستقلالية التي كانت تغمر العشائر وقد كان من اثر هذه السياسة الملتوية انها خلقت وضعاً شاذاً اثار ، استياء عاماً في طول العراق وعرضه ، وظهر للناس ان الحكومة القائمة هي حكومة افراد ، لا حكومة شعب ، وان بقاءها في كراسي الحكم مفسد للحريات مضر بالمصالح العامة ..



– ٧ –

الانقلاب في العراق



جلس المرحوم الهاشمي بعد ظهر الاربعاء الواقع في ٢٨ تشرين الاول من سنة ١٩٣٦ ، الى بعد اصدقائه في فندق مود القائم على ضفاف دجلة ، يتحدث عن البلاد العربية، وما يدور فيها من حركات سياسية ، واحداث هامة ، كان ظاهر الاهتمام ، بادي القلق ، مشدوه الخاطر ، ولعله كان يحس ان في الافق شيئاً لم يوفق الى تفهم كنهه، واستكناه اسراره

ويسير الحديث سبيله ، لا يأخذ فيه الباشا بنصيب كثير او قليل ، وكانت هذه الظاهرة صفة ملازمة له ، فقد كان قليل الكلام ، شديد التحفظ في حواره، لايتفصد عن رأيه الا بعد عناء كثير، حتى ليظهر من لا يعرفه ان فيه خجلاً يمسكه عن الكلام في مواطن الكلام، وحتى ليعتقد من يجهله ان التقدم في السن، والتبسط في العلم ، وتجارب الايام وطول المران ، قد بسط اغراضه ، ووزن رأيه ، فاصبح لا يتكلم الا غراراً ، وقد لا يتكلم ابداً . .

ويتنهي الحديث ، ويستأذن الباشا من اصحابه ، ويمضي الى سيارته ، تخطر به في شارع الرشيد الى مكتبه ، ويأخذ اصحابه في وصل ما انقطع من حديثهم ، لا يفطن واحدهم الى ما يبيته القدر للعراق من حدث جديد ، وانقلاب خطير !!

ويصبح اهل بغداد صباح الخميس الواقع في ٢٦ تشرين الاول وليس في الافق ما يدل على الحدث الخطير الذي سيكون امراً واقعاً بعد ساعات، وكانت الشمس تسير الى مستقرها ، وكان الناس يعدون الى اعمالهم ، وكان الموظفون قد اخذوا بالجلوس الى كراسيهم الا اقلهم ..

فاذا كانت الساعة الثامنة والنصف تماماً ، حلقت في سماء بغداد سبع طائرات عراقية تقذف الناس باوراق بيضاء اخذوا يتلقفونها بكثير من الاهتمام والقلق وحب الفضول ، وكانت هذه الاوراق عبارة عن منشور بامضاء الفريقين بكر صدقي باشا ، وعبد اللطيف باشا نوري ، يعددان فيه اعمال الوزارة الهاشمية المخالفة للدستور والمصلحة العامة، وكيف ان الجيش كان يساق في عهد حكمها لتقتيل ابناء البلاد ، وهي سياسة يرفضها ويأباها ، ثم ينذران الوزارة بالاستقالة او يزحف الجيش على العاصمة ويحتلها ..

وفي الساعة نفسها كان احد الضباط قد وصل الى بغداد من مركز قيادة الجيش، وبيده كتاب من الفريقين بكر صدقي باشا وعبد اللطيف باشا نوري الى جلالة الملك غازي باسم الجيش ، (١) وكان قد أمر بتسليمه الى حكمت

---

(١) وهذه صورة الكتاب

« لاعتاب صاحب الجلالة الملك المعظم

« غير خاف على جلالتكم ما لاقى ابناء بلادكم من جراء سياسة الحكومة الحاضرة سياسة التخريب والمحاباة والاستغلال والاسرافات التي لا مبرر لها ، وتقديمها المصالح والمنافع الشخصية ، والمنافع الذاتية ، على المصالح والمنافع العامة واستهتارها بدمـــاء ابناء بلادكم التي اريقت لا لسبب غير الاغراض الشخصية وتطمين رغبات المحسوبين والمنسوبين لهذه الحكومة حتى جرهـــا غرورها الى التطاول على صاحب العرش المفدى وبل ربمـــا تحدثوا با وراء

بك سليمان ليحمله بنفسه الى البلاط ، وكتاب آخر الى رئاسة الوزارة ينذرها فيه بالاستقالة بعد ساعتين او يزحف الجيش على العاصمة ويخلع الوزارة بالقوة .

ومن المعلوم ان الهاشمي ليس بالجبان الرعديد ، ولا هو بالرجل الخائف المضطرب ، لقد كان شخصية باسلة قوية ، ولكنه وهو الرجل الذكي كان ذلك (. . .)

« تعلمون جلالتكم بان الجيش برؤسائه وجنوده انما كان خلال هذه المدة يطيع الاوامر المقرونة بارادتكم بدافع الاخلاص الى قائده الاعلى . اما وقد تفاقم الامر واستمرت حالة البلاد تتدهور من سيء الى اسوأ والاضطرابات فيها متوالية وسياسة الحكومة لم تتبدل والعدل مفقود بين رعايا جلالتكم والبؤس منتشر في بلادكم ، كل ذلك لاجل اسعاد طبقة خاصة على رأسها اعضاء الحكومة الحاضرة فالجيش الذي تهمه مصلحة بلاده وتعزيز كيانها اسوة بالامم المتحدة يأبى ان يبقى صامتاً تجاه هذه الحالة السيئة التي لا شك ان نتيجتها ستكون الدمار . لهذا يتقدم الجيش ليعرض الى اعتاب جلالتكم طالباً انتشال البلاد من هذه الهوة السحيقة باصدار ارادتكم المطاعة باقالة الوزارة الحاضرة وتعيين وزارة من ابناء البلاد المخلصين برئاسة السيد حكمت سليمان خلال ثلاث ساعات ، وعلى فرض مخالفة الوزارة امر جلالتكم بالتخلي عن الحكم خلال المدة المضروبة فالجيش الذي لا يزال المخلص الامين لجلالتكم ولبلاده سيقوم بواجبه لتنفيذ هذا الطلب خدمة للمصلحة العامة التي تسهرون جلالتكم عليها .

الفريق بكر صدقي العسكري
قائد الفرقة الثانية

٢٨ تشرين الاول ٩٣٦ — الفريق عبد اللطيف نوري
قائد الفرقة الاولى

يعلم ان الامر قد افلت من يده ، وان سياسته المضطربة قد جعلته في عزلة تامة فلما تبلغ الانذار ادرك انه وحده ، وانه في الواقع مـا يستطيع الاعتماد على احد من رجالات العراق ، ولكنه الى ذلك كله لم يكن بالشخص الذي يترك السلطة من يده بمثل هذه السهولة فقرر المقاومة مع علمه بضعفه ، ونفور الناس من سياسته ، فجمع قوات الشرطة للدفاع ،وذهب مع نوري باشا السعيد لمقابلة صاحب الجلالة وحضر الاجتماع السفير البريطاني ، فسأله الهاشمي عن القوة الجوية البريطانية في العراق ، وفيما اذا كانت تستطيع الحكومة الاعتماد عليها في قمع الثورة ،ولكن صاحب الجلالة العراقية افهم رئيس وزارته انه لا يجوز للوزارة ان تعتمد على القوة البريطانية الا اذا كان هناك عدو خارجي ،والحالة اليوم غير ذلك ، والحركة الحاضرة داخلية ليس من حق السلطات البريطانية التدخل فيها ، وعندئذ قرر الهاشمي الاستقالة

وفي هذه الاثناء كانت بعض الطيارات العراقية قـد حلقت في سماء بغداد ، والقت اربع قنابل على دار الحكومة ، وذلك في الساعة الحاديـة عشرة تماماً ، وكانت هذه القنابل بمثابة انذار من الجيش بأنـه معتزم انفاذ وعيده ، اذا لم تقدم الوزارة استقالتها وتترك الامر لغيرها ، وفي الساعه الثانية والنصف تألفت الوزارة الجديدة برئاسة حكمت بك سليمان (١)

---

(١) في الساعة الثانية والنصف وقفت على باب وزارة الداخلية سيارة نزل منهـا سكرتير البلاط الخاص ، ومعه فخامة حكمت بك سليمان ثم اقبل الوزراء الجدد واحداً اثر واحد ، فتلا عليهم سكرتير البلاط الارادة الملكية بتأليف الوزارة وهذا نصها :

وفي الساعة الخامسة كان بعض افراد الجيش قد دخلوا بغداد فعلاً ، فاستقبلهم سكانها استقبال "الفاتحين" ، وغمرت الناس موجة سرور وفرح عظيمين ..

. . . .

والواقع ان الانقلاب كان محكماً كل التحكيم ، احاط رجاله اعمالهم وترتيباتهم بجو من الكتمان شديد ، فلم تفطن حكومة الهاشمي الى شيء مما كان يدبر في الخفاء لخلعها ، ولا تمكن عيونها الكثيرون ، من ان يفطنوا الى ما كان يحاك في منازل المعارضة من التنظيمات السياسية الجديدة لقلب النظام القائم ، وخلق العراق خلقاً جديداً ...

وزيري الافخم حكمت سليمان

بناء على استقالة فخامة ياسين الهاشمي من منصب رئاسة الوزراء ونظراً الى اعتمادنا على درايتكم واخلاصكم فقد عهدنا اليكم برئاسة الوزارة الجديدة على ان تنتخبوا زملاءكم وتعرضوا اسماءهم علينا والله ولي التوفيق .

ثم صدرت الارادة الملكية بتأليف الوزارة الجديدة على الوجه التالي :

حكمت سليمان	للرياسة والداخلية
جعفر ابو التمن	للمالية
الدكتور ناجي الاصيل	للخارجية
صالح جبر	للعدلية
الفريق عبد اللطيف نوري	للدفاع
كامل الجادرجي	للاقتصاد والمواصلات
يوسف عز الدين آل ابراهيم	للمعارف

والواقع ان العراق باجماع الانصار والخصوم — كان يعيش ايام الوزارة الهاشمية في حالة تشبه الديكتاتورية فقد قبض الهاشمي باشا على ازمة الحكم بيد من حديد ، فضيق الخناق على المعارضة وعطل كل صحيفة لا تؤيد الوضع القائم ، وحل الاحزاب كلها ، ونشر وزير داخليته عيونه في كل الاوساط ، يحصون على الناس انفاسهم ، ويسرفون في ذلك اسرافاً كان له اثره السيء في كل الطبقات ، وكانوا لا يتورعون عن اخذ البريء بجريرة المذنب ، فعم الاستياء ، وضاق الناس بهذه السياسة ذرعاً ، وادركوا ان السبيل الوحيد لتحطيم هذه الاغلال القوية لا يكون بغير القوة .

ومن المعقول في هذه الحالة ان تشتد المعارضه ، وان تبحث عن شتى الوسائل لتهديم الحكومة ، او لتقليم اظفارها على الاقل ، وكانت المعارضة كلما قرعت باباً ترجو منه اصلاحاً وجدته مقفلا، فلا الصحافة تجرأ على النشر ، ولا سكان البلاد يستطيعون التظاهر والشكوى ، وليس في مجلس النواب شخص يرفع صوته بالمعارضة وكلهم من انصار الوزارة، ولا ابناء المناطق المختلفة يسمح لهم برفع اصواتهم ، ومن رفعها منهم كان نصيبه التشريد اوالسجن والايذاء ، واذا ارادت عشيرة ان تنادي بظلامتها ، او تحمل سلاحها ، كان سلاح الحكومة يخمت صوتها ويمحق رجالها ، ويهدم منازلها ويشرد ابناءها ..

وادارت المعارضة عندئذ وجهها ، واخذت تقلب نظرها في السماء تطلب فرجاً ، وترجو معونة ، حتى فتقت لها الحيلة ان تطرق باب الجيش ، فطرقته، فاذا رجاله يؤيدون خطتها ، واذا هم يشعرون بشعورها ويدركون خطورة الموقف ، ودقة الحالة ، وضرورة الاصلاح ..

ومن المؤكد ان اشتراك الجيش بالانقلاب كان دليلاً على ان الانقلاب عمل شعبي عام ، وان الجيش ومختلف طبقات الامة قد اشتركوا جميعاً في اقراره وانفاذه ، وان احداً لا يستطيع ان يقول ان الحركة الاخيرة في العراق كانت عملاً قامت به فئة دون فئة ، او انه كان خاصاً بجماعة دون اخرى .. (١)

---

(١) البيان الذي اذاعه بكر صدقي باشا على الشعب يوم الانقلاب

ايها الشعب العراقي الكريم

لقد نفذ صبر الجيش المؤلف من ابنائكم ، على الحالة التي تعانونها من جراء اهتمام الحكومة الحاضرة بصالحها وغاياتها الشخصية دون ان تكترث بصالحكم ورفاهكم ، وطلب الجيش الى صاحب الجلالة الملك المعظم اقالة الوزارة القائمة وتأليف وزارة من ابناء البلاد المخلصين ، برئاسة حكمت سليمان الذي طالما لهجت البلاد بذكره ومواقفه المشرفة

وبما اننا ليس لنا قصد من هذا الطلب الا تحقيق رفاهكم وتعزيز كيان بلادكم ، فلا شك انكم تعاضدون اخوانكم افراد الجيش ورؤسائه في ذلك وتؤيدونه بكل ما اوتيتم من قوة ، وقوة الشعب القوة المعول عليها في الملمات

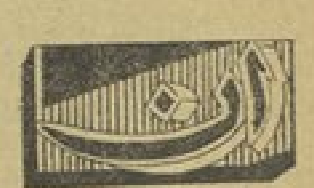
وانتم ايها الموظفين : لسنا الا اخوانا وزملاء في خدمة الدولة التي نصبو كلنا الى جعلها دولة ساهرة على مصلحة البلاد واهلها عاملة على خدمة شعبكم قبل كل شيء ، فلا بد انكم ستقومون بما يفرضه عليكم الواجب الذي الجأنا الى تقديم طلبنا الى صاحب الجلالة ملكنا المفدى لانقاذ البلاد مما هي فيه وتقاطعون الحكومة الجائرة وتتركون دواوينها ، ريثما تؤلف الحكومة التي ستفخرون بخدمتها اذ ربما يضطر الجيش بكل اسف لاتخاذ تدابير فعالة لا يمكن حيالها اجتناب الاضرار بمن لا يلبي هذه الدعوة المخلصة ، اديا واديبا

٢٩ – ١٠ – ٩٣٦   بكر صدقي العسكري

قائد القوة الوطنية الاصلاحية

-٨-

القومية في العراق



بغداد على جمال مشاهدها الطبيعية، وانسياب دجلة فيها مخترقاً شوارعها ، مداعباً تربتها ومنازلها القائمة على ضفافه ، على مثال هذه المدن العربية التي زرتها زائراً في مصر والشام، وان كانت تختلف عنها في اشراق وجهها وجمال خضرتها وباسقات نخيلها، وانسياب نهرها في وسطها، فتتراءى للناظر مياهه رقراقة هدارة في السهول الفيحاء النائمة حول العاصمة ، والقائمة غير بعيد منها .

وكنت كثيراً ما اطوف بصري طول البساتين الضاحكة وعرض الافق، واوزع الخاطي على هذه الجنائن تترامى حولي الى غير حد ، فاجد انطلاقاً اما كنت احسه في المدن الاخرى .

وبغداد اليوم تختلف عن بغداد اول الاحتلال ، في هذا النعيم الذي تشاهده في كل مظهر من مظاهر النشاط فيها ، فقد قامت حول بغداد القديمة ضواح فخمة تشع جمالاً ، وتمتلىء نشاطاً، وتعج بهذه القصور الجديدة التي انشأها اصحاب الثروات والاشراف من اهلها وحولها الحدائق الغناء حالية بالفاكهة والخضرة والنخيل ، بحيث تنبعث في نفس الذي ينزلها لاول مرة دنيا جديدة لا تساوق الدنيا القديمة الا في انها تقوم على مقربة منها ، وتكاد تلتحق بها ،

وتلتف حولها ، كأنهـا هي في الواقع صورة مكبرة لبغداد الرشيد ، وعصره الزاهر الماتع ...

ولكن الطبيعة في بغداد ليست كريمة محسنة مثلها في غوطة دمشق ، وهي اذا كانت كريمة في هذه المياه الرقراقة التي تصيب مزارعها وحدائقهـا وجنانها بالوان الخصب والاسراع ، فانهـا شحيحة قاسية فيما يتعلق باعتدال الاقليم وتناسب الحرارة والبرودة ، فبينما هي في غوطة دمشق معتدلة في قرها وقيظها ، اذا هي شديدة مغرقة في بغداد ، فشتاءهـا بارد كثير البرودة ، وصيفها حار كثير الحرارة ، ولكن اهلها على خلاف ذلك فهم في الواقع عرب بكل مـا في الكلمة من معنى ، يكرمون الضيف ، ويحسنون مخالطته ومنادمته ، بحيث لا يشعر النازل رحابهم انه بعيد عن بـلده ، غريب عن ارضه ومواطنه ..

. . .

يدعوني الى كتابة هذه الكلمة ما شاهدته بنفسي ، واختبرته بشخصي فقد اغرق شبابها في اكرامي ، وتلطف كبارها في استقبالي ، وزادوا ندى في طوافي بينهم ، لحـبت نفسي بين اهلي وقبيلي ، وصرت اشعر لونـاً من هذا الحياء الذي يتزل بالمرء حين يحس بهذا الاغراق في الاكرم والعطف عليه ، وهو الى ذلك لا يستطيع له رداً ، ولا يجد عنه محيصاً ، خصوصـاً ان شباب بغداد في اكرامهم هذا لا يحفلون بضيفهم ، ومـا يتكلف من حياء وعناء في تقبل اكرامهم ورفدهم ، فهم يفرضون عليه ارادتهم ويريدونه على الرضاء بهـا ، والاطمئنان اليها ، كأن هناك قوة قاهرة تربطهم بالغريب النازح ، وتدفعهم الى الاحتفاء به ، والاهتمام بشأنه .

ولعل الدكتور عبد المجيد قصاب كان خير صورة لشباب العراق المضياف، وكانت آخر مآتيه انه رغب اليّ ، وهذا فيض من بحر، ان اجتمع الى بعض اصدقائه لتناول الشاي في داره ، وزاد ندى فاستوثق مني على تلبية دعوته ، وما كان بطوقي ان اخرج عن ارادته ، وقد كان لي في العراق نوعاً من انواع الاذاعة ، ولوناً من الوان الدعاوة ، حتى ضقت بلطفه وكريم اعراقه ذرعاً .

وفي ذات عشية ، انتظمنا في داره حلقة من الشباب ، بينهم المفكر المجدد ، والاديب البارع ، والعالم العامل ، والوطني النبيل، واخذنا في اطراف الحديث نعرض للقومية المجددة ، على انها خير الوان الحكم ، وافضل المثل العليا ، ثم ذهبنا نبحث النظم الديموقراطية التي يصح ان تكون نواة لهذه القومية الجديدة ،على ان تساوق هذه النظم موازين العدل ، ومقاييس الاحسان فان وفقت الى ذلك فهي خير ما اخرج للناس من نظام حكومي في عصرنا الحاضر .

واذكر فيما اذكره من حديث هذا الاجتماع كيف ذهب العالم الفاضل والشيخ الجليل محمد مهدي كبه نائب معتمد (نادي المثنى) في بغداد الى تأييد الديموقراطية، ومساوقة ما تتحلى به من نظم جديدة عادلة، غير منقوصة وكيف راح الاديب المعروف الاستاذ محمد بهجة الاثري يعرض لنقائصها ، ويريد للعراق زياً آخر ، فيه شيء من الديموقراطية المقيدة ، وفيه كثير من الحزم العادل ، الذي كان يشع في عصور الاسلام الاولى ، والتي يمكن صاحبه من خلق البلاد التي يحكمها خلقاً جديداً باسرع ما يكون من الوقت ،واكثر ما يمكن من الاحسان . .

ولم يكن الاستاذ محمد مهدي كبه ينكر مفاسد الديموقراطية ،

وطغيانها على المصالح العامة ، ولكنه الى هذا كله كان يراها احسن من سواها من نظم الحكم وابقاها على الدهر واقربها الى عقلية الجماهير شرط ان يحسن استعمالها ، فان اسيء استعمالها ، فهي اداة طغيان ووسيلة جديدة من وسائل الظلم والاستبداد .

. . .

والواقع ان الاستاذ مهدي كبه، يصح ان يسمى (غوبلز) القوميين فهو الذي يبسط آراءهم ويشرح عقديتهم ، ويتحرى الصراحة والاتزان في خطبه ومقالاته ، بحيث استطيع اذا تخيرت فقراً من محاضرته الاخيرة ، ان اقدم لقراء هذا الكتاب صورة صادقة لما يطفو في العراق من تفكير جديد ، ورأي مجدد ناضج ..

قال الاستاذ :

«ان الهدف الاسمى الذي ترمي اليه نهضتنا القومية هو خلق كيان عربي عام موحد المشاعر والآراء مثقف العقول والافكار ، متماسك الاطراف والاجزاء ، يتساوى افراده في الحقوق والواجبات ، ويتعاطفون في الآلام والامال ويتضامنون في السراء والضراء ، وذلك بتعزيز الروح القومي وغرس مبادئها في نفوس ابناء البلاد العربية ، ثم ربط اجزائها ببعضها ربطاً وثيقاً يوحد اتجاه سياستها الخارجية ، ويدرأ عنها الاخطار الداهمة ، وهنا قد يتساءل البعض فيقول أليس في بعث الروح القومية اثارة لمشاعر الاقليات العنصرية وايقاع البلاد في مشاكل نحن في غنى عنها ، ألم يكن الاصلح لنا ان نستعيض عن النعرة القومية بالرابطة الوطنية الاقليمية القائمة على اساس المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة بين ابناء القوم الواحد .

فنقول في الجواب على ذلك ان هذه الاقليات العنصرية التي تشاركنا في تربة هذا الوطن المحبوب في كل مقدراته ومقدساته والتي لها مثل ما لنا من حقوق وعليها مثل ما علينا من واجبات، يجب ان لا تقل عنا غيرة وحرصاً على القضية العربية العامة اذا كان ذلك يحفظ كيان هذا الوطن الذي هم بعض ابنائه ويصيبها مثل ما يصيبهم من مغانمه ومغارمه، كما اني اعتقد بانها ابعد نظراً واحصف عقلاً من ان تتضايق اذا اتجهت البلاد في سياستها القومية اتجاهاً يلائم مشاعر الاكثرية الساحقة من ابنائها .

«ثم ما دام مبدأ تنازع البقاء وبقاء الاقوى هو المبدأ الذي تسير امم العالم اليوم، وما دامت سياسة التنافس والتسابق على الاستعمار هي السياسة الراهنة التي تنتهجها الحكومات حتى الان، وما دامت هذه الامم والحكومات قد اخذت تتكتل وتتوحد على الاسس القومية وتعمل جهدها لالهاب العواطف الوطنية وايقاظ المشاعر القومية .

فلا مناص لنا اذا اردنا المحافظة على كياننا والدفاع من مقدراتنا ومقدساتنا ان نقابل القوة بقوة مثلها ونقارع السلاح بسلاح من نوعه لا نستعمل هذه القوة وهذا السلاح للاعتداء على غيرنا بل لنصد الاغيار عن الاعتداء علينا .

فما لنا نحن العراقيين اذا اردنا ان نعيش احراراً في بلادنا ونحافظ على سلامة كياننا ونؤسس العلائق الودية مع جيراننا ونوجد جواً من الصفاء والاخاء بيننا وبين الامم الاخرى الا ان نتكتل على اساس قومي عتيد مع الاقطار العربية الاخرى وننتهج في سياستنا الخارجية سياسة قومية موحدة قائمة على التضامن والتعاون في كلما يعود بالخير والنفع على المجموع على ان ينفرد

كل قطر بادارة شؤونه الداخلية حسبما تقضي به مصلحته ويرتأيها ابناؤه، وان يقف ابناء كل قطر من سياسة القطر الآخر الداخلية موقف المحايد وان يحترم رجال كل بلد، رجال البلد الآخر مهما اختلفوا في الوانهم الحزبية وآرائهم السياسية والاجتماعية، وان يكون هذا الاحترام مبنياً على الشعور بالاخاء القومي المجرد من اي اعتبار آخر، ويجب ان تتناول نهضتنا القومية كافة طبقات الامة على السواء، يشترك فيها الجنسان معاً ويساهم فيها البدو والحضر وابناء المدن والقرى والارياف والسهول والجبال بنصيب واحد، ولما كان السواد الاعظم من ابناء الامة يؤلفون الاكثرية الساحقة في البلاد وهم مع ذلك العناصر الحية الفعالة المنتجة في جسم الامة تلك العناصر التي تمد الدولة بموارد القوة والحياة، يجب ان تكون تلك العناصر هي المحور الذي تدور عليه نهضتنا القومية، ووجب ان يكون مستوى حياة الفرد العامل المنتج من النواحي الاقتصادية والصحية والثقافية هو المقياس الصحيح للرقي والتقدم، وان النظم الاقتصادية السائدة في البلاد العربية سيما ما يتعلق منها بالانتاج الزراعي والصناعي هي كالنظم السياسية والاجتماعية الغابرة ورثناها عن العصور الغابرة والاجيال البائدة، تلك العصور التي كانت نظم الحكم فيها مبنية على الاستغلال والاستثمار، وكان هذا الاستغلال يتدرج من طبقة الى اخرى حتى ينتهي بالسلطان الاعظم، وكانت عامة الناس كالانعام المكدودة لا تعرف في حياتها الا التعب والنصب وتقديم نتاج جهودها وثمرة اتعابها لقمة سائغة لتلك المخلوقات الطفيلية فكان من نتيجة هذه الاوضاع ان اصبح عامة ابناء الامة محرومين حتى من اسباب العيش الضرورية ومقومات الحياة الاولية وبقوا وهم في القرن العشرين كما كان اسلافهم في عصور ما قبل التاريخ، بينما نجد طبقة خاصة تكاد تستأثر بكل

موارد العيش ومرافق الحياة وتختص بجميع وسائل الرفاه والسعادة وتعيش بدون كد وعناء عيشة البذخ والاسراف، ان القومية بمعناها الصحيح لايمكن ان تنمو في وسط لا يعرف افراده من الوطن الا بؤسه وشقاءه، ان القومية الصحيحة التي ترتكز على العناصر الحية المنتجة في جسم الامة والتي تستمد قوتها من قوة الفرد الصحية والعقلية والاقتصادية تتطلب قبل كل شيء القضاء على الاستغلال بشتى انواعه، وتهيئة وسائل الرفاه والسعادة لابناء الامة الى اقصى حد ممكن، وعندئذ فقط ينمو الشعور القومي الحق ويسود الاخاء الوطني بالمعنى الصحيح» وبعد ان عرض الاستاذ الى ان الوصول الى هذه النتائج التي ينادي بها القوميون لايمكن تحقيقها الا بالنظام الديموقرطي العادل الذي يمثل الامة تمثيلاً صحيحاً، وبعد ان اشار الى ما للدين والتاريخ والماضيات السوالف من اثر في تقوية القوميات قال « ان القوميين لا يأخذون من الماضي الا ما كان جميلاً شريفاً نافعاً وانهم اول من يحارب التقاليد البالية والعادات السقيمة والاراء المضرة، والنظم التي لا توافق العصر الحاضر . وانهم دعاة تجديد بكل ما في الكلمة من معنى، في الاخلاق والاداب والتعليم والنظم السياسية والاجتماعية والثقافية ..»

واخيراً عرض الاستاذ لرأي القوميين في المرأة ومركزها في المجتمع القومي المقبل فقال :

« ولا تكون نهضتنا القومية تامة وشاملة ما لم يشترك فيها الجنسان معاً، وما لم تساهم فيها المرأة بنصيب وفير، فالمرأة فضلا عن انها تؤلف نصف مجموع الامة ولا يصح ان يظل هذا النصف اشلا مهملا لا يستطيع ان يقوم بنصيبه من خدمة المجموع، فلها التأثير البليغ المباشر على حياة النصف

الاخر، ان حياة الفرد العملية تبدأ من البيت كما ان الدروس الاولى التي تنطبع بها نفسه انطباعاً بليغاً يمازج تضاعيف فطرته وغريزته الاولى والتي يتجلى اثرها بيناً في كافة حركاته وتصرفاته في الحياة، هي تلك الدروس التي يتلقاها من البيت فكيف ينبغي ان يكون مستوى المرأة من الوجهة العقلية والثقافية لتستطيع القيام بمهمتها التربوية على الوجه المطلوب ؟؟ ان القومية التي تعتبر حياة الاسرة في الامة كحياة الخلايا في الجسم الحي وتسعى لاحكام بناء الاسرة وتوثيق عرى التآلف والتضامن بين افرادها، ترى ان الثقة المتبادلة والشعور بالاحترام المتقابل والتناصر في الحقوق والواجبات والتكافؤ في الثقافة والعقلية هي الشروط الاولى التي يمكننا معها المحافظة على كيان الاسرة ودوام الصفاء والالفة بين اعضائها

«ان البيت الذي تشع في جوانبه انوار السعادة والذي يجد فيه الرجل الملجأ والملاذ من تكاليف هذه الحياة، والذي ينشىء الحياة ويبني المجد ويقدم للمجتمع القومي النشء الصالح المهذب هو البيت الذي يضم بين جوانبه المرأة المثقفة المستنيرة، والزوجة الصالحة المواسية، والمربية المهذبة البارعة والمدبرة المديرة الحازمة، والقرينة الرقيقة المؤنسة ولا يمكن ان تتوفر هذه المزايا والصفات في المرأة ما لم تخرج من عزلتها الاجتماعية المميتة، وتتنسم نسيم الحياة والحرية وتأخذ من العلوم والفنون واسباب الرقي والتقدم حسبما تسمح به مؤهلاتها الجنسية ومهامها الاجتماعية على ان لا يخرجها ذلك عن حدود الحشمة والوقار والعفة ونقاء الاطراف

«اما عن موقف حركتنا القومية من الدين ومذاهبه المختلفة فانا وان كنا نعتز بالدين الاسلامي ونحترمه ونعتبره عنوان مجدنا الخالد على وجه الدهر

فلا مندوحة لنا من القول ان الدين بامتزاجه بالسياسة وانقسامه الى نحل ومذاهب مختلفة كان ولا يزال عاملا فعالا في تفريق ابناء الامة ، وعائقاً مهما دون توحيد مشاعرهم، لذلك وجب ان تكون الحركة القومية قائمة بنفسها مستقلة عن غيرها وان يفصل بين الدين والسياسة والاجتماع فصلاً تاماً ما دام الدين ينظم صلة المرء بربه في آخرته، والقومية تنظم صلاته ببني قومه في دنياه والدين لله وحده والوطن للجميع »

واخيراً عرض الاستاذ لرجال الدين الذين يمالئون الحكام المستبدين ويشاركونهم في المغانم والاسلاب وأيد بذلك نظريتنا وما بسطناه في فصل سابق من هذا الكتاب

***

ويرى الدكتور فاضل الجمالي المفتش العام في وزارة المعارف العراقية واحد اعضاء (نادي المثنى) ومن خيرة شباب العرب علماً وثقافة وخلقاً واخلاقاً ، ان نجاح القومية في الشرق العربي يحتاج الى امور ثلاثة !

١ — انتظام الشباب وتوليهم مسؤولية العمل القومي

٢ — جعل الكفاح القومي شعبياً .

٣ — جعل الكفاح عاماً مشتركاً لا موضعياً .

ويفسر الدكتور منهاجه هذا ويتبسط في شرحه فيقول :

« لقد قام القادة من ابناء الجيل الماضي لاسيما الذين اشتركوا في الحروب القومية والثورات خير قيام بواجبهم القومي ولولاهم لما وصلنا الى المرحلة التي نحن فيها من النشوء القومي ، ولكن الموقف اليوم يتطلب دماً جديداً دماً حاراً من شباب الجيل الناهض . ولو نظرنا الى الحركات القومية الحديثة في

اوربا لوجدنا انها تقوم في الغالب على عواتق الشباب المثقفين المنتظمين، فهل آن لشبابنا ان يدركوا المسؤولية التاريخية الملقاة على عواتقهم ؟ انا لا اشك ابداً في حسن نية شبابنا واخلاصهم كما اننا لا نشك في استعدادهم للتضحية في سبيل الامة ووحدتها . ولكن ما يتألم له كل قومي غيور هو عدم انتظام الشباب وتكتلهم . فليس لدينا ما يشبه تنظيمات الشباب النازي في المانيا او الفاشيست في ايطاليا او الكومسومول في روسيا او الكشافة في انكلترة . ان هذه التشكيلات تتطلب من الشباب ايماناً وانتظاماً وعملاً موحداً وهذه كلها هي الشروط الاساسية لكل نجاح. اننا نعتقد ان شبابنا معظمهم مؤمن ولكنهم لم يتعلموا الانتظام الذي يتطلب كثيراً من ضبط النفس وكبح الانانية ، وكذلك فهم لم يتعلموا الاجتماع والقيام بعمل موحد . واني لا اعرف عذراً للشباب المنور اليوم بعد ان اتضحت العلل النفسية لعدم تكتلهم في مثل نادي المثنى وعدم تنظيم انفسهم وقيامهم باعمال قومية منتجة . كما اني لادعو اعضاء نادي المثنى وهيئته التأسيسية الى العمل على جمع الشباب وتوحيد صفوفهم بنشاط اقوى وفعالية اكبر ، فان عليهم ان يوجدوا تشكيلات للشباب تترابط مع شباب البلاد العربية الاخرى وان يعقدوا المؤتمرات لهذه الغاية

«اما الشرط الثاني للكفاح : فان يكون شعبياً وذلك ببث فكرة الوحدة القومية بين الجماهير وتوضيحها لهم . وهذه مهمة عظيمة يجب ان يتعهدها الشباب ، مهمة الثقافة القومية الشعبية ، فكل فرد عربي يجب ان يحس بالوحدة القومية، وان يتطلع الى اخوانه في اجزاء الوطن الاخرى، ومع ان تعريف الجماهير معنى القومية وحدود الوطن الاكبر هو من مهمات المدارس فعلى الشباب ان يشتركوا فيها ويعملوا على تثقيف الجماهير فيبثوا بينهم الافكار القومية

الصحيحة ويحفزونهم على العمل القومي.

«اما الشرط الثالث للنجاح في الكفاح القومي فهو ان يكون مشتركاً عاماً لا موضعياً. كلنا يعلم ان الظروف السياسية بعد الحرب العالمية اقتضت ان يقوم كل جزء من اجزاء الوطن بالكفاح لتخليص نفسه وحده فهذا العراق ناضل وحده وكذلك سورية ومصر والريف وهذه فلسطين اليوم تناضل وحدها ولئن كانت الظروف فيما مضى تستدعي الاشتغال على انفراد، فقد تطورت الحالة اليوم وعلى الاجزاء التي تتمتع بالاستقلال من الوطن العربي ان توحد جبهتها في الدفاع عن كل جزء من اجزاء الوطن العربي وعن كل قضية فيها مصلحة العرب سواء كانت هذه المصلحة عامة او موضعية.»

...

اما موقف القومية العربية من الشيوعية والاشتراكية فقد بسطه الاستاذ محمد مهدي كبه في مقال نشره في مجلة «المثنى» الراقية التي تصدر في بغداد، لصاحبها المحامي البارع والوطني المخلص المحامي عبد الرحمن الخضير فقال:

«اما موقف حركتنا القومية من الشيوعية والاشتراكية، فان علينا ان نفرق بينها وبين الاشتراكية او الوطنية التي لا تتعارض مبادؤها وطبيعة حركتنا القومية ان لم نقل انها من اهم اركانها ومقوماتها، فالاشتراكية القومية التي ترمي الى رفع الفروق والحواجز الاجتماعية بين ابناء الامة الواحدة والوطن الواحد وتستهدف للقضاء على ارستقراطية الطبقات، وتحارب الاستغلال بشتى انواعه وتدعو الى العدل والمساواة في الحقوق والواجبات لتتفق والمبادي القومية القائمة على فكرة العشيرة التي يتكافأ افرادها في النسب ويتساوون في الحقوق والواجبات ويتعاطفون في الآلام والامال ويشتركون في المغانم والمغارم.

«اما المبادىء الشيوعية والاشتراكية العالمية فهي والمبادىء القومية على طرفي نقيض او قل هما ضدان لا يجتمعان على صعيد واحد في اية ناحية من النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، فالاولى تريد القضاء على كافة الفوارق الاجتماعية الموجودة بين الامم والشعوب بينما الاخيرة تقضي باقرارها وتوثيقها، ومعتنقوا المبادىء الاولى يبنون فلسفتهم في الحياة على اساس المادة فقط ولا يعنون بالمعنويات، ومعتنقو الثانية يعادلون بين الامرين ويعتبرون احدهما متمماً للآخر وملطفاً له، واولئك يذهبون الى ان ما قاسته البشرية وما زالت تقاسيه من شرور الحروب وويلاتها انما نشأ عن وجود العصبيات القومية والوطنية من جهة، ومن مطامع الطبقات الارستقراطية والرأسماليين الذين يغذون هذه العصبيات وينمونها الى اقصى حد ممكن ليستغلوها في سبيل اشباع جشعهم الاستعماري من جهة اخرى، فلاجل قطع دابر الحروب والمنازعات بين افراد المجتمع الانساني واراحته من شرورها وويلاتها واحلال روح السلام والوئام بين الامم والشعوب يوجبون القضاء على تلك العصبيات القومية والفوارق الاجتماعية واستئصال شأفتها من هذا العالم واعتباره وطناً واحداً مشاعاً بين الجميع»

هذا هو رأي القوميين في العراق، بسطناه باقصى ما يدخل في طوقنا من البيان، ومن الحق ان نقول، ان تفسير القومية ومراميها، وتوجيه اغراضها وتعداد مزاياها يعود فضله الى شباب العراق دون غيرهم من شباب العرب، لاني لا اذكر اني قرأت لغيرهم بحثاً مستفيضاً في هذا الباب ولا اعلم ان احداً سواهم قد وفق في تحديد مرامي القومية بمثل هذا النضوج والاتزان حتى اليوم وعلى ذكر القومية اذكر فيما اذكره ان كاتباً افرنسياً قد فسرها

بما يأتي !

« هي اعتداد الامة بنفسها ، ورغبتها في الوصول الى ارفع درجات المجد ومحاولتها النهوض والرقي ، لا من الناحية الاخلاقية والعقلية فحسب ، بل من الناحية المادية ايضاً ، وذلك لتبسط نفوذها على اجزاء من الارض »

ومن المؤكد ان تفسير القومية بهذا الشكل يجعل منها اداة للاستيلاء والاستعباد ، لا اداة للتحرر والتقدم ، وتكوين حضارة تساوق الحضارات الحاضرة ، وتعززها وتقويها بما تقدمه في سبيلها من تجديد وابتكار واعمار .

وهنا طبعاً تختلف القومية العربية الحاضرة ، عن القوميات الاجنبية ، لان الاولى ترمي الى تحرير نفسها ، وعدم الاعتداء على سواها ، واما الثانية فتحاول اخضاع ما تستطيع اخضاعه من الشعوب والتبسط في الارض على حساب القوميات الاخرى ..

وشيء آخر ايضاً ، وهو ان القومية تحتاج الى عدة امور جوهرية لضمان وجودها ، ومن اهم هذه الامور ان تكون لها بقعة من الارض تحتلها وتحرص عليها ، لان القوميات لا تستطيع ان تحيا وتعيش اذا كانت لا تتصل بارض تقيم فيها ولا يزاحمها عليها مزاحم ، وعليها ايضاً ان لا تسمح بتجزأة هذه الارض ولا بتقسيمها ، لان التجزأة هدم للقومية واضعاف لحيويتها .

ومن لوازم القوميات ان يكون لها ماض وتاريخ مرتبط بالارض التي تقيم فيها ، والتاريخ المشترك بين الارض وساكنيها هو الذي يخلق للناس تراثاً ثقافياً واحداً ويجمع لهم كتاباً واحداً من الدروس والاختبارات ، جميلة والبغيضة حلوة او مرة ، تقيم في صدورهم خزائن متشابهة من المشاعر ، وتخلق لهم واسطة واحدة للتعبير عن كل هذا هو « اللغة »

ونحن في ذكرنا للتاريخ كعامل من عوامل القومية لا نعني بالتاريخ ما مضى فقط ، بل نعني ايضاً الحاضر والمستقبل لان دراسة التاريخ اذا لم يكن الغاية منها اطلاع الامة على غابر انتصاراتها لتكون حافزاً لها لاحراز انتصارات جديدة وفهمه لسابق اخطائها مبصراً لها في طريقها كي لا تصطدم باخطاء تماثلها وحتى يصير معرفتها لرجالها الذين عملوا لها وضحوا في سبيلها ملقحاً يجعلها تخرج رجالا آخرين يخدمونها ويشرفونها فان دراسة التاريخ تكون عملا باطلا وحديثاً سقيا .

. . .

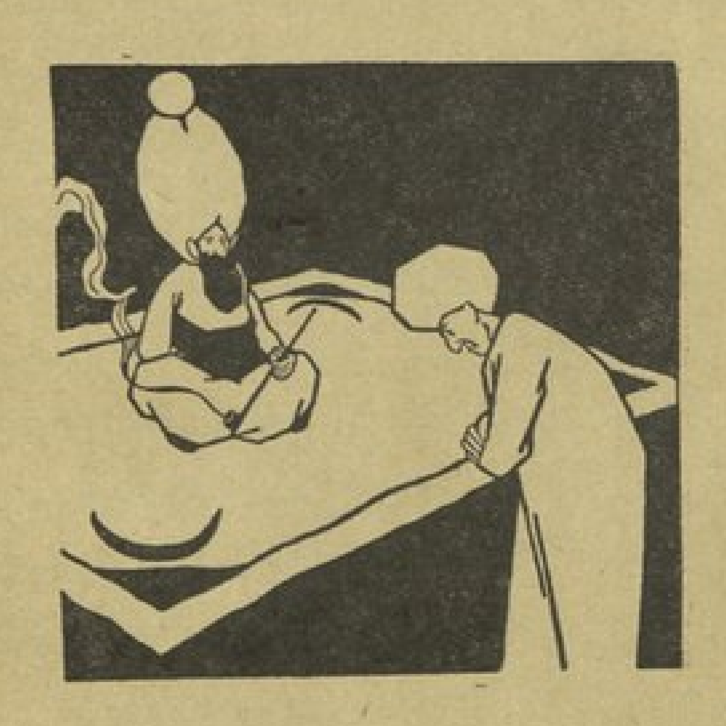
والذي يظهر لي ان القوميين في العراق لا يؤلفون حزباً بكل ما في هذه اللفظة من معنى ، فهم لا يساوقون الاحزاب في تنظيماتها ولا يشاكلونها في اغراضها العملية المحلية ، ولا يعرضون الى ادواء الامة والنظم الادارية القائمة بالتفصيل والتبسط ولا يتقدمون الى الناس بمنهاج عملي في الاعمار والانشاء ، ولذلك فهم في عقيدتهم هذه يشكلون مذهباً قومياً لا يريد ان ترتبط مصايره بمصاير بلد واحد ، وموطن معين ، فهم من هذه الناحية يعملون للعربية الموحدة ومن ضمنها العراق بخلاف الشعبين الذين ينظرون الى العراق كنقطة الدائرة فلا يفكرون في الوحدة العربية الا بمقدار ما تقدمه هذه الوحدة من خير للعراق والعراقيين . .

والواقع ان القومية لكي تفضي الى البلاد العربية بالخدمة المرجوة ، يجب ان تقوم على اساس ديموقراطي تنعم في وسطه كل فئة من فئات الشعب بالطمأنينة والخير والعدل والانصاف ، بحيث لا يستطيع فيها الاقطاعي صاحب الاملاك الوسيعة ان يخون امانة الامة فيبيع ارضه للغريب النازح ، يؤسس فيها قومية جديدة غريبة على اساس القومية العربية الموجودة كما وقع في

فلسطين !!

والقومية لا يمكن ان تعيش مع اصحاب الثروات الطائلة لا يبذلون منها شيئاً في سبيل الانشاء والاعمار والمشاريع النافعة المفيدة، ولا مع المرابي يتخذ من اموال سبيلاً لافقار المزارع والعامل والفلاح والبائس والفقير ٠٠٠ ولا مع هذه الثقافة الاجنبية التي تمزق الشعب ، وتقتل فيه روح الوطنية والتضحية ٠

ان القومية التي نريدها هي القومية المخلصة المليئة بالتضحية والعدل والانصاف ، والعمل لكل ما من شأنه اسعاد المجموع ورفع مستوى الثقافة في البلاد من ادناها الى اقصاها ٠٠٠



- ٩ -

حزب الاصلاح الشعبي !!



عرضنا في الفصل السابق الى الفكرة القومية ، وقلنا انها لا تضطرب في حزب سياسي ، وانما هي مذهب من من هذه المذاهب السياسية الاجتماعية الثقافية التي يدين بهـا الكثيرون من شباب القطر الشقيق ، ونعرض الان (لجمعية الاصلاح الشعبي) التي هي في الواقع شيء يساوق الاحزاب السياسية المعروفة في اوروبا والتي يدين بمبادئها وينادي بها عصبة من الشباب المثقف تعتقد ان الشعب كان بعيداً عن كل عوامل العناية والاهتمام، لا تفطن حكومة الى مظالمه ، ولا تعني هيئة بصالحه ، ولا تفكر جماعة بضرورة الاهتمام به والعنـاية بامره ، ورفع مستواه ليصبح اداة فعالة في انشاء هذه الدنيا الجديدة التي نريدها في العراق.

وحديث الاحزاب ليس جديداً في العراق ، فقـد قررت بعض الوزارات تأليف الاحزاب لتأييدها ومناصرتها في اقرار برامجها ومناهجها ولكن هذه الاحزاب لم تكن تقوم على المصلحة العامة والعطف الشعبي ، وانما كانت غاياتها

الاساسية تأييد الحكم القائم ، فاذا زال هذا الحكم زالت معه ، وتفرق اعضاؤها وامحت آثارها ...

وكان آخر الاحزاب العراقية الحزب الذي الفه السيد علي جودت الايوبي رئيس الوزارة التي تولت الحكم سنة (١٩٣٤) واسماه (حزب الوحدة الوطنية) وقد دارت الانتخابات النيابية في ذلك العهد على برنامجه ولم يعمر البرلمان الذي خرج منه طويلاً ، فقد حلته الوزارة الهاشمية التي تقلدت الحكم في ١٧ اذار ١٩٣٥ فكان ذلك خاتمة الحزب وتمزقه ، ولم تجد الوزارة الهاشمية حاجة الى انشاء حزب جديد لانها وجدت ضالتها في حزب الاخاء الوطني وهو الحزب الذي كان يرأسه الهاشمي نفسه ، وقد ذهب هذا الحزب ايضاً لمآبه بعد استقالة الهاشمي وانتقاله الى رحمة ربه

اما الحزب الشعبي الجديد فانه يختلف عن الاحزاب السياسية ، في انه يقوم على مبادىء شعبيه ديموقراطية ، ويستند في تأييده الى جمهرة الشعب ، وعطف الناس وتأييدهم لمبادئه ، ورغبتهم في اقرارها ، لما يحسون فيها من فائدة للوطن ، ومصلحة للبلاد .. ، وهو من هذه الناحية مؤسسة شعبية تعمل للشعب ، وتقوم بتأييد الشعب ، وترتكز الى مبادىء مقررة دون ما نظر الى الوزارات القائمة ، والشخصيات السياسية ، التي كانت في كثير من الاحيان تستغل الاحزاب لمصالحها الخاصة ، واغراضها الحزبية ..

واما علاقة هذا الحزب بالوزارة الحاضرة فتعود في اسبابها الاولى الى ان بعض رجالها يؤيدون فكرته الشعبية الوطنية ، ويرغبون في ادخال تعديلات عظيمة على النظم الاجتماعية المقررة تكون مستمدة من روح الشعب وحاجاته ومصالحه واغراضه ، وتكون ذات اثر عظيم في توفير

الرفاهية والعدل والاصلاح لكل افراده ..

وفي هذا دليل على ان نشاط الوزارة السليمانية لن يقتصر ميدانه على الحكومة من حيث اتصالها مباشرة بالشعب بواسطة دوائرها ، وما تملك من صلاحية في اقتراح القوانين التي تراها مناسبة لتطبيق سياستها الجديدة بل هي ترغب في توسيع هذا الميدان بتعزيز هذه الاراء الشعبية تجد فيها عوناً على تأدية رسالتها، والتمهيد للصعب من مبادىء هذه الرسالة بين مختلف الطبقات والاوساط ..

والواقع ان مبادىء هذا الحزب ليس فيها شيء يختلف عن تصريحات فخامة حكمت سليمان رئيس الوزارة العراقية الحاضرة ، التي ادلى بها الى مؤلف هذا الكتاب ولغيره من الادباء والصحفيين الذين تشرفوا بمقابلته في بغداد

واهم ما فيها الصبغة الشعبية التي تطفو على كل مادة من مواد المنهاج ونظام الجمعية الداخلي ، كتقسيم الاراضي الموات على الفلاحين ، وتحديد ساعات العمل للعمال ، وتشجيع النقابات التعاونية بقدر المستطاع ، وتمكين الطبقات الدنيا والتعليم الاجباري ، وانشاء الدور العصرية للعمال وافراد الجيش وانشاء البنوك الزراعية من قبل الحكومة لمساعدة الفلاحين بفوائد قليلة او بغير فائدة على الاطلاق

وليس من شك في ان برنامج الحزب الجديد من افضل البرامج السياسية التي نشرت في العراق حتى الان ، وهو يفضل برامج الاحزاب السابقة في وجوه كثيرة ، ويزيد عليها في كثير من الشؤون التي اغفلت معالجتها والكلام عليها ..

ولعل من اهم هذه المبادىء : « تعزيز الكيان الداخلي بتقوية الجيش وتعزيز سلاح الطيران ومشروع الجندية بين افراد الهيئات الشعبية ، واصلاح

الشرطة ليكون مجموع هذه القوى قادراً على الدفاع عن البلاد وحمايتها من كل اعتداء خارجي، وفسح المجال لابداء الافكار الحرة ولطاقة الحريات الديموقراطية ونشر الثقافة والتهذيب بين جميع ابناء الشعب على منوال عادل »

هذا ما جاء في البرنامج عن السياسة الداخلية اما السياسة الخارجية فقد جاء عنها ما نصه : « التقارب بين البلدان العربية وتقوية الصلات بين الهيئات الشعبية فيها وتوثيق الود مع جارات العراق والدول الاجنبية والتعامل معها على اساس المساواة »

وللحزب الجديد عناية خاصة بالشؤون الاقتصادية والاجتماعية واليك ما جاء في برنامجه عنها :

« السعي لرفاهة الشعب على اساس جعل مستوى الحياة يكفل لكل فرد الحصول على حاجاته الضرورية المادية والمعنوية كحد ادنى، ويضمن له مجال الحصول على الحاجات الكمالية بقدر ما تسمح به الثروة العامة وذلك :

ا — باحتكار الدولة لوسائط النقل والمخابرات والمواصلات واسالة الماء والنور وقيام الحكومة بالمشروعات الصناعية اللازمة للبلاد وبكل ما يتعلق براحة الشعب ورفاهته

ب — انشاء بنك للدولة يسيطر على مالية البلاد

ج — حصر الاقراض الزراعي والعقاري والقروض الاخرى بالبنوك الحكومية لانقاذ الناس من ارهاق المرابين وسن قوانين تعاقب الذين يشتغلون بالفائدة الفاحشة

د — فرض الضريبة المتزايدة على الدخل والارث لكي تستطيع الدولة النهوض بالاصلاحات العامة

هـ — احياء الاراضي الموات وتوزيعها على الفلاحين لاستثمارها مباشرة وتطبيق مبدأ التعاون بينهم بتأليف الجمعيات

و — انشاء القرى العصرية وردم المستنقعات

ز — الغاء القوانين والقواعد الزراعية الجائرة

ح — تخفيض رواتب الموظفين الضخمة وانصاف صغار المستخدمين

وللتعليم ايضاً نصيب خاص من البرنامج فقد جعل الابتدائي منه الزامياً ونص على مكافحة الامية وتأسيس معاهد التثقيف والتنوير . وجعل الوقاية الصحية واجباً رئيسياً، والطب الشافي في الدرجة الثانية، وقضى بتنظيم المدن على اساس صحي وبانشاء دور صحية وتأجيرها باقساط للضباط والجنود والعمال وصغار الموظفين والمحتاجين، كما نص على محاربة المسكرات، ونص ايضاً على وضع قوانين تحمي وتضمن حقوق العمال وتقدمهم وتحدد ساعات العمل . ووضع قوانين توافق المدنية الحديثة لتنظيم الاحوال الشخصية والسعي لتحرير المرأة مع الاحتفاظ بالنظام العائلي»

ومن مطالعة هذا المنهاج السياسي يشعر القاريء ان الحزب يقدر حالة الشعب حق التقدير ، ويعلم كل العلم ما كان يبعده عن التمتع بحياة رافهة ولذلك رأيناه يضع لهذه الحالة البائسة علاجاً عملياً يحقق للشعب العدل والانصاف والسعادة والرفاهية .

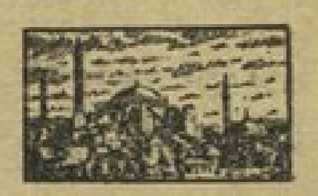
وهناك ناحية اخرى يعرض لها المنهاج وهي الغاء القوانين والقواعد الزراعية الجائرة ، وسن قوانين تكفل التقدم الزراعي ، وتنقذ الفلاح من المستغلين والمستثمرين لان الفلاح دعامة قوية من دعائم الاصلاح ، ولا حياة لبلد اذا كان لا يعني بالفلاح ، ولا يفكر في انصافه . . .

ولم يكتف البرنامج في انصاف الفلاح من هذه الناحية فحسب، وانما جعل

من مبادئه ايضاً ، حصر الاقراض الزراعي والعقاري والقروض الاخرى بالبنوك الحكومية ، لانقاذ الفلاح من ارهاق المرابين ، والفلاح ابداً فريسة لهم ، كما قرر ان يكون احياء الاراضي الموات وتوزيعها على الفلاحين لاستثمارها من قبلهم مباشرة ، وتطبيق مبدأ التعاون بينهم بتأليف الجمعيات التعاونية لهم ...

. . .

ومن مطالعة هذا البرنامج يرى قارىء كتابنا ان الاختلاف بين القوميين والشعبيين يكاد ينحصر في السياسة الخارجية التي يرغب القوميون ان تكون عراقية عربية ويريد الشعبيون ان تكون عراقية اولا ثم عربية ، واما بقية الشؤون الاجتماعية من انصاف الفلاح ، وتحسين حياة العامل ووضع حد للاستغلال والاستثمار وتعليم المرأة وغير ذلك من الامور ، فان الجماعتين تتفقان عليها كل الاتفاق ، وهو امر يسر كل عربي مخلص ، لان العراق في الواقع بحاجة ماسة الى جهود كل ابنائه ورجاله يعملون سوية لرفع مستواه وتعزيز حضارته وجعله شعلة من شعل النور في الشرق العربي ...



-١٠-

سياسة العمل والاعمار !!



افضى اليّ الحوار الذي دار بيني وبين فخامة رئيس الوزارة بكثير من روحه الجديدة ، ورغبته الملحة في الاصلاح والعمل والاحسان والاعمار ، والذين يعرفون حكمت سليمان كما عرفته ، ولم اعرفه من حديثه ولا من اجتماعي به ، ولا من حديث انصاره واصدقائه ، وانما من هذا الحوار الذي دار بيني وبين مختلف الطبقات ، في العراق يؤمنون معي ، انه رجل اذا وعد وفى ، واذا قال فعل ، وانه يفعل دون ان يقول ، وانه من اولئك الذين لم يفضوا الى العراق حتى الان بسيئة يحاسب عليها ، ولا بتقصير او افراط في وطنية ، اوضعف امام مصلحة عـامة ، واذا كان الامر كذلك ، فمن الصعب وامامنا هذه الماضيات الشريفة ، ان لا نؤمن بانه فاعل مـا وعد به ، وانه سيكون عند قوله وعند وطنيته واخلاصه ٠

ولعل بيان وزارته خير مـا اخرج للناس في العالم العربي من بيانات الوزارات حتى الان ذلك ان فيه عدا الاصلاحات الادارية والعمرانية العديدة

التي تضطرب عادة في منهاج كل وزارة نواح جديدة كانت الوزارات العربية تغفلها دائماً وابداً، واهمها هذه النواحي الاجتماعية من العناية بالجماعات دون الافراد ومن اصلاح حال الشعب الذي كان مهملاً لا تمتد اليه يد الاصلاح في كثير ولا قليل

. . . .

ونضرب الامثال ما جاء في بيان الوزارة عن الصحة في العراق، فقد وعدت بزيادة عدد المستشفيات والمؤسسات الصحية واستخدام العدد الكافي من الاطباء، ورفع المستوى العلمي لمدرسة الطب، ومدارس الموظفين الصحيين والممرضات والصيادلة والقوابل، وتوسيعها لزيادة عدد المتخرجين من الاطباء والموظفين الصحيين، بحيث يكون باستطاعة كل عراقي ان ينعم بالعناية الصحية التي هو بحاجة اليها .. كما وعدت بان تعني بوسائل الوقاية الطبية، وتشكيل مؤسسات خاصة لمكافحة الامراض التي تهدد حياة الشعب خصوصاً الامراض الزهرية والملاريا والانكلستوما .. والعمل على منع تفشي الامراض وتحسين صحة افراد الشعب العامة بزيادة مراكز العناية بالاطفال زيادة مطردة ووضعها تحت ادارة نساء مدربات تدريباً يمكنهما من تعليم الامهات كيفية العناية بالاطفال وتربيتهم ..

ونظن ان هذه الناحية من الخطورة بالمكان الارفع، وهي في اعتقادي يجب ان تقدم على كل عمل آخر، لان العناية بصحة الشعب هي ابداً اساس نهضته وتقدمه، ولا خير في شعب تفتك فيه الامراض، ولا ينعم بصحة جيدة وقوة جسم، ومتانة عضلات .

وقد بدأت حكومة حكمت سليمان فعلاً في انفاذ برنامجها هذا،

فانشأت في يوم واحـد – هو يوم ١ مارس سنة ١٩٣٧ – اثنين واربعين مستوصفاً في مختلف انحاء العراق ، خصوصاً في القرى والارياف ، وكانت قد عينت لهذه المستوصفات الموظفين في ١٧ شباط ، فلما كان يوم الافتتاح كان كل واحد منهم على رأس عمله ومن المنتظر ان تمضي في خطتها هذه حتى تصل الى غاياتها ، وحتى تتمكن من جعل العراقيين شعباً صحيح الجسم سليماً من كل الامراض والاوبئة

. . .

اما تنظيم السجون تنظيماً عصرياً ، وتحسين احوال المسجونين بوجه عام وتهذيبهم ليكونوا اعضاء صالحين نافعين عنـد خروجهم من سجونهم ، فمن الامور التي تعنى بها الوزارة الحاضرة عناية خاصة ايضاً

واذا اضفنا الى ذلك ما قررته الوزارة من الاهتمام بالمسجونين الاحداث واتخـاذ التدابير اللازمة لتنظيم المدارس الاصلاحية ، ادركنا كيف تسير الوزارة في بناء العراق الجديد ، فانه ليس يكفي الحكم على المجرم ، والاقتصاص منه ، وانما يجب اصلاحه ، ليصبح بعد خروجه من سجنه عضواً عاملاً نافعاً ، ولا خير في سجون تزيد المجرمين اجراماً ، ولا تعني باصلاحهم وتثقيفهم ، لان الغرض من القصاص ان يكون وازعاً للمجرم عن العودة الى مـا وقع فيه من خطأ ، وانصرف اليه من ضلال ، والحكومة السليمانية تخدم العراق خدمـة عظيمة باستئصال الاجرام في بلادها بمثل هذه الطرق الاصلاحية ، لان العراق في الواقع بحاجة الى كل شبابه ورجاله واطفاله . .

. . . . .

وهناك ناحية اخرى تعني بها الوزارة كل العناية ، وهي الاهتمام بتحسين

شؤون البلديات والسعي لانشاء حدائق للاطفال ، ومتنزهات عامة للجمهور ، ومحلات للرياضة ، وتقوية شعبة الهندسة في العاصمة لاسعاف البلديات بالمساعدة الفنية اللازمة فيما يتعلق بتخطيط المدن ومشاريع الماء والكهرباء ، وتهيئة ماء صالح للشرب لكافة المدن والقرى

وهذه ظاهرة حسنة تشكر عليها الوزارة الجديدة كل الشكر لان العراق بحاجة ملحة الى تحسين الحالة الاجتماعية في مدنه ومختلف قراه ، ونحن اذا استثنينا بغداد ، وماتقوم به بلديتها من مشاريع اصلاحية وعمرانية تشكر عليها ، فان مدن العراق الباقية بحاجة ماسة الى مثل هذه العناية تصرف على العاصمة فحسب ، ولعلنا لانفشي سراً اذاقلنا ان الاصلاحات العامة في المدن العراقية تكاد تكون معدومة ، وان اكثر هذه المدن والقرى المختلفة بحاجة قصوى الى اصلاح شوارعها ، وتنظيف مياهها ، وانشاء المشاريع الكهربائية فيها ..

ومما يصار الى ذكره بهذه المناسبة انني سمعت ثناء مستطاباً في بغداد على ارشد بك العمري امين العاصمة ، وانني سمعت مثل هذا الثناء على صالح بك جبر وزير العدلية اليوم لما قام به من اعمال اصلاحية يوم كان متصرفاً للواء كربلاء .

وارشد بك العمري امين بغداد شخصية غريبة ، دائب الحركة كأن اعصابه قدت من الكهرباء ، كثير الذكاء جريء مقدام ، باسم الثغر ، مشرق الوجه ، سريع في اقرار مشاريعه ، مقدام في انفاذ خططه ، وبغداد في حاجة الى مثله ، فان عاصمة البلاد العربية يجب ان تمضي في طرق الاحسان باسرع ما يمكن من الوقت ، لتستطيع ان تبلغ الغاية التي يريدها لها كل محب للعراق والعراقيين

اما سياسة الحكومة المالية فهي سياسة عملية منتجة مفيدة خصوصاً ما يتعلق برغبتها في تعديل الضرائب عامة وضريبة الدخل بصورة خاصة ، بحيث تصبح هذه الضريبة ملائمة لروح العصر ، وحاجة البلاد ومقدرة كل من المكلفين ومن الحكمة ان تسرع الحكومة في تطبيق نظام (الكادسترو) الذي هو اساس لكل تنظيم مالي في البلاد .

اما اتخاذ التدابير لتحسين تجارة العراق الداخلية والخارجية ، وموازنة صادرات البلاد مع استيراداتها ، فسياسة درجت عليها في الايام الاخيرة اكثر الدول الاوروبية ، والعراق يحسن صنعاً اذا اقر هذا التدبير المفيد ، لانه يساعد على انعاش منتوجات البلاد ، ويرفع مستوى الفلاح والمزارع ، ويكون خير سبيل لاقرار السياسة المالية العتيدة التي ترغب الوزارة انفاذها في كل مرافق العراق

وقد وعدت الحكومة السليمانية في منهاجها ان تؤسس معامل للغزل والنسيج لتموين الجيش العراقي والشرطة وتلامذة المدارس وغيرهم بمنتوجاتها ، وقد اعلنت الصحف عن قبول المناقصة لانشائه ، وانتهت المناقصة ، . . . ومن المنتظر ان يكون هذا المغزل امراً واقعاً في مدة قريبة جداً . واما توسيع المصرف الزراعي الصناعي وتعديل قانونه ليصبح اداة فعالة مفيدة تساعد على تأسيس المشاريع الصناعية ، وتشجيعها ومساعدتها واكثار المنتوجات النباتية كالقطن والكتان والقنب ، وتحسين الحبوب وتنقيتها وتسهيل النقل وتقليل كلفته ، والعمل على ادخال الوسائل الميكانيكية كالساحبات والدائسات وغيرها في الزراعة ، فمن المشاريع العظيمة الاثر الكبيرة الفوائد ، ومن المؤكد ان تعاون المجلس الجديد والحكومة على انفاذ هذه المشاريع بالسرعة الممكنة سيحدث تبديلاً عظيما في العراق يتعداه الى البلاد المجاورة ، وتكون العراق

فيه صاحبة الفضل الاكبر فيما سيعود من خير على العربية من جرائه ·

ولقد عرض فخامة رئيس الوزارة الى امور الدفاع في بيان القاه امام مجلس النواب في ٦ اذار ١٩٣٧ فقال :

«وبالنظر الى ضرورة درس القضايا التي لها تأثير مباشر في تسهيل امور الدفاع عن المملكة العراقية كفتح الطرق وتمديد السكك الحديدية واقامة الجسور وخزن النفط وتوزيع الثروة على انحاء المملكة وتهيئة جميع عناصر الدولة للخدمة عند النفير، واستثمار الموارد الطبيعية بغية تأمين حاجة الجيش في الاوقات العصيبة وغير ذلك من القضايا الحيوية التي تتطلب تضافر الوزارات ذات الشأن لحسمها على افضل وجه، فقد رأت الحكومة من المهم جداً تشكيل مجلس دفاع اعلى يؤلف برئاسة رئيس الوزراء وعضوية كل من وزير الدفاع ووزير الداخلية ووزير الاقتصاد والمواصلات ورئيس اركان الجيش وينظر هذا المجلس في جميع القضايا الآنفة الذكر، كما تؤلف لجان فرعية اختصاصية لدرس هذه القضايا، التي يرى المجلس من الضروري الاطلاع على رأي الاخصائيين فيها»

وزاد فخامته في حديث له مع صحفي اجنبي فقال :

« ان نظام التجنيد الاجباري اليوم متبع في البلاد وسوف يبقى نافذاً، لكن الجيش النظامي الحالي سيبقى كما هو وليس في النية الان زيادة عدده لانني من الذين يعتقدون ان قوة الجيش ليست بعدد افراده وانما بحسن تنظيمه وبتجهيزه باحدث المعدات العسكرية»

وقد علم الصحفي من فخامته ان ١٤٥ طالباً قبلوا في الشهر الماضي في الكلية الملكية العسكرية وسيعينون عند تخرجهم ضباطاً في الجيش كما

اشار فخامته الى رغبة حكومته في شراء طيارات عسكرية جديدة لتعزيز القوة الجوية الملكية وذلك باقرب ما يمكن من الوقت

وانتهى فخامته من حديثه مع الصحفي الى المسائل التربوية فقال :

« ان وضعنا الراهن لا يسمح لنا بتطبيق منهاج التعليم الاجباري في البلاد فليس لدينا الوسائط الكافية ، وليس لدينا هيئة تعليمية تفي بهذا الشأن ، ولكنني اجاهد الان للقضاء على هذه العراقيل ... فسأفتتح في المستقبل القريب دوراً للمعلمين والمعلمات كما ان عدداً عظيماً من المدارس للبنين والبنات على السواء ستؤسس في جميع انحاء البلاد »

. . . .

واذن فنحن امام سياسة عملية بكل ما في الكلمة من معنى تتناول كل مرافق الحياة في العراق بحيث يصبح العراق بعد سنوات قليلة قطراً يستطيع الدفاع عن نفسه واستثمار كل ما حبته به الطبيعة من موارد مدفونة في ارضه ، يتقاسمها ابناؤه وفاقاً لما يقدمه كل منهم في سبيل الانشاء والاعمار من تضحية وجهود ، واذا تمكنت الوزارة الحاضرة من القيام ببعض ما وعدت به فان العراق سيخلق خلقاً جديداً وسيصبح شعلة من شعل الحضارة العربية في الشرق ، فكيف بها اذا تمكنت من اقرار كل مشاريعها وقامت بكل اعمالها انها تذهب عندئذ بفخر الاجيال ، وتكون عند حسن ظن البلاد العربية باخلاص رجالها وتضحيتهم ووطنيتهم

واخيراً لسنا نطيل على قارىء كتابنا باستقصاء القول في بيان الوزارة واغراضها ، وما تحاول من احسان في مختلف المرافق العراقية العامة فان شيئاً من تفصيل ذلك يقع في موضعه مما يستقبل القارىء من هذا الكتاب ، ولكننا

نريد التنبيه الى ما قسمناه من الرأي وما تكلفناه من الخطة في هذا التأليف عن « العراق الجديد » الذي يستقبل القارئ، مختلف نواحي الجدة فيه في الفصول التي تلي، والتي عرضنا فيها لاعمدة الاستقلال الاربعة :

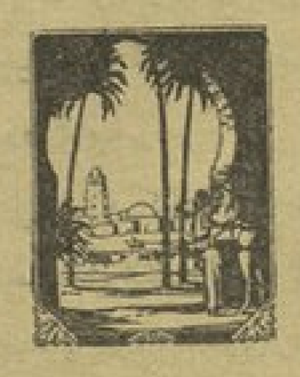
١ — الاقتصاد والزراعة

٢ — المعارف

٣ — الدفاع

٤ — السياسة الخارجية

بشيء كثير من اليسر ، فلم نتبسط فيها الى حد الكفاية التي تورث الاستغناء ، بل نهجنا فيها سبيلاً وسطاً الى الفكر ، وجمعنا من المعلومات والاراء ما ان تدبره القارئ ، واحسن في اعتباره ، واجراه على حقه من التثبت والتعرف ، كان له مادة فيما يجيش بصدره من حب للتجديد ، ورغبة في الاعمار والاحسان، وحرص على ان تعود لهذه البلاد امجادها الغابره وحضارتها السالفة ...



- ١١ -

١ ـ اعمدة الاستقلال والحضارة

السياسة الاقتصادية والزراعية



اعلنت الوزارة السليمانية في منهاجها انها ستعني بالشؤون الاقتصادية والعمرانية عناية خاصة ، وانها ستوجه اهتمامها في الدرجة الى المشاريع الانتاجية التي تزيد الثروة العامة كالقيام بمشاريع الري المفيدة ، وتعبيد الطرق الرئيسية ، وانشاء الجسور المهمة وزيادة وسائل النقل وتحسين المواصلات بصورة عامة ، وتحسين زراعة البلاد بحيث تضمن استفادة الزراع من الحقول الشجرية استفادة عملية ، وعلى اساس توسيع فروعها وتشميلها الاماكن النائية لمنفعة صغار المزارعين ، ومكافحة الاوبئة الزراعية مكافحة فعلية ناجعة وتهيئة الوسائل لزيادة علاقات كافة الزراع بالموظفين الفنيين ، واستفادة الواحد من الآخر ، وتنقية المحاصيل الاساسية والعناية الزائدة باصلاح جنس التبغ ، وتكثير الغابات والعناية بها

عناية تامة ، وتوسيع دائرة البيطرة واصلاحها بصورة تتمكن من تحسين جنس الخيل ، وانواع الماشية والاصواف ومكافحة امراض الحيوانات ومنع سرايتها والاهتمام بمعهد الصناعات النباتية وجعله بحالة يمكن معها الاستفادة منه في التجارب الفنية ، والقيام بالصناعات النباتية من قبل الحكومة مباشرة على اساس تجاري للاستفادة من اكثر المنتوجات الزراعية وتأسيس المشاريع الصناعية اللازمة لسد حاجات القطر في البضائع التي يمكن صنعها في العراق ، كتعديل النفط بالقيام بصفي النفط ، والقيام بصورة عامة بالاعمال اللازمة لاستثمار مرافق البلاد وزيادة انتاجها . »

تبسطت في هذا البيان الخلاب الجميل ، لسببين ، اولهما : ان العراق لا يستطيع مجاراة الامم الناهضة الا اذا اخذ بما اخذت به هذه الامم قبله من وسائل الانشاء والاعمار ، وهو مضطر حتماً اذا اراد الحياة الحرة الصحيحة ان يجاريها ليس في الانشاء والاعمار فحسب ، وانما في الاخذ بهذه الاعمال العمرانية على الوجه الاكمل والاسرع . .

ولعل العراق يحسن صنعاً اذا نظر الى الموجات الانشائية في تركيا وايران ، فان هاتين الدولتين لم تكونا قبل سنوات احسن من العراق حالاً — من حيث الاعمال الانشائية والعمرانية — واما اليوم فانها قد سبقتاه بمراحل ، ومن المفروض على العراق وهو واقع بينهما ان يجاريهما كل المجاراة اذا اراد ان يحافظ على استقلاله ويصون وحدته . .

واذا علمنا ان الطابع الذي يتسم بـه العصر الحاضر هو السرعة في كل شيء ، ادركنا الفائـدة العظيمة التي تعود على الحكومة العراقية والشعب العراقي اذا توافرت همة الشعب والحكومة معاً على العناية بالناحية الاقتصادية

والانشائية عناية خاصة ، وتوحدت الصفوف للوصول الى اقرار هذه المشاريع الخطيرة التي عرضت لها الحكومة في بيانها باسرع ما يستطاع من الزمن ..

واذا نظرنا الى اعمال الحكومات السابقة نرى ان اكثرها كان يفكر في هذه المشاريع ويعدبتحقيقها ،ولكن احداً منها لم يوفق الى اقرارها فمشاريع الري اذا استثنينا بعض الاعمال القليلة لا تزال في موقفها الاول منذ وضع لها المهندس الانكليزي السير ولكوكس ، تلك الخطط المدهشة التي اذا نفذت ،حولت بقاع العراق القاحلة الى رياض غناء تدر على اهلها مختلف الخيرات ، وعادت عليهم باضخم الثروات ، ومثل هذا يقال عن انشاء طرق المواصلات ، وايجاد الوسائل لربط العراق باهم الثغور التجارية المؤدية الى الاسواق العالمية ، وسن تشريع لتوزيع الاراضي الاميرية غير المعوضة قطعاً صغيرة على الفلاحين الذين يزرعونها

وللعراق موارد دخل كبيرة اخرى تنمو بنمو الاعمال المنتجة فيه ، كآبار البترول ومزارع النخيل ، وليس عليه من الديون شيء ، وهذه حالة يحسد عليها ، وبطوق الحكومة الحاضرة ان تقترض الاموال التي تشاء لاقرار مشاريعها الكثيرة الخيرات والارباح ، واقرار ما عجزت عن اقراره جميع الوزارات التي سبقتها .

وهناك القار الموجود في العراق ، وقد رأيته في طريقي الى بغداد وهو موجود بكثرة بحيث تستطيع حكومة العراق ان تستفيد منه لتعبيد مختلف السبل فيها بما لا يذكر من النفقة ، فامام هذه الخيرات العظيمة التي تملأ ارض العراق ، لا نجد للحكومة الحاضرة عذراً فيما اذا قصرت عن اقرار برنامجها الواسع العظيم ...

واما السبب الثاني الذي دعاني الى التبسط في هذا البيان ، فهو ان العراق اذا كان قد وفق في جهاده السياسي ، ونفض عنه غبار الانتداب فانه لا يزال غارقاً في الاستعمار الاقتصادي ، وعلى الحكومة الحاضرة ان تحرر العراق من هذا الاستعمار كما حرره فيصل الاول من الانتداب . . .

وما انا بالذي يستبق الزمن ويسرف في الايمان اذا رحت اقول ان حكمت سليمان ليس بالرجل الذي يخدع بلاده ، فان امارات الاخلاص ظاهرة على وجهه بادية في كل جارحة من جوارحه ، واذن فان هذه المشاريع ستكون امراً واقعا بعد سنوات قليلة ، وقد علمت ان الوزارة قد اخذت فعلاً بتنفيذ بعضها فقررت فتح عدة انهر منها (الدجيل) و(الغوار) وقررت اسكان العشائر الرحالة في الاراضي التي يسقيها هذان النهران بعد احيائها واخذت بانشاء الجسور فبدأت بجسرين في بغداد ، كما راحت تسعى بانشاء مصفى للنفط في العراق نفسه . .

ولكن اهم ما يجب ان تعني به الحكومة هو تعزيز الزراعة وري الاراضي التي تصلح للانتاج الزراعي وتوزيع الاراضي الاميرية على صغار الفلاحين العاملين ليفطن هؤلاء الى انهم في بلادهم ، وانهم ليسوا غرباء عنها ، وان الحكومة اخذت تعني بهم كما تعنى بسواهم ، وانهم ابناء هذه الامة ، ولهم نصيب في ارض الوطن ، ما فطنوا الى واجباتهم واحسنوا في انتاجهم وزراعتهم . .

ومن المؤكد ان تعزيز الزراعة يعني زيادة في الانتاج وزيادة الانتاج تستلزم من الحكومة منافذ للتصريف ، والتصريف لا يكون بغير الوصول الى الاسواق الخارجية ، ومن هنا ترتبط مصاير العمل الانشائي في العراق بعضه مع بعض ، ومن المفروض على الحكومة والحالة هذه ان تعني بمشروعاتها

الانشائية والاقتصادية في سنوات قليلة ، وان تسير فيها وفاقاً لخطة مدبرة ، ونظم مدروسة ، وهو ما فطنت له الحكومة كما رأيت بام العين ، فهي في الوقت الذي تعنى فيه بدرس توزيع الاراضي الاميرية على صغار الفلاحين ، تدرس مسألة السكة الحديدية في العراق او بالحري بين بيجي والموصل

وهذا العمل من الخطورة بمكـان عظيم لانه سيربط العراق بشقيقته سوريا ارتباطاً مباشراً ووثيقاً ، ومنها يتصل بتركيا واوروبا

ولقد كانت السكة الحديدية العراقية تبدأ في قرية من الشمال تدعى « بيجي » ثم تمر ببغداد وبغيرها من المدن ثم تنتهي بثغر العراق ـ البصرة ـ وهناك فرع يبدأ من هذا الخط في بغداد ، وينتهي عنـد كركوك شرقاً ، وبذلك تكون مدينة الموصل منفصلة عن بغداد وبقية مدن العراق من ناحية السكك الحديدية ، وان كانت تتصل بهذه المدن بطريق السيارات

ويرجع تاريخ الجزء الذي يصل بغداد ببيجي والذي يراد تمديده بموجب المشروع الجديد الى الموصل لتخليصها من عزلتها ومن هناك الى محطة تل كوجك ، الى عمل الالمان خلال المدة التي انقضت بين ١٩١٢ — ١٩١٤ ، فقد انشأوا بين بغداد وسامراء (مركز قضاء في شمال بغداد) سكة حديدية من الطراز الاول ، وذلك كجزء هام من اجزاء خط حديد بغداد — برلـين ، الذي قيل عنه انه سيصل المانيا بخليـج فارس فيهدد المصالح الانكليزية والروسية ونفوذ فرنسا في الاناضول وسـوريا

ولكن الاتفاق تم بعدئذ بين الانكليز والافرنسيين وبين الافرنسيين والالمان في حزيران ١٩١٤ وبه سويت كافة المشاكل . وجاءت الحرب فغيرت الوضعية تماماً ، فان مشروع الالمـان وقف عند سامرا ، وقام المهندسون

الانكليز وفرق العمال بايصال الخط من سامرا الى بيجي وهي تبعد ١٣٥ ميلاً شمال بغداد ، ومن ثم وصل الخط هذا بقرية اخرى تدعى « الشاقاط »

ان باكورة اعمال الوزارة الحاضرة ايصال الخط الحديدي من بيجي الى الموصل ومن الموصل الى تل كوجك . ويبلغ طول الخط المنوي انشاؤه ١٨٠ ميلا ، وبين الموصل وتل كوجك ٦٨ ميلا ، وتقدر مصاريفه باكثر من مليوني دينار ونصف المليون ، وستستغرق مدة انشائه بين السنتين والسنتين ونصف وهي مدة طويلة نسبياً وذلك يرجع لوعورة الارض بين بيجي والموصل وكثرة انجادها ووديانها ، اما القسم الاخر ، وهو القسم الواقع بين الموصل وتل كوجك فهو سهل لان الالمان عند تفكيرهم بمد سكة حديد بغداد — برلين قد مهدوه تمهيداً حسناً .

والسبب الذي دعا الدوائر الفنية الى ترجيح وصل هذا الخط وعدم ايصال خط كركوك هو ان خط كركوك ، بالنسبة الى الخطوط العالمية ضيق بينما الخط المراد ايصاله عريض ، واقل نفقة من الاول . وتبلغ سرعة القطار على هذا الخط ٦٠ ميلاً في الساعة بينما الخطوط الاخرى التي يسير عليها القطار بمعدل ٣٥ ميلاً .

وترجع اهمية هذا المشروع الى انه سيربط العراق بالدول الشرقية المجاورة والعالم ولا سيا الجارة الشقيقة سوريا ، كما انه له اهميات اقتصادية وعسكرية وثقافية ، فسيربط المشروع مناطق انتاج واسعة في الشمال بمناطق استهلاك وتصدير في الجنوب ولا سيا ثغر التصدير « البصرة » كما انه سيعمل على تقوية اواصر الارتباط بين العراقيين انفسهم ، وسيمكن السفر من لندن الى بغداد الاستانة بمدة تقرب من ستة ايام لا ينقطع فيها السفر الا عند محطة حيدر باشا في

الاستانة لوجود البوسفور

والمشروع علاوة على ذلك يدل كما صرح معالي وزير الاقتصاد في خطابه وبصفته رئيساً لمجلس ادارة السكك الحديدية العراقية على ان الوضع المالي للسكك يدعو الى التفاؤل وسوف لا يضايق مجلس الادارة الخزينة العامة كثيراً بطلب المال اللازم لانجاز هذا العمل الكبير لان ادارة السكك ستمضي بهذا المشروع مدة قبل ان تطلب معونة من الحكومة لاكماله

. . .

واذا نظرنا الى مسألة توزيع الاراضي الاميرية نرى ان لرئيس الوزارة حكمت سليمان رأياً موفقاً فيها : وقد صرح في حديث له مع احد الصحفيين مؤخراً فقال: لا اكتمك ان لنا منهاجاً عمرانياً اجتماعياً واسع النطاق «سنسعى الى تنفيذه» وفي طليعته الاراضي الاميرية غير المفوضة وغير المزروعة ، التي سنبحث باعمارها وتوزيعها بطريقة يستطيع معها كل عراقي ان يملك قطعة منها .

« وهذا بحمد الله ميسور ، لان عندنا مئات الالوف من الدونمات غير المملوكة وغير المزروعة ويمكن للحكومة ان تتصرف بها كما تشاء .

« واعتقد انه ليس بين رؤساء العشائر من يخالف هذه الفكرة خصوصاً متى اوضحنا طريقة التوزيع «التي سنراعي فيها العرف والعادة التي تتفق والمصلحة العامة» ، فنخصص مثلاً لرئيس القبيلة مقداراً من الارض يزيد عن مقدار ما يخصص لمن سواه من افراد القبيلة لان على الرئيس واجبات ليست مفروضة على سواه .

«ولن نستخدم توزيع الاراضي لاغراض حزبية» وستكون الحكومة آخر من يستفيد من هذا التوزيع سواء لاشخاصها او لانصارها لاننا نتوخى من

هذا التوزيع حل مشكلة طال عليها الامد وكانت وسيلة للثواب والعقاب ، فالاراضي الاميرية يجب ان توزع على الذين يحسنون استثمارهـا من الاهلين بصرف النظر عن نزعاتهم لاننا نريد تعمير الارض لاجعلها مطية للسياسة والحزبية

وشيء آخر ايضاً يتصل بسياسة الحكومة الحاضرة الشعبية فقد استمعت الى بعضهم يقول ان الحكومة اشتراكية ، وانها تحاول تطبيق المبادىء الاشتراكية في العراق ولكني في زيارتي للعراق وفي اجتماعاتي الى اعضاء الوزارة لم استشعر بفكرة اشتراكية يراد تطبيقها، الا اذا كانت رغبة الوزارة في انصاف كل فرد من ابناء العراق، وفي توفير الرفاهية والسعادة لكل طبقة من الطبقات تعد من الاشتراكية وما هي من الاشتراكية التي يزعمون في كثير ولا قليل، فالوزارة الحاضرة وزارة من الشعب وللشعب، واذن فمن واجبها ان تعني بهذا الشعب عناية كاملة غير منقوصة وهو ما تحاول وزارة حكمت سليمان اقراره، وهو ما كان يعمل له سيد العرب محمد وما امر به، وما كان ينصرف اليه خلفاؤه من بعده امثال ابي بكر وعمر وعلي وهو ما يسعى له كل وطني في الاقطار العربية لاننا على مثل اليقين من ان تقدم العرب لا يكون كاملاً، الا اذا كان كل فرد من ابناء العربية يشعر بان هذه الارض له وانها تراثه من اجداده وآبائه وان عليه ان يدافع عنها بصدره وروحه . .

ومن المؤكد ان بيان فخامة رئيس الوزارة في مجلس النواب مؤخراً —٦ اذار ١٩٣٧— بشأن توزيع الاراضي على الفلاحين يضع حداً لهذه التقولات والشوائع، وهو الى ذلك بيان رائع عملي مفيد نظن اننا نحسن صنعاً بنشره في هذا الكتاب ليكون دليلاً على رغبة الوزارة الحاضرة في الاصلاح

والعمل لكل فرد من ابناء العراق ...

قال فخامته :

«ان الوزارة لا تزال تسمع ما يشيعه البعض من ان في نيتها ان تأخذ الاراضي من ايدي اصحابها الحاليين وتعطيها الى اناس اخرين ، وهذه الشائعات ليس لها اي نصيب من الصحة، اذا ما علمنا بان نفوس العراق كانت في القديم تتراوح بين الاربعة والخمسة ملايين فقط مع ان الاراضي الموجودة في البلاد تكفي لاربعين او خمسين مليون نسمة ، وهي واسعة بقدر لا يلجأ الحكومة الى ان تسترجع الاراضي من ايدي اصحابها الحاليين . على ان الحكومة عازمة على ان تقوم باحياء الاراضي التي يستفيد منها الشعب وبعد احيائها تقسم وتوزع على الفلاحين ، هذا مع العلم ان احدى الحكومات السابقة كانت قد سنت « قانون التسوية » ثم اخذت بمقتضى هذا القانون الاراضي المأهولة بالقبائل واعطتها للاشخاص الذين يسكنون في العاصمة والمدن ، فالحكومة الحاضرة عازمة على استرجاع هذه الاراضي واعطائها لاهلها الاصليين» .

وزاد رئيس الوزراء على ذلك فقال :«ان الحكومة قامت بتطبيق قانون التجنيد الاجباري فكيف يمكنني ان انفذ هذا القانون على اولئك الناس المغصوبة اراضيهم وهذه الحالة تضطرني الى سن لائحة لاسترجاع تلك الاراضي لاصحابها .

«وقد يعترض بعضهم فيقول : « ان الاراضي الموزعة وغير الموزعة كلها محتاجة الى المضخات والادوات الحديثة لسحب المياه لريها فاذا قامت الحكومة باسترجاع هذه الاراضي فلا يستطيع ابناء القبائل ان يستفيدوا منها ثم ان هناك اشخاصاً قد عقدوا مقاولات خاصة مع الناس القاطنين في الاراضي

المبحوث عنها وان قانون التسوية قد غصب الحق الذي لرئيس القبيلة ومنحه لصاحب المضخة الذي نتحدث عنه ، فدحضاً لهذا الاعتراض اقول لا يخفى عليكم ان لدينا البنك الصناعي والزراعي وهو من مؤسسات الدولة ولهذا البنك قانون وانظمة والحكومة ساعية الان لتعديل هذا القانون بحيث تجعل هذا البنك قديراً على تسليف القبائل والزراع ما يحتاجونه من المال فتقوم تلك القبائل او يقوم رئيس القبيلة ويشترون بالمال الذي يسلفهم اياهم البنك مضخة وينصبونها في اراضيهم ويشغلون اراضيهم هم بانفسهم

«اما التقولات الاخيرة فكلها لا ظل لها من الحقيقة ابداً والا فكيف يحق لي بصفة كوني رئيساً للحكومة ان اتصرف في اراض يقطنها ابناء عشيرة من عصور قديمة فهذه اراضي لا يسوغ لاي شخص كان ان يتصرف بها الا اصحابها الاصليون» (١)

(١) ليس ادل على سياسة الوزارة فيما يختص بالاراضي وتوزيعها من هذا الحوار الذي دار بين معالي الزعيم النبيل جعفر ابي التمن وزير المالية ، وبين شيخ قبيلة جاء يسأله ارضاً يملكها سواه ، ويرجوه مساعدته في اخذها من صاحبها ، واعطائها اليه ، فقال له الوزير النبيل — على مسمع من شهود كانوا يحضرون الحديث :

— ذلك غير معقول يا شيخ ، يا شيخ هذا غير عادل انطرد قوماً من ارضهم لتملكها سواهم ، هذا ما زين ... هذا ما زين يا شيخ ...

« ان تراب هذه الارض مجبول بعرق عمال الارض التي بها يعتاشون وبجهودهم وجهود اجدادهم وآبائهم ورجال قبيلتهم ، فهلا طلبت سواها لتسهل لك التملك ...

ويسكت الشيخ ... قليلاً ثم يعود ملحاً في طلب الارض ، ويعود معالي

وقال فخامته في حديث له مع احد الصحفيين الاجانب :

« انا مصمم على توطين ابناء العشائر في الاراضي الحكومية التي تروى وفاقاً لنظام القنوات الحكومي وقد خصصت خمسة وعشرين فداناً من هذه الاراضي لكل عائلة .

« فسأقيم قرى عصرية لابناء العشائر وسيكون لهم بيوتهم واراضيهم الخاصة بهم وحينئذ تنمو في قلوبهم عاطفة الحب والولاء للبلاد واذا توصلنا الى هذه النتيجة نكون قد وطدنا السلام الدائمي في هذه الربوع ، ولقد شرعت بتوزيع ٢٠٠٠٠ فدان من اراضي ابو غريب الواقعة في بغداد والفلوجة حيث يطبق الان نظام القنوات ، وسأقوم في المستقبل القريب بانفاذ مثل هذا المنهاج في الحويجه وفي شمالي العراق وفي اراضي مهروت في لواء ديالى حيث تبذل الجهود الان لانشاء القنوات ، وسوف لا امل من تطبيق هذا المنهاج في الاقسام الاخرى من العراق حتى ارى جميع ابناء العشائر الزراعية قد اصبحت لديهم اراضيهم الخاصة بهم

« اما القبائل الرحالة فقد وضعت لها خططاً اخرى فانا ارمي الى توطينها في أراض تروى عن طريق الابار الارتوازية لاوفر لها الماء والخضرة الدائمتين والقبائل الرحالة هذه لا تركن الان الى الاستيطان مطلقاً ، انها تهاجر بقطعانها

الوزير دون ما ضجر ولا غضب يقول للشيخ :

— لنفترض يا شيخ انك كنت عاملاً في تلك الارض ، فهل كنت تقرنا على عملنا وتعده عادلا اذا اخرجناك من ارضك وسلمناها لسواك !! يسكت الشيخ دقائق ايضاً ، ثم يعود محاولا اقناع الوزير برأيه ، ويعود معاليه الى افهامه ان ما يطلبه خطأ وظلم فظيع ، فيقتنع الشيخ اخيراً ، ويودع الوزير شاكراً .

عندما يندر الماء والخضرة في الصحاري العراقية الى الحدود المجاورة — اي الى تركيا شمالا وسوريا غربا وايران شرقاً — فاذا ما توفرت عناصر الماء والخضرة لهذه القبائل فانها ستبقى في محل واحد وتترك حياتها التنقلية »

اما كيفية توزيع هذه الاراضي فقد قال فخامته بهذا الصدد في تصريح له القاه في مجلس النواب العراقي ٦ اذار ١٩٣٧ :

« ان الحكومة تنوي القيام بتقسيم الاراضي واحيائها وجعلها صالحة للزراعة بالنسبة الى وضع بلادنا، وان تجعل فيها نظاماً فنياً للري وبعد ان تقوم الحكومة بهذا الواجب من الاعمار توزع الاراضي على الافراد من ابناء البلاد بحيث يكون لكل قبيلة مقدار معين من الاراضي فيعتبر افراد تلك القبيلة في الوقت نفسه هم اصحاب ذلك المقدار من الاراضي

« وطبيعي بالنظر الى العرف المأخوذ به بين العشائر يعطي القسم الاكبر من الاراضي المبحوث عنها الى الرئيس او اختيار العشيرة، وبهذا تجعل العشيرة مجتمعة في تلك البقعة ».

. . . .

وقال فخامته في حديث له مع مندوب احدى الصحف الاجنبية :

« ولقد استقدمنا عدة اختصاصيين وهم الان يدرسون الخطط الزراعية المختلفة ويعملون على اخراجها الى حيز التنفيذ فالعراق يمتلك الاراضي الشاسعة الخصبة وان كانت غير مزروعة، وهذه الاراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات والتي تسمى بالجزيرة تدر على البلاد الخيرات الوافرة فيما اذا اعتني بها الاعتناء اللازم والحكومة لا تتأخر عن عقد قرض اذا اقتضت الحاجة اليه في سبيل القيام بهذه المشاريع الزراعية الخطيرة، اما واردات النفط السنوية فستنفق على المشاريع

العمرانية واحياء النهضة الصناعية في البلاد ومتى تم انشاء الخط الحديدي بين بغداد والموصل وتل كوتشك اصبح للعراق مخرج يستطيع بواسطته تصدير مقادير كبيرة من الحاصلات الزراعية شمالاً، وهذا الخط سيكمل خلال السنتين القادمتين على اكثر تقدير . اما مشروع سكة حديد بغداد — حيفا فلامجال الان للتفكير فيه، لان وسائط النقل في داخل البلاد لا تزال ناقصة وغير وافية بالمرام والسكة الحديدية لا تكفي للقيام بامور التصدير بصورة سريعة فعالة ولذلك نرى المحاصيل الزراعية تتكدس عادة في المحطات حيث تبقى منتظرة دورها لتنقل الى الخليج ولذلك عزمنا على تحسين وسائط النقل النهرية وبناء الطرق المنظمة للسيارات بين مختلف المدن لنحل بهذه الطريقة التعاونية مشكلة التصدير» انتهى

. . . .

والواقع ان المرافق الاقتصادية في العراق ما برحت — مع تطور قليل جداً — على حالها القديم الذي الفته منذ سنوات عديدة، ولذلك نرى ابناء العراق يضيقون بفقرهم رغم غناء ارضهم، ومساعدة الطبيعة لهم، كما يشكون الجوع مع ان خصب التربة العراقية، ووفرة المياه فيها يساعدان على اعاشة اضعاف اضعاف سكانها الحاليين، لذلك تحسن الوزارة صنعاً اذا قامت هي نفسها بالاصلاحات المنشودة، لان الشعب نفسه بسبب فقره لا يستطيع القيام بها بنفسه . . .

ومن المؤكد لدينا ان الفقر والجهل يمنعان العراق من تشكيل الشركات الكبيرة، ويؤخرانه عن اقتباس الطرق العالمية في التجارة والزراعة والصناعة وقد اضطر بحكم اتصاله بالمدنية الغربية الى استعمال منتوجاتها، وتقديم ما

لديه من الاموال ثمناً لها ، وهذه حالة مؤسفة احست بها الحكومة الحاضرة فقررت ان تنزل بنفسها الى الميدان، وبدأت بالعناية الفعلية في المسائل الصناعية والزراعية والتجارية .

ونظن انه يحسن بالحكومة ان يكون لها ٥١ بالمائة من حصص الشركات المساهمة على ان تترك ما تبقى للاهلين ، وهي تستطيع بمساعدة (الخبرة الفنية) تشكيل عدة مصانع تحتاج اليها البلاد كالشمينتو والزجاج والورق والنسيج على اختلاف اشكاله ، ونجاح هذه الشركات وربحها مضمون اذا احسن القانون في ادارتها ، واذا عملت الحكومة على تأسيس هذه المصانع تسنى لها حفظ ملايين الدنانير التي تذهب من جيوب العراقيين هدراً الى الخارج كما يتسنى لها تشغيل الاموال العاطلة واعاشة آلاف العاطلين الذين لا يجدون ما يؤمنون به حاجاتهم الاولية .

ويمكنها في الوقت نفسه تصدير منتوجاتها الصناعية الى البلاد العربية المجاورة ، وقد رأيت بام العين كيف ان النسيج العراقي يلاقي تشجيعاً عظيماً في سوريا ولبنان وهو على حالته الاولية الحاضرة، فكيف اذا تمكنت الحكومة من تنشيط مصانع النسيج وقام اصحابها بتحسين منتوجاتهم ، لتساوق المنتوجات الاجنبية في الوانها وجودتها ...

. . .

اما من الناحية الزراعية فنظن ان سياسة الحكومة هي المثل الاعلى ولسوف تخلق الحكومة العراق خلقاً جديداً ، اذا تمكنت من اقرار مشاريعها الزراعية وانفاذها ، وجعلت للفلاح كياناً وارضاً ، وامدته بالمساعدات المالية وبالبذور الجيدة وبالالات الماعدة ، وساعدته على جمع حاصله وتنظيفه وتصديره

حتى اذا حسن حاله اصبح عضواً عاملا في الوطن العراقي بدلا من ان يظل عالة عليه بسبب جهله وفقره وضعفه ، وكثرة الامراض التي تنتابه هو وعائلته ..

ومن اهم ما يجب ان يصار الى العناية به زيادة مقادير المحصولات الزراعية ، وتحسين انواعها لتكون مصدر ثروة جديدة للعراق ، ويجب في الوقت نفسه ان تضمن هذه الثروة رخاء الفلاحين وسكان الارياف ، وان ترفع مستوى حياتهم في جميع النواحي ، ولا نبالغ اذا قلنا ان ترقية المؤسسات المحلية والثقافية والاجتماعية والصحية ، تتوقف الى حد كبير على ازدياد الثروة لدى الهيئات المحلية وافرادها ، وازدياد الثروة يعني بطبيعة الحال ازدياد واردات الحكومة فتتمكن من القيام بواجباتها الاجتماعية وترقية مختلف مرافق الحياة العامة .

وليس هنا مجال بحث الطرق المختلفة التي يجب ان يصار الى انفاذها لتحسين الزراعة في العراق ، فان هذه امور نترك امر دراستها وتطبيقها للاخصائيين في هذا الفن ، واهمها كما قدمنا تحسين انواع المحصولات وادخال انواع جديدة ، ومكافحة الاوبئة التي تتعرض لها ، وتشجير جبال العراق وغاباته ودرس انواع الاتربة ، والقضاء على الاملاح الموجودة في بعضها ، وتحسين الري ، واخيراً خلق المنافذ لتصدير الحاصلات العراقية الى كافة الاقطار في العالم ، واما مسح الاراضي وتخطيطها فمن الامور الاساسية الخطيرة التي يجب ان تعنى بها الحكومة كل العناية فتحسم بذلك كل المنازعات ، وتضع حداً لهذه الفوضى القائمة اليوم في معرفة ملكية كل ارض ، ولمن يعود حق التصرف فيها ..

ولقد وعدت الحكومة كما فصلنا في غير مكان من هذا الفصل

بدرس مسألة توزيع الاراضي غير المملوكة على الفلاحين وهـذا العمل من الخطورة بمكان عظيم ، لانه يجعل للفلاح كياناً ، ويمكنه في الوقت نفسه من ان يطمئن الى مستقبله وراحته ، فيعمل بكل قواه على تحسين ارضـه كما تقضي الحكومة بعملها هذا على النظام الاقطاعي الموجود حالياً في العراق ، والذي كان سببه تنازل الفلاحين عن اراضيهم للزعيم مقابل حمايتـه لهم في الازمات الذي كان حبل الامن فيها مضطرباً ، واما اليوم والامن سائـد ، والحكومة قوية فان الفلاح يستطيع الاطمئنان الى سلامة ارضه وسلامـة عائلته بقوة الحكومة ونفوذها ..

....

اما الناحية التجارية فانها تحتاج ايضاً الى عناية الحكومـة لان العراق بحاجة الى تصريف منتوجاته في الاسواق الخارجية ، وتحسن الحكومة الحاضرة صنعاً اذا غلت في مراقبة ما يرد اليها من الخارج وحاسبت كل دولة وفاقـاً لما تأخذ من منتوجات العراق ، هذا مع العناية ببث الدعاوة لمنتوجاتها وعقدها الاتفاقات التجارية ومساومتها في القضايا السياسية على اساس المصالح التجارية لانها اذا فعلت ذلك لا تكسد ثمارها ولا تبور حبوبها

والعراق الى ذلك قطر ذو قابليات اقتصادية عظيمة ، فسهوله الواسعة الخصبة التي يسقيهـا دجلة والفرات قادرة على انتاج مختلف انواع الحاصلات الزراعية ، ووضعه الجغرافي مع سائر اقطار الشرق الادنى يجعله حلقة مهمة في سلسلة المواصلات بين الشرق والغرب ، وقد كان منذ القدم طريقاً تجارياً تصل غرب آسيا بالهند ، وآسيا الوسطى ، ولا بد للعراق ان يستعيد اهميته كطريق تجـاري عالمي بازدياد السكك الحديدية والسيارات فيه وتحسين طرق

المواصلات

. . .

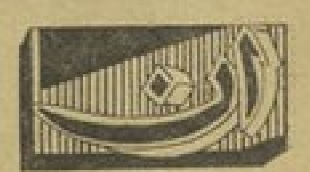
ونختم هذا البحث في مالية الدولة العراقية ، لانها في الواقع اساس كل تقدم واحسان واعمار ، ويسرنا ان نقول ان المالية العراقية في الوقت الحاضر في حالة جيدة ، لان مجموع الفضلات في ميزانيات السنوات المنصرمة التي سبقت سنة ١٩٣٣ كبير جداً ، وقد اصبح في امكان خزينة العراق بعد تعديل امتياز شركة النفط العراقية ، ومنح امتياز شركة النفط البريطانية ان تعتمد على ما تتقاضاه من هاتين الشركتين سنوياً من الرسوم التي لاتقل عن نصف مليون دينار ذهباً ، وقد تصل في بعض السنوات التي يكثر فيها انتاج النفط الى ٨٠٠،٠٠٠ دينار او اكثر ، الى القيام بالمشاريع العمرانية النافعة التي وعدت بها ، والتي اشرنا اليها قبلاً . .



٢ـ اعمدة الاستقلال والحضارة

ـ ١٢ ـ

المعارف في العراق



للدول المستعمرة آراء غريبة في التعليم والثقافة في البلاد التي تنزلها باسم الانتداب والاستعمار والاحتلال ، فقد كان المستشار الانكليزي في وزارة المعارف المصرية قبل الحرب ، آراء غريبة حقاً لاتساوق الروح الوطنية في كثير ولا قليل ، وكان للمسر ارنولد ولسن الحاكم المدني بالنيابة في بداية الاحتلال في العراق آراء رجعية غريبة لا تؤمن حكومته بها ولا تفكر في اقرارها في مدارسها في انكلترا والمستعمرات المستقلة ، واغربها ما جاء في كتابه (تنازع الولاء) من ان العراق لا يصير اهلاً للحرية « الا اذا أشرب المبادىء المسيحية » ! !

لذلك افسحت حكومة الاحتلال المجال للمدارس الطائفية وشجعتها وعززتها واعطتها من الحريات ما لم تكن تحلم بها ولا تفطن لها . .

واستمرت هذه الحالة بضع سنوات فـازدادت المدارس الطائفية او الاهلية كما يسمونها ، وكثرت وامسى عددها يقارب عدد المدارس الرسمية ، واحست الحكومـة العراقية بسوء العـاقبة ، فرأت ان المصلحـة العامة تقضي عليها بالاقدام على تخيير رؤساء هـذه المدارس بين ان تكون مدارسهم ، اما كمدارس الاقليات،واما كمدارس الحكومة ، فتعامل في الحال الاول معاملة مدارس الاقليات ، وتمنح المنح المالية ذاتها ، او تخضع في الحال الثاني للقوانين والنظم التي تختص بمدارس الحكومةدون ان تفقد حق اختيار المعلمين لتعليم الطلبة دين اجدادهم .

وقد اختار بعضها الحال الثانية ، ورضي اقلها بالحال الاولى، وكان في العراق ايضاً الى جانب هذه المدارس الاجنبية مدارس ايرانية لم تكن تساير الروح الوطنية العراقية في برامجها الثقافية والتربوية ، ولمـا كان من الصعب لاسباب سياسية ، مقاومة هذه المدارس والضغط عليها فقد رأت دوائر المعارف في ذلك العهد انشاء مدارس عراقيـة رسمية الى جانب المدارس الايرانية ، وجعلها احب الى التلاميذ بجهازها ومعداتها بحيث يجد فيها التلامذة مـا لا يجدونه في المدارس الايرانية فيفضلونها عليها ، ونجحت الحكومة في خطتها هذه كل النجاح ، واخذ الطلاب يقبلون على مدارسها اقبالا شديداً ...

وكانت مديرية المعارف في العراق في هذه الفترة لا تـألو جهداً في تحسين مستوى التعلـيم ، وانشاء المدارس ، واستجلاب الاساتذة ، بحيث اصبحت مدارسها الرسمية عاملاً كبيراً من عوامل نهضتها الثقافية الاخيرة .

والواقع ان العراق ينعم بظاهرة لا تنعم بها بقية البلاد العربية ، وذلك

حيث قلة المدارس الاجنبية فيه ، وضعف خطرها ، بالنسبة الى كثرتها في البلاد العربية الاخرى خصوصاً سوريا وفلسطين ، التي كثرت فيها مدارس الارساليات كثرة كانت لها سيئاتها ، وكانت لها حسناتها ، فاما حسناتها فلرفعها مستوى الثقافة في هذه الاقطار · واما سيئاتها فلانها بسبب تباين اغراضها وتعدد منازعها، كانت عاملا فعالا في تفسخ السوريين واللبنانيين الى طوائف واحزاب ، كما شجعت في الوقت نفسه الثقافات الاجنبية دون الثقافة العربية القومية ، فكانت النتيجة تعدد الثقافات الاجنبية السائدة في سوريا وفلسطين،بينما كان العراق يسير على نظام تربوي وطني عربي لا اثر فيه للثقافة الاجنبية ·

وشيء اخر ايضاً وهو ان المدارس الرسمية في سوريا ولبنان كانت مختلفة المناهج ايضاً،لان لكل من الدولتين مناهج تختلف عن مناهج جارتها وتختلف في الوقت نفسه عن مناهج المدارس الاجنبية ، فلا عجب والحالة هذه اذا كثرت الثقافات والنظم التربوية في لبنان وسوريا ، واتحدت هذه الثقافات في العراق وتمكنت من النمو والازدهار

وليس هنا مجال البحث في مختلف المناهج التربوية في مختلف الاقطار العربية ولكن الوقع هو ان هذه المناهج مختلفة كل الاختلاف ومن الصعب ان ندعو الان الى توحيد هذه المناهج في كافة الاقطار العربية، لان هذا يستحيل اقراره في الوقت الحاضر ، ولكننا نظن ان البحث في توحيد البرامج التربوية في كل قطر عربي ضرورة ملحة ، وان وزارات المعارف في كافة هذه الاقطار تحسن صنعاً اذا تناولت هذه الظاهرة بعين الاهتمام والاعتبار

ونظن ان رأي الدكتور فاضل الجمالي في منهاج عربي تربوي واحد لكل

الاقطار العربية يصح ان يؤخـذ اساساً لكل عمل ثقـافي مقبل ، وقد ذهب حضرته يبسط مناهجه هذا فقال : « يجب ان يكون لهذا المنهاج طابع عربي خاص ، وان يكون مرماه وحدة البلاد العربية ووحدة الثقافة العربية العصرية لتؤدي نصيبها من الخدمة البشرية ، ويتطلب هذا وحدة في الغايات والنظم والمناهج والكتب المدرسية وفلسفات التربية في البلاد العربية قاطبة ، ويجب ان يعنى المنهاج بتقوية روح الانضمام ، لان العربي يمتاز بفرديته الى حد لا يأتلف والتقدم الحديث ، بحيث يخلق امة عربية جديـدة تحتفظ بافضل تراث عربي ، وتستفيد من العلوم والفنون الحديثة لتعزيز فطرتها الروحية » .

. . .

والواقع ان المعارف في العراق قد نعمت قبل الحرب العامة في عهـد الامبراطورية العثمانية بكثـير من الجهل والاضطراب ، فلم يكن في القطـر الشقيق غير مدارس قليلة تعد على اصابع اليد الواحدة ، تسير على مناهج سقيمة تخنق روح العزة القومية ، وتميت الروح الوطنية في نفوس الطلاب ، وجاء دور الانتداب فكانت يد سمرفيل تسير المعارف ضمن نظم استعمارية لا فائـدة ترجى منها ، ولا خير ينتظر لها ، الا تكوين عصبة من اشباه المتعلمين لا يصلحون لغير الوظائف الحكومية .

ولما انقضى دور الانتداب وجاء دور الاستقلال والمسؤولية ظلت المعارف على حالها من الفوضى الا مع تبدل طفيف لم يكن بعيد الاثر في الاصـلاح والاحسان ، لان الذين قاموا على ادارة المعارف وكان رائدهم الاصـلاح لم يوفقوا التوفيق المطلوب لان الاهواء السياسية وقفت في سبيلهم ومنعتهم عن انفاذ ما يريدونه من الاصلاح والاحسان .

ومن المنتظر ان تتغير مناهج المعارف في عهد وزيرها الحالي لانه باعتراف الجميع من الافراد الذين اشتغلوا في المعارف ، ووقفوا على ما يعتورها من نقص وبطوقه اصلاحها ، وتوجيهها توجيهاً جديداً .

ومن المؤكد ان عزم الوزارة على تعميم التهذيب الصحيح بين الناشئة وتنظيم التعليم القروي واصلاح التعليم الصناعي وتقويته ، والنظر في وضع مناهج دائمة للدراسات المختلفة ، بصورة عامة ، وللتعليم الصناعي والمهن الحرة بصورة خاصة ، يحمل الامل كبيراً في الاصلاح والاحسان ..

واما رفع مستوى الكفاءة في البعثات العلمية ، وتوجيهها الى النواحي التي تتطلبها سرعة انهاض البلاد ، فمن الامور التي يعني بها معالي الوزير الحالي يوسف بك ابراهيم عناية خاصة يشكر عليها ..

وهذا ما يقال ايضاً في اختيار البعثات العلمية الى الخارج فقد كانت الحكومات الماضية إلا اقللها توفد الى الخارج غير الاكفاء من الطلاب، وكانت تختارهم ابداً من ابناء الثروات والوزراء وكبار الموظفين وهي حالة مؤسفة ، لان التعليم يجب ان يكون بعيداً عن المؤثرات والحزبيات .

...

ومن الحق ان نعرض في هذا الفصل الى لجنة منرو الاميركية التي دعتها الحكومة العراقية لدرس شؤون المعارف في العراق ، واقتراح الاصلاحات اللازمة لها، وقد جاءت هذه اللاجنة في آخر شهر شباط من سنة ١٩٣٢ وعادت الى بلادها في اخر شهر شباط ، بعد ان قضت في العراق شهرين كاملين درست فيها طرق التعليم المتبعة، ووضعت كتاباً في هذا الموضوع سنتخير منه بعض الفقر الضرورية لسياق هذا البحث

قالت اللجنة في مطلع تقريرها : ان التعليم في العراق تقدم في عشر سنوات تقدماً يذكر ويشكر، ولكنها تنكر الطريقة الادارية المتبعة في التعليم،– او التمركز التام في الادارة–الذي يحول دون الخروج عن الاشكال المقررة ، لان التعليم في العراق يجب ان يكون – على رأي اللجنة – مختلفاً لاواحداً، فما يصلح لمدرسة ببغداد مثلاً، لا يصلح لمدرسة قروية ، وما يصلح للحضر لا يصلح للبدو . . .»

والواقع ان هذا الرأي يحتاج الى بعض الايضاح ، فان بعض المواضيع الحيوية اللازمة لشعوب العراق كافة وعلى السواء ينبغي ان تعلم في كل مدارس العراق تعليماً واحداً ، وينبغي ان لا يعلم ما يناقضها او ما يولد روح التخاذل والاختلاف بين مختلف عناصر الشعب وهنا يجب ان يكون التمركز في التعليم قوياً ، وان تكون المناهج واحدة . . .

واما اذا كان ولا بد من اختلاف في مناهج الدراسة فهذا لا يجب ان يكون في التعليم الابتدائي وانما في الثانوي، ويجب ان يكون لسنوات معدودة فقط ، فمتى اصبح التعليم الابتدائي في العراق عاماً بين المدن والقرى والعشائر وجب ان يساوقه التعليم الثانوي ايضاً ، واما اختلاف المناهج فيكون برأينا في التعليم الصناعي والاداري لان الحاجة الى هذا التعليم قد تكون اكثر منها في القرى وعند العشائر منها في المدن الكبرى . . .

ونحن الى ذلك مع اللجنة في « ان مهمة التعليم هي بث العلم الصحيح بين عموم الناس بقدر ما تأذن الاحوال من الاطراد والتوسع، لينقذهم من الامية والفقر والامراض والخرافات ، ويقوي ثقتهم بانفسهم ، وبمستقبل بلادهم ويزيد في انتاجهم الاقتصادي والزراعي وبكلمة اخرى ليضمن

العيش الهني، للشعب، والفلاح للامة »

***

ولما كنت في بغداد تفضل معالي وزير المعارف يوسف بك ابراهيم فسمح لي بزيارة المدارس الابتدائية والثانوية والعالية، فاعجبني هذا الطواف الماتع في مختلف البيئات المثقفة، وسرني ما رأيته واختبرته بنفسي من وحدة التعليم ووحدة الثقافة، في دور العلم، وارضاني كل الرضاء ما شاهدته من جهود الاساتذة، ورغبة الطلاب في ارتشاف المعارف كما احسني ما وجدته في الطلاب من تفكير وتدبير لما يقرأونه ويتعلمونه، وقد رأيت في طوافي هذا ان اجعل قبلتي زيارة صفوف التاريخ والاداب العربية، ويسرني ان اقول بصراحة تامة، ان دراسة التاريخ والاداب في بعض المدارس الثانوية تتقدم تقدماً مرضياً، وان اجوبة الطلاب على بعض الاسئلة كانت موفقة حسنة، فيها تفكير وجدة وحسن فهم لما يدرسونه او يلقى عليهم من محاضرات خصوصاً في دراسة التاريخ العربي الاسلامي، الذين لا تزال الكتب المدرسية فيه ضعيفة مضطربة الخطط، عقيمة الاساليب ...

والواقع ان المعارف اليوم في العراق احسن حالا منها قبلاً، فان نشاط معالي وزيرها قد افضى الى الاساتذة والطلاب بكثير من روح الوطنية المخلصة، فتسابق الاساتذة في الاحسان، وتسارع الطلاب في الاستفادة والارتواء من مناهل العلم، وكلهم امل بان معالي الوزير سيوفق في وقت قريب جداً، الى ابتكار خطة ملائمة للتدريس تتسق وحالة العراق من حيث الاخلاق والتاريخ والبيئة، لان تقليد المنهاجين المصري والتركي قد ظهر فشله، وفشا خطله، فاصبح من الواجب اقرار برنامج جديد تكون فيه روح العراق،

ووطنية العراق ظاهرة قوية ..

. . . .

ومن المؤكد اليوم ، ان التعليم العالي والتعليم الابتدائي يجب ان يسيرا جنباً الى جنب ، فالعناية بالوديان لا تمنع العناية بالسفوح والآكام، والامة التي تريد الحياة مجبرة على العناية بالتعليم العالي عنايتها بالتعليم الابتدائي، خصوصاً ان العراق كما يشكو من التعليم الابتدائي وقلة انتشاره في طول العراق وعرضه ، يشكو في الوقت نفسه من ضعف التعليم العالي ، فالاطباء قليلون ، والمهندسون لا يعدون شيئاً مذكوراً ، ومثل ذلك يقال في حملة الشهادات العالية من المحامين والاخصائيين في مختلف الفنون والعلوم . وليس من شك في ان نجاح امة من الامم ، وتقدمها في سبل الحضارة ، معلق على كثرة عدد المثقفين النابغين من ابنائها ، وهذا امر لا تجهله الوزارة الحاضرة ، ولذلك رأيناها تقرر انشاء جامعة عراقية تكون نواة للتعليم العالي في بلاد الرافدين .

والواقع انه لا بد للبلاد من العباقرة الذين يتوفرون على قيادتها ،ولا بد للبلاد من الافذاذ الذين يختطون بها سبلاً يبتكرونها بانفسهم ، ولا بد للبلاد من علماء اعلام يوجهونها الوجهة الصحيحة ، هؤلاء كلهم لا بد للعراق منهم ولا غنى له عنهم ، فكيف يتسنى الحصول عليهم وكيف يسهل تسهيل الطريق امام هؤلاء ممن هم الان مغمورين في زوايا النسيان بين مجموع الوف الشبان،اذا لم نسهل لهم التعليم العالي، ولم نيسر لهم التعليم الجامعي الذي فيه وحده يستطيعون اظهار مواهبهم

ومن المؤكد ان التعليم اذا اريد به خلق جيل مفكر مطلع يستطيع ان يرتفع بحياته الاجتماعية،ويقدر على التفكير بمعاشه ومشاكله ، فيراد به

ايضاً من جهة ثانية ايجاد النابغة وكشف العبقري ومساعدته على الظهور

واذا كان القصد الاول من التعليم العالي ايجاد طبقة مفكرة عاملة تقبض على ازمة الشعب سياسية كانت او علمية او حقوقية والسير به في معارج الرقي والتقدم فهل يتسنى هذا مع العناية بالتعليم البدائي فحسب ؟

هذه مصر وهذه تركيا لنأخذهما مثلاً ، في البلدين تسود الامية ويتفشى الجهل ، وتعمل الحكومتان للقضاء على هذا المرض الوبيل ، ولكن هل غفلت احداهما عن التعليم العالي ؟ لقد احتفلت منذ اربع سنوات الحكومة المصرية بمرور مائة سنة على تأسيس المعهد الطبي ولديها الان في جامعتها الواسعة اكثر من سبع كليات تضم بين صفوفها الوف الطلاب وميزانية هذه الجامعة وحدها توازي ميزانية المعارف في العراق كلها !! وليست مصر بمكتفية بهذا واقفة عنده ، فلديها ايضاً جامعتين هما جامعة الازهر الدينية ، والجامعة الامريكية هذا فضلا عن الكثير من الكليات العالية التي تتوفر على الاختصاص وحده في انحاء القطر المصري

. . .

واما مكافحة الامية فانها من الامور التي تهتم لها الوزارة الحاضرة ايضاً فقررت انشاء عدة مدارس جديدة في مختلف المدن العراقية والقرى كما زادت موازنة المعارف للسنة الجديدة (١٩٣٧ — ١٩٣٨) زيادة معقولة تمكنها من انشاء المدارس الجديدة وتحسين المدارس الحاضرة وتوسيعها ، وقد علمت من فخامة رئيس الوزارة ومعالي وزير المعارف انه قد خصص في الموازنة الجديدة مبلغ لا يقل عن مائتي الف دينار لتحسين حالة المدارس في بغداد وترميم المتهدم منها ، واصلاح ما يلزم اصلاحها فيها ..

ولكن الامر الذي لا مندوحة للوزارة عن بحثـه واقراره ، والذي ارجو ان توفق اليه في الاشهر المقبلة هو ان في العراق ما يقرب من اربعمائـة الف طفل يجب ان يكونوا في المدارس الابتدائية التي ليس فيها اليوم غـير سبعين الفاً منهم ، واما الباقون فلا يزالون في الطرقات العامة ويرجـع سبب ذلك الى قلة المدارس اولا ، والى فقر بعض آباء الطلاب ثانياً ، وهذه ناحية يصح ان تعني بها الوزارة ، لان فقر الاهلين لا يساعدهم على ارسال اطفالهم للمدارس فمن الحكمة والحالة هذه جعل التعليم الابتدائي مجاناً رحمـة بهؤلاء الاطفال الذين يؤلفون عدداً لا يستهان به من سكان العراق . .

اما العناية بالتعليم الصناعي والزراعي فانه باعتقادي يجب ان يسير مع التعليم الابتدائي جنباً الى جنب ولو بادخال بعض مواده في المدارس الابتدائية اولاً ، فاذا انتهى الطالب من التعليم الابتدائي يكون له الخيار في الذهاب الى المدارس الثانوية او المدارس الزراعية وفاقاً لاختياره ومواهبه . .

ومن المعلوم ان الحضارة الحاضرة هي ثمرة من ثمرات الصناعة ، والامة التي تريد انشاء دنيا جديدة مفروض عليها مجاراة الامم الصناعية واستغـلال مواردها وخيراتها بمختلف الوسائل وشتى السبل

ولو حاولت الحكومات العراقية السالفة تأسيس المدارس الصناعية منذ سنوات لكان في العراق اليوم جيل من العمال والصناع الفنيين ، يهتم بتأسيس المعامل وانشاء الصناعات المختلفة ، التي تحفظ اموال البلاد ، وتزيد في ثروتها وتقدمها ، واما القول بان المعمل يجب ان يستبق المدرسة ، فرأي فاسد ، لان الصناعات كما تدرس في المعامل تدرس في المـدارس ، وهي اليوم في المدارس اكثر فائدة واعظم نجاحاً . .

هذا ما رأينا تقديمه من ملاحظات وآراء في بحثنـــا عن المعارف في العراق ، ونحن على مثل اليقين من ان المعارف العراقية في عهد معالي وزيرها النبيل يوسف بك ابراهيم ستأخذ في مضمار التقدم الى غاياته ، وستمضي في الخطط العملية التي يريد اقرارها لاصلاحها الى نهايتها ، ولا ادل على ذلك من هذا النشاط التي ظهرت بوادره في عهده ، والذي غمر كل ناحية من نواحي الوزارة ،حتى ليصح القول بان وزارة المعارف في ايامه تضطرب في ثورة اصلاحية تبشر بنجاح عظيم ، وخير عميم …

. . .

ولننظر الى حالة المعارف اليوم في العراق فان فيها مـــا يرضي ويسر فقد تألفت في وزارة المعارف اللجان التالية :

١ — لجنة لتنظيم التعليم القروى

٢ — لجنة لانتقاء الاناشيد المدرسية

٣ — لجنة لتنظيم الفنون البيتية

٤ — لجنة لتنظيم المختبرات ودرس احتياجاتها

٥ — لجنة لتنظيم المدارس الصناعية

٦ — لجنة لوضع تصاميم بعض المباني المدرسية

٧ — لجنة لتنظيم المكتبات العامة

ونظن ان عنوان هذا اللجان كاف لتقدير الجهود العظيمة التي يبذلها معالي الوزير في خلق المعارف العراقية خلقاً جديداً ، بحيث تستطيع في وقت قريب ان تنافس زميلاتها في مصر وغير مصر من البلاد العربية …

وقد باشرت وزارة المعارف ايضاً بانشاء المبـــاني الاتية ، وقد انجز

بعضها ، والبعض الاخر في حالة الانشاء ، وهناك قسم ثالث كملت تصاميمه وسيبدأ به قريباً ، والى القارىء اسماء هذه المباني :

١ — الثانوية الليلية في بغداد

٢ — الثانوية الليلية في كركوك

٣ — دار المعلمين الريفية في الرستمية

٤ — دار معلمين ريفية ثانية في ابي غريب

٥ — القسم الداخلي لدار المعلمين الابتدائية

٦ — مخزن المعارف

٧ — مدرسة للصناعة في بغداد

٨ — كلية الحقوق في بغداد

٩ — قاعة عامة للمحاضرات

١٠ — بناية لتطبيقات دار المعلمات

١١ — خمسة اقسام داخلية في المناطق

١٢ — دار التدريب الرياضي في بغداد

١٣ — مدرستين ليليتين ابتدائيتين للعشائر

١٤ — مدارس انموذجية ريفية في كل لواء واحدة

١٥ — خمس مدارس ابتدائية في كل منطقة واحدة

١٦ — ابتدائية كاملة للبنات في الاعظمية

١٧ — ابتدائية كاملة في جانب الكرخ = بغداد

١٨ — ابتدائية كاملة في جانب باب الشيخ = بغداد

١٩ — ابتدائية كاملة في جانب محلة البتاويين = بغداد

٢٠ — ابتدائية كاملة لتطبيقات دار المعلمين

اما المدارس في العراق فالى القارى، اسماؤها :

أ – المدارس الاميرية . تقسم هذه المدارس حسب درجتها العلمية الى خمسة اقسام :

١ – المدارس الابتدائية وعددها (٦٢٩) مدرسة، منها (١١) روضة الاطفال و(١٣٦) مدرسة للبنات و(٤٨٢) مدرسة للبنين .

٢ – المدارس المتوسطة وعددها (٣١) مدرسة،منها (١٠) للبنات و (٢١) للبنين .

٣ – المدارس الثانوية وعددها (٧)مدرسة، منها (٢) للبنات و(٥) للبنين

٤ – المدارس المهنية وتتألف اولا : من مدرستين للصناعة، واحدة في الموصل،والاخرى في بغداد،وثانياً : من اربعة مدارس لدور المعلمين،وهي عبارة عن دار المعلمين الابتدائية،ودار المعلمين الريفية،ودار المعلمات الابتدائية، ودار المعلمات الاولية، وكلها في بغداد . وثالثاً : من مدرسة للفنون البيتية في بغداد وحديقة المعرفة في الموصل .

٥ – المدارس العالية .

اولا – كلية الحقوق

ثانيا – دار المعلمين العالية

ثالثا – المدرسة الاعدادية الخاصة بطلاب البعثات العلمية وهي عبارة عن عدة صفوف فتحت في هذه السنة وذلك لتحضير طلاب البعثات العلمية لاداء امتحان المتريكيوليشن قبل ايفادهم الى خارج العراق .

ب – المدارس غير الرسمية وهي عبارة عن ٦٠ مدرسة بما فيها المدارس

الابتدائية والمتوسطة والثانوية منها (٤٧) مدرسة للبنين و (١٣) للبنات

ج — المدارس الليلية لمكافحة الامية . وهي عبارة عن ١٧٧ مدرسة منتشرة في كافة انحاء العراق فيها (٧١٥٥) طالبا .

..

اما عدد الطلاب في المدارس فهذا بيانه :

أ — المدارس الاميرية .

١ — يوجد في المدارس الابتدائية (٧٢٥٩١) طالبا، منهم (٢٤٨) طالبا في رياض الاطفال و (٥٢٣٢٧) طالبا في مدارس البنين و (١٩٦١٦) طالبة في مدارس البنات .

٢ — يوجد في المدارس المتوسطة (٦٥٤٤) طالبا، منهم (٥٦٢١) بنون و (٩١٨) بنات .

٣ — يوجد في المدارس الثانوية (١٣٣٤) طالبا منهم (١٢٣١) بنون و (١٠٣) بنات

٤ — اما عدد طلاب المدارس المهنية فهو كما يلي .

مدرسة الصناعة في الموصل فيها ٤٠ طالبا

« « بغداد « ٩١ «

دار المعلمين الابتدائية « ١٥٦ «

« « الريفية « ٢٨١ «

« المعلمات الابتدائية « ٢٧ طالبة

« « الاولية « ١٧١ «

مدرسة الفنون البيتية « ٢٣ «

حديقة المعرفة في الموصل 〃 ١٠٠ 〃

٥ – طلاب المدارس العالية .

كلية الحقوق وفيها ٣٠٧ من الطلاب

مدرسة العلوم العالية ١٤ طالبا

دار المعلمين العالية ٩٢ 〃

المدرسة الاعدادية ١٩ 〃

وبالاضافة الى عدد الطلاب المذكورين اعلاه يدرس على حساب هذه الوزارة في المعاهد الاجنبية « ١١٠ » طلاب و « ٢٢ » طالبة موزعين على الاماكن التالية :

بيروت	المانيا	فرنسا	انكلترا	اميركا	مصر
٢٤	١٦	١٦	٢٦	٣١	١٩

فيكون عدد طلاب البعثات العلمية الخاصة بوزارة المعارف مع اعضاء المدرسة الاعدادية « ١٥١ » طالباً

وفي المدارس غير الرسمية ١٨٤٠٠ طالباً منهم « ٥٤٠٠ » من البنات و ١٣٠٠٠ من الذكور .

...

وتوجد في العراق ايضاً اربع مكتبات عامة تابعة لوزارة المعارف موزعة على الالوية التالية :

بغداد . الموصل . البصرة . النجف ويؤمــل تأسيس مكتبة في كركوك واخرى في الحلة . اما عدد الكتب الموجودة في المكتبات فيربو على « ١٨٠٠٠ » كتاب بما فيها الكتب الخطية القديمة

وهناك مكتبات عامة اخرى بعضها تابع للاوقاف وبعضها تابع الى معاهد اوجهات اهلية

والرياضة البدنية في وزارة المعارف شعبة ملحقة بمديرية المعارف العامة تسمى مديرية التربية البدنية والتدريب العسكري غايتها الاشراف على الاعمال الرياضية البدنية في المدارس وتدريب بعض الطلاب على الاعمال العسكرية .

ويوجد في العراق الآن ما يقارب ال« ١٦٠٠ » فتى يتدرب على الاعمال العسكرية وحمل السلاح . وهؤلاء الطلاب عبارة عن طلاب الصف الثالث المتوسط والصفين الرابع والخامس الثانوي الموجودين في كافة انحاء العراق

ويوجد ايضاً من الكشافة ما يلي :

١ – الكشافة الاشبال وعددهم ١٦٨٩٣
٢ – « الاحداث « ٩١٣٢
٣ – « الجوالة « ٤٥٩٩

. . . .

استطيع بعد هذه الارقام ان اقول بصراحة ، ان ما قرأه القارىء في الصفحات السالفة هو تصوير دقيق لحالة المعارف في العراق حتى اليوم الثلاثين من شهر اذار سنة ١٩٣٧ وهو اليوم الذي سيصدر فيه كتابي هذا ، ومن المؤكد ان الخطوات التي ستخطوها المعارف في الاشهر المقبلة ستكون سريعة كثيرة الفائدة ، بعيدة الاثر ، واذن فمن الحق ان اعرض بالبحث لناحية التعليم الادبي وناحية التاريخ وناحية دراسة اللغات الاجنبية في المدارس الثانوية فان وجدت وزارة المعارف في هذا البحث خيراً ، فقد تستطيع اقراره في البرامج

الجديدة التي تحاول اقرارها وانفاذها قريباً .

واظن بعد ذلك انني مطمئن كل الاطمئنان حين اقول ان التعليم الادبي في مدارس الشرق جميعا ـ سوريا والعراق ولبنان وفلسطين ، ومصر ايضاً ـ لا يصار الى تدريسه على وجوهه الا قليلاً، وقد ذكرت في غير مكان من هذا الفصل شيئاً عن زيارتي لبعض صفوف التاريخ والادب في المدارس الثانوية، واشرت الى ما شاع في نفسي من السرور لما وجدت الطلاب يجيبون على اسئلتي ببعض الاحسان ، ولكن سروري هذا لم يتعد في الواقع الا ما لمسته من ذكاء الطلاب وحرصهم على طلب المعرفة، ولو اتيح لهؤلاء الشباب كتب مدرسية منظمة حديثة ، ومدرسون لا يقتصرون في دروسهم على ما في الكتب التي بين ايديهم ، لكان أفق التعليم الادبي في العراق اوسع مجالا ، واكثر اسباباً ووجوهاً ، وابعد اتصالا بالادب الانساني منه اليوم . . .

والواقع ان تعليم الادب العربي وما يتصل بهذا الادب من اداب اجنبية لا يكاد يوجد في مدارس الشرق ،فالشباب ينفقون اوقاتهم في درس اللغتين الانكليزية والافرنسية ، درسا يختلف قوة وضعفاً باختلاف اختيارهم لاحدى هاتين اللغتين على ان تكون لغة اساسية،وللاخرى على ان تكون لغة اضافية كما يقولون ، والناس جميعاً يعلمون ان درس اللغات في مدارس الشرق ردىء الى اقصى غايات الرداءة، إما لان مذهب تعليم اللغات ليس صحيحاً ولا مستقيماً ولا ملائماً لطبيعة الشباب ، واما لان الذين يكلفون بتعليم اللغات لم يهيأوا لهذا التعليم كما ينبغي ولم يمتلكوا ناصية اللغة التي يعلمونها كما ينبغي، ولعل اكثرهم لا يصلح لتعليم اللغة في بلده ثم هو مع ذلك يكلف لتعليم اللغة في بلد اجنبي يحتاج التعليم فيه الى تهيئة خاصة واستعداد خاص

فالشباب اذن يلقون من درس اللغة الاجنبية ويتحملون فيه جهداً عنيفاً ويخرجون من المدارس الثانوية وقد اخذوا من احدى هاتين اللغتين بحظ ضئيل ولكنهم لم يعرفوا من آداب هاتين اللغتين شيئاً ، بل هم لم يأخذوا من اللغة نفسها بالحظ الذي يرغبهم في الاستزادة من درسها والطموح الى الالمام بادابها وتذوق ما في هذه الاداب من ايات البيان ، وهم اذا خرجوا من المدارس الثانوية وتفرقوا في المدارس الاخرى العالية صرفوا عن الدرس الادبي صرفا ، ولم يكن لهم من حب الادب ما يدعوهم الى ان يدرسوه درساً خاصاً في اوقات الفراغ ، لانهم لم يحبوا هذا الادب ولا عرفوه واستذوقوه ، وهم من اجل هذا ضعاف الحظ جداً من الثقافة الادبية في اللغة الاجنبية التي تعلموها ، وجل ما يعرفونه من هذه اللغة ما يمكنهم من الحديث المضطرب الملتوي ، ومن الفهم المختلط العسير ، ومن هنا كان تعرض جماعة من الكتاب المتقنين للادب لبعض الموضوعات لا يلقى من هؤلاء الشباب الا نفوراً واعراضاً ، لان هؤلاء الكتاب يتحدثون اليهم بما لا يعلمون ويطلبون اليهم فهم ما لم يهيأوا لفهمه ، وذوق ما لم يهيأوا لذوقه ، والتماس اللذة العليا فيما لم يتعودوا ان يلتمسوا اللذة فيه ، فاذا اضفت الى هذا ان درس الادب العربي نفسه لا يحبب هذا الادب الى الطلاب ولا يرغبهم في التزيد منه والامعان في قراءته ، عرفت ان هؤلاء الشباب معذورون حين يضيقون اشد الضيق بالفصل الادبي ، وانهم معذورون حين يتهالكون على هذا الادب السهل اليسير المبتذل الذي تمتلىء به الصحف اليومية والمجلات ، والذي يقرأونه فلا يجدون في فهمه عسراً ولا عناء ، ويقطعون به الوقت فلا يجدون في ذلك مشقة ولا جهداً ، وهم على ذلك يخرجون منه بطلاء من الثقافة يشبه هذا الطلاء الذي يخرجون به حين يختلفون الى دور

السينا او ملاعب التمثيل المبتذل اليسير ، ومن الخطأ ان تزعم ان بين هؤلاء الشباب من ينصرفون الى الادب الصحيح ويجدون اللذة في القراءة والدرس فهؤلاء قلة لا يقربون من الكثرة ولا يذكرون بالقياس اليها وهم مع ذلك ذخر المستقبل وعليهم اعتماد الجيل الحديث

***

كل تعليم ثانوي خليق بهذا الاسم ، يفرض على نفسه ازالة الحوائل بين الاداب الاجنبية القديمة والحديثة، بحيث لا يخيل الى الشاب انه غريب اذا سمع الناس يتحدثون عن ادب من هذه الاداب الاجنبية ، او عن اديب من هؤلاء الادباء ، وبحيث يستطيع هذا الشاب ان يجد امامه آفاقا واسعة مختلفة في دراسة الادب يختار منها ما يلائم حاجته واستعداده، والواقع اننا في دراستنا للادب العربي في المدارس الثانوية ، ننظر اليه على انه شيء مستقل ، قد قطعت الاسباب بينه وبين الاداب الحية الاخرى . وكان من الحق ان ننظر اليه على انه شيء متصل بما حوله من الاشياء الحية ، يؤثر فيها ويتأثر بها ، واذن فاننا في دراستنا لادابنا يجب ان لا نفهم الحياة الانسانية فهما ساذجاً رديئاً ، وانما يجب ان نفهمها على وجهها ، وان نعلم ان التضامن الاجتماعي ليس اساس الحياة في الامة وحدها ، وانما هو اساس الانسانية كلها ، وان امة من الامم مهما تعظم لا تستطيع ان تستغني عن غيرها من الشعوب كما ان فردا من الافراد مهما يعظم لا يستطيع ان يستغني عن الناس جميعاً ، وعن هذه الفكرة وعن هذا الفهم للحياة الانسانية وعن هذا الفهم للادب وللدرس الادبي المنظم

يقرر الاوربيون حين يقررون في نظامهم التعليمي ان الادب الاجنبي العام يجب ان يدرس في المدارس الثانوية درساً منظما ويجب ان يدرس في

الجامعات درساً خاصا فيه بحث وتحقيق واستقصاء .

ولم يخطر للاوربيين ان شكسبير يجب ان يدرس بالانكليزية او لا يدرس، وانما خطر لهم ان شكسبير يجب ان تعرفه كثرة ابناء كل امة مترجما في لغتهم، وان من اراد منهم ان يتقن الانكليزية فله ان يقرأ شكسبير او عليه ان يقرأ شكسبير في لغته الاولى

واما القول ان الاوربيين يحتاجون من هذه الثقافة الى ما لا نحتاج نحن اليه، فنقول في الجواب عليه : ان حاجة الناس جميعا الى الثقافة متشابهة متكافئة و كما ان الاداب الاجنبية لا تستطيع ان تستقل هذا الاستقلال الغريب الذي نتصوره ولا ان يستغني بعضها عن بعض ، فالادب العربي لا يستطيع ان ينفرد في برج من العاج ولا ان يقطع الصلة بينه وبين غيره من الاداب، فادبنا العربي نفسه وقد تأثر بالاداب القديمة في عصوره الاولى ، وقد تأثر بالاداب الشرقية في عصوره الوسطى، وهو يتأثر بالاداب الاوربية في العصر الحديث، وهو متأثر في غيره من الاداب كما هو متأثر بها، فمن الخطل ان نعرف هذا كله ثم لا ننظم هذه الصلات ولا ننظم علم الشباب بها تنظيما ولا نهيء هؤلاء الشباب تهيئة صحيحة ليفهموا هذه الصلات على وجهها ثم ليزيدوها قوة وتوثقا ثم ليؤدوا وهم يعلمون ما يجب ان نؤديه للحضارة الانسانية العامة . . .

وما يقال عن دراسة الادب العربي يقال مثله في دراسة التاريخ، والمفروض في دراسة الادب العربي وما يتصل به من دراسة الاداب الاوروبية، مفروض في دراسة التاريخ العربي وما يتصل به من تاريخ الانسانية ، واذن فان الكتب المدرسية الحاضرة ، التي تعني بدراسة التاريخ العربي على انه تصوير لبيئة خاصة ولشعب معين ، تساوق الاخطاء التي تضطرب اليوم في

دراسة الادب العربي ٠

وشيء آخر ايضا وهو ان التاريخ اذا لم تكن دراسته حافزا على بث روح جديدة في نفوس الطلاب ٠ تحفزهم على النفاذ الى جميع حوادثه ، وروائع محاسنه ، والتماس المثل العليا في تاريخ ابطال الانسانية وعظماء العالم ٠ والتنكب عن الاخطاء التي وقع فيها السابقون ، والتماس الاحسان في كل ما قصر عنه الاوائل ، فانه يكون درساً سقيماً لا فائدة منه ، ولا خير في دراسته ٠ ٠

ان في وزارة المعارف العراقية عصبة مختارة من الم‍ع شباب العراق واكثرهم ثقافة واخلاصاً ووطنية ، وقد ذكرت معالي الوزير ، ومن الحق ان اذكر المدير العام سعادة خالد بك اسماعيل ، والدكتور فاضل الجمالي رئيس المفتشين وغيرهما من الشباب لأن وجودهم في الوزارة يعد ضمانة كافية بان المعارف في العراق ستخلق خلقا جديداً ، وانها ستصبح بعد اشهر قليلة ، ولا اقول بعد سنوات قليلة قبة من الثقافة والمعرفة ، بحيث تعود الى بغداد ايامها الزاهرة يوم كانت عاصمة العالم ، وجامعة الانسانية ٠

وقد لمست بنفسي يوم كنت في العراق اهتمام الوزارة الحاضرة بالمعارف والبيئات الثقافية ، خصوصاً فخامة رئيس الوزارة الذي قال لي في معرض الحوار الذي دار بيني وبينه : انه كثيراً ما يذهب الى مكتب صديقه معالي وزير المعارف ، ليشاركه في وجوه الاصلاح التي يرغب معالي الوزير بالاتفاق مع فخامته في اقرارها ، ولعل هذه الحادثة الصغيرة التي لا ارى بدأ من نشرها في كتابي هذا لتكون خير خاتمة لهذا الفصل ، تدل بوقائعها ودون ما تعليق مني على شدة اهتمام فخامته بمعاهد العلم ودور المعرفة :

فقد قرر فخامة السيد حكمت سليمان رئيس الوزارة العراقية ، القيام بجولة تفتيشية في دار المعلمين الابتدائية فزار اقسامها كلها واتفق انه دخل غرفة الاكل في ساعة تناول الطعام فقال انه يريد مشاركة الطلاب في غدائهم ليتحقق من نظافة الطبخ وجودته ، فجلس بينهم كأنه واحد منهم فقابل التلاميذ هذه الديموقراطية الكريمة بعاصفة من التصفيق .

ثم القى كلمة من نصائحه الغالية قال فيها :

« اني احمد الله الآن على ان اتيحت لي هذه الزيارة في الساعة التي اشاهد بلادي متمتعة باستقلالها التام ، وانها ستكون اول دولة عربية شرقية تقوم بخدمة العرب والشرق بعد ان كانت ترسف في قيود الاستعمار الماضي

وهذه الخدمة تقع على عواتقكم انتم ايها الشباب عندما تغادرون هذه المؤسسة وتتولون تربية النشء وتحسنون القيام بواجبكم اذ اراكم ايها الاخوان — والاحسن ان ادعوكم باولادي بالنظر الى سني الحالية — تحققون آمالي وآمال الامة فيكم بما تبذلونه من جهود صادقة في خدمة وطننا العزيز

وفي الختام اشكر الهيأة التعليمية في هذه الدار وادارتها وبصورة خاصة الدكتور الجمالي »

. . . .

فقوبلت هذه الكلمة بهتاف عال وتصفيق شديد، وقد وعد فخامة الرئيس بانشاء ناد للطلبة يتسع لثلاثماية طالب يجهز بكامل الاثاث، ومستشفى يحتوي على عشرين سريراً وقاعة مناسبة للجمناستيك وبناية خاصة للمختبرات وقاعة للتجارة . ولم يقتصر عطف فخامته على الطلاب وحدهم بل تناول الخدم

ايضاً فأمر بانشاء غرف خاصة بهم

...

واختم هذا الفصل فاقول : ان هناك في العراق مائة الف شاب يتلقون العلم في مختلف المعاهد ، قد رأوا في هذه الزيادة الماتعة دليلا قويا على اهتمام الوزارة بهم وعنايتها بشؤونهم ، والسعي ليكون مستقبلهم زاهراً رائعاً ، وهم يحفظون في قلوبهم اجمل الذكرى لرئيس الوزارة ووزير المعارف واعضاء الوزارة وكل ما يطلبونه ويرجونه انتهاء سني الدراسة ليخرجوا الى ساحة الجهاد ويقوموا بواجبهم الوطني تحت رايات سيد شباب العرب جلالة غازي الاول ووزارته الديموقراطية الوطنية العاملة المحسنة ٠



[٣] ــ اعمدة الاستقلال والحضارة

السياسة الخارجية !

ــ ١٣ ــ



البلاد العربية تعمل اليوم الى هدفين اولهما : تنظيم دول متحدة مستقلة ديموقراطية ، مؤسسة على النظم الحكومية الحديثة في كل قطر من الاقطار العربية، وضمان سير هذه الدول المنظمة والمحافظة على كيانها ،

وثانيها : توحيد الشعوب العربية وتأليف اتحاد عربي بينهـا ، بحيث تكون كل دولة مستقلة عن الاخرى في ماليتها وداخليتها ونظم الحكم فيها ، متحدة معها في الدفاع والثقافة ، والامور الاقتصادية

والواقع انه يمكن اعتبـار هذين الهدفين اساساً لكل المشاكل السياسية الاخرى ، واعتبـار بقية المسائل جزءاً متمماً لهما ، فالمشاكل الـتي تنتج عن علاقـات الدول العربية باوربا عامة وببعض الدول المتصلة بها خاصة ، والمشاكل الناتجة عن وضع كل دولة من الوجهة الداخليـة يصح

اعتبارها جزءاً متمماً لهذين الهدفين الساميين الذي تسعى كل دولة من دول العالم العربي الى اقرارهما وجعلهما امراً واقعاً ..

ومرد ذلك يعود اولا : الى وضع البلاد العربية الجغرافي واتصالها بالبحر المتوسط ، وتطور السياسة الاوربية في هذا البحر تطوراً خطيراً يجعل من المفروض اهتمام الدول العربية المجاورة له والبعيدة عنه بأموره اهتماماً خاصاً

ويتصل ثانياً : بضعف الدول العربية ، وقلة عدد سكانها ، وقلة ما لديها من وسائل الدفاع ، وقيامها في الطرق التي تؤدي الى الشرق الاقصى والهند ، وتحفز الدول الاوربية لاقتحامها واستثمار خيراتها ، ما آنست منها غرة ووجدت اليها سبيلا ، فاصبح من الواجب والحالة هذه ان توحد هذه الدول صفوفها ، وان تجمع شتاتها ، وان تعقد فيما بينها محالفات عسكرية تمكنها من المدافعة عن نفسها صفاً واحداً ، وعصبة واحدة ، كما هو الحال بين دول البلقان والتحالف الصغير ، والاتفاقات العسكرية الدفاعية المعقودة بين روسيا وفرنسا وبين انكلترا وفرنسا ..

واذا كانت الدول الكبرى لا ترى كبير امر ، في هذه المحالفات العسكرية ، وتعدها اساساً لسياستها الخارجية ، وهي الى ذلك تنعم بالقوة ومختلف وسائل الدفاع ، فان الدول العربية ، الضعيفة السلاح ، القليلة الاموال ، تحسن صنعا اذا ساوقت سواها في سياستها الدفاعية ، تؤمن بواسطتها كيانها وتحافظ على استقلالها ووحدتها .

...

وعلى ذكر المعاهدات الدفاعية التي عقدتها بعض الدول العربية مع الدول الاوربية التي كانت منتدبة عليها ، نقول : ان هذه المعاهدات وان كانت

مفيدة في توطيد كيان هذه الدول ، ومساعدة لها على المضي في استثمار مرافقها وتحسين شؤونها، الا انها ليست كافية ، لان الحوادث الاخيرة التي وقعت في لواء الاسكندرونة مثلاً ،قد دلت على ان هذه الدول الاوروبية ، انما تدافع عن حدود الدول العربية المرتبطة معها على قدر ، وانها لا تمضي في دفاعها الى النهاية ، وانها حين تصطدم بدولة قوية ، لا ترى كبير امر في تضحية الدولة العربية المتعاهدة معها ، حفظاً منها لمصالحها الخاصة المتصلة مباشرة بسياستها الخارجية ، وعلاقاتها مع الدول الاخرى

واذن فان المصلحة والحالة هذه تقضي بان تفكر الدول العربية بعقد محالفات اخرى تضمن كيانها ، وتكون قوة ومنعة لها ، ولا سبيل الى ذلك الا بحلف عربي دفاعي تكون غايته حفظ السلام في البلاد العربية والدفاع عن كيانها، بحيث تستطيع التفرغ لشؤونها الداخلية ، وانشاء هذه الحضارة الجديدة التي نريدها شعلة نيرة في سماء الشرق العربي

. . .

والواقع ان البلاد العربية تحتل في آسيا وافريقيا طائفة كبيرة من البلدان فيها كل جذور الحياة الاقتصادية ، وفيها جميع الطرق البرية والجوية والبحرية التي يعول عليها الاوربيون في الاتصال بمصادر الثروات الضخمة في مستعمراتهم ، ففي العراق آبار النفط التي تمون انكلترا والولايات المتحدة وفرنسا بما تحتاجه من هذا السائل العجيب ،وعلى سواحله عند شط العرب طرق تدفع الى الشرق الاوسط والى البحر الهندي والبحر الاحمر ،وفي فلسطين وشرقي الاردن طرق تؤدي الى العقبة والى جزيرة العرب ومصر ، وفي مصر قناة السويس ، وهي طريق (اوربا) الى مستعمراتها ، وفي سوريا اخصر الطرق للهند والمستعمرات

لانكلترة وايران ، فاذا عرف العرب اساليب الانتفاع من مواقفهم في هذه الاماكن ، فانهم يستطيعون في اهون سبيل ان يحملوا انكلترا وغير انكلترا من دول الارض على ملاينتهم ومسايرتهم ، وما دام العرب لا يهتمون وهم يحتلون هذه المواقع الخطيرة في حياة اوربا الاقتصادية والسياسية فانهم يتساهلون في حرياتهم وحقوقهم تساهلاً لا مبرر له وقد يكون منه خطر عظيم ، على وحدتهم واستقلالهم

وليس من شك في ان واجب العرب اليهم هو في تبديل الخطط التي ما برحوا يسيرون عليها للوصول الى اغراضهم ، وهم ما برحوا يتابعون الجهاد من غير ان ينصرفوا الى دراسة الاسباب التي تكفل فوزهم في هذا الجهاد ، ومن اهم هذه الاسباب ، انه لا معدي لهم عن الجري في النضال على سنن من سبقهم في هذا النضال ، ومن اهم هذه السنن ان يتوفروا لتوطيد مركزهم الاقتصادي وان يعملوا للدعاوة لانفسهم وبلادهم ومصالحهم في الخارج ، وان ينشئوا ثقافة عربية واحدة تستطيع ان تحتل مركزها بين الثقافات الاوربية الحاضرة .

* * *

ولا بد للعرب الى هذا كله ان يفطنوا لما يحاك في اوربا من سياسات ومعاهدات ، وان يتطلعوا ابداً الى الاتجاهات التي تضطرب في البحر المتوسط فانه طريق اوربا اليهم ، وطريق النفط الى اوربا وقد قال « بول موران » الكاتب الفرنسي المشهور في كتابه طريق الهند :

« كنت في الصيف الماضي بضيافة ملك النفط ، ذلك الرجل الهادي ، الجياش والحاسب الحالب الاريب ، فرأيته في حديقته المطاولة لحديقة وندسور

الملكية ، وسمعت منه وهو يبسم بالابتسام كلمات صارمة، وحقائق خفية، تصعق كثيراً من رجال السياسة عندنا وعند غيرنا لو انهم احاطوا بما وراءها ويحضرني منها الان قوله : « ان لفرنسا جيشاً جراراً يعتمد كله على الالات المتحركة في الساعة الحاسمة تعلمون ان النفط الذي لديكم لا يكفيكم اكثر من خمسة عشر يوماً »

« وكذلك نرى يوم يقع الصدام اننا بغير ملكة البحار او بغير المحالفة الانكليزية لن يكون سلاحنا بجذافيره الا حدائد مفلولات»

ومن ثم اصبحت الحكومة الفرنسية تحسب حساب السياسة البريطانية في كل شيء ، وتكاد تتبعها في كل طريق ،وهي على سبيل الحيطة تضاعف ما تستطيع مضاعفته من سفن الاسطول في البحر الابيض المتوسط

ولقد رأينا كيف غيرت بريطانيا خطتها في الاستعداد الحربي وفاقـا للحالة التي جدت ولا تزال تجد في ذلك البحر الجامح المحفوف بالاعاصير السياسية وكيف انها قررت عقد قرض الدفاع الضخم بحيث تصبح بعد سنوات قليلة جداً ، قوية في هذا البحر قوة تمكنها من فرض ارادتها ، وتوجيه سياسة الدول القائمة على شواطئه الى الجهة التي تريدها، بعد ان منيت بالفشل العظيم الاخير في خصومتها مع موسوليني حول المسألة الحبشية،لانها لم تكن من القوة والرجحان في هذا البحر بحيث تضطر غيرها الى الاذعان لها ..

ومنذ الحرب الحبشية وبريطانيا تحسب حساب الطوارىء المقبلة التي قد تكون قريبة او بعيدة،فهي تهتم بالطريق الحربي حول افريقيا ، والطريق البري الذي يتصل بالهند عن طريق العراق ، وبالقواعد الجوية في سنغافوره ، وغيرها من الشواطىء الاسيوية .

وتحسب كذلك حسابا لهذه الطوارئ في علاقاتها بكل امة كبيرة او صغيرة تطل على البحر الابيض المتوسط . فهي دائمة الاتصال باليونان وتركيا ومشغولة بالتقلبات الداخلية في البانيا ويوغوسلافيا، ومكترثة بعد طول الاعراض بالقضية المصرية ، ومن آثار هذا الاكتراث انها فتحت باب المفاوضات فيها وتطرقت منها الى الاتفاق الاخير

اما ايطاليا فهي تسمي البحر الابيض بحرنا كما يسميه الرومان ، وتطمع بغير مراء في السيطرة عليه بعد حين يقصر او يطول ، وتحاول من ثم ان تشرف على السياسة النمسوية والبلقانية وتمد شباكها الى الاقاليم التركية . ومن مطامعها او من احلامها ان تخلف فرنسا وانكلترا على شواطئه الافريقية ، ويزين لها ذلك انها تملك المضايق بينها وبين صقلية ، وبين صقلية والجزيرة الصغيرة المعروفة باسم « بانتلاريا » وبين هذه الجزيرة وتونس ، والى جانبها من الشرق برقة التي لها قيمة عسكرية اكبر من قيمتها الاقتصادية

وبديهي ان الدول الصغار على شواطىء البحر الابيض تهتم بالحالة فيه اشد من اهتمام الدول الكبار ، وتتقلب الحوادث بين شعوبها على حسب التيارات التي تتجاذبها المنافسات بين من يحاولون السيطرة على شواطئه من بعيد او قريب

فاذا وقع حادث خطير في اليونان او يوغوسلافيا او البانيا او ما يليها من شعوب البلقان فثق ان هذا الحادث لا يخلو من اصبع للمنافسة بين الانكليز والطليان على الخصوص

والواقع ان احداً لم يكن يظن ان الدولة البريطانية تغضي عن الحكومة الشيوعية في اسبانيا ، لو لا ان الفاشستية الاسبان يطلبون النجدة من ايطاليا ويساومونها على جزائر الباليار او على ميناء سبتة في الضفة الافريقية ، ولولا ان

انكلترا وفرنسا وايطاليا يعنيهن جميعا ان تظل الحكومة الاسبانية ضعيفة الامر منهوكة القوى ، لما استعصى عليهن وهن مجتمعات ان يتوسلن باحدى الوسائل الناجعة الى فض النزاع واخماد لهيب الحرب الاهلية ولو الى اجل قريب

وقد عرفت تركيا الكمالية فرصتها السانحة فنهضت في هذه الاونة لتحصين المضايق التي كان تحصينها محرما عليها . فاذا بالدول يقبلن منها هذه المخالفة لاقامة الحواجز في وجه الروسيا، واذا بالروسيا لا تكره هذه الحواجز لانها تصد عنها بعض الهجمات وقد تنفتح لها عند الضرورة متى تحسنت العلاقات بينها وبين الحكومة التركية .

ومع هذا لا نخال الروسيا مفلحة في اجتناب البحر الابيض المتوسط، ولا قادرة على اغفال السياسة التي تديرها الدول المشرفة عليه اوتنوي هي تديرها تطبيقا لمذهب الشيوعية او احباطاً لبعض المساعي التي تتقي عواقبها الخفية . وامامنا موقف الروسيا من مشكلة اسبانيا شاهد قوي على مكان هذا البحر من الخطط الروسية .

. . .

واذن فان من حق العراق والبلاد العربية ان تعني بتطورات البحر المتوسط عناية خاصة ، لان كل حادث جديد فيه يكون ذا علاقة مباشرة او غير مباشرة بالسياسة العربية وعلاقاتها مع الدول المجاورة والبعيدة ..

وليس يهمنا ان نعرض في هذا الفصل للسياسة الانكليزية العراقية ، ولا الى درس التطورات التي افضت بالعراق الى الاستقلال والحريات التي ينعم بها في الوقت الحاضر ، فان هذا من الامور التي لا شأن لها في هذا الكتاب، وانما الذي يعنينا هو العلاقات العراقية مع انكلترا والبلاد العربية واوربا في

عهده الجديد ، ولا بد من القول ان لبريطانيا العظمى — بعد الاستقرار السياسي بينها وبين العراق — مصالح في القطر الشقيق تتلخص فيما يلي :

« ان العراق حلقة من حلقات المواصلات البريطانية المؤدية الى الهند وبتقدم الطيران والمواصلات الجوية اصبح العراق حلقة مهمة من حلقات المواصلات الجوية بين بريطانيا والهند واوستراليا ، اضف الى ذلك ما يؤمل الانكليز من مد سكة حديدحيفا — بغداد ، وفتح المجال لنقل البضاعة والمسافرين بواسطته من الهند والشرق الاقصى الى البحر المتوسط

ومن المؤكد ان بريطانيا ليست ترمي من تأسيس قاعدتين للطيران في العراق ، وعقدها معاهدة دفاعية مع العراق سنة ١٩٣٠ الى حفظ خطوط مواصلاتها فحسب ،بل ترمي ايضاً الى منع كل دولة اخرى من الاقتراب الى الخليج الفارسي والبحر الهندي والاستيلاء على سواحله ، وبريطانيا لم تبدل سياستها الكلاسيكية من هذه الناحية ، ثم انها تستعمل قواعدها الجوية في العراق لتمرين الطيارين الانكليز ، نظراً لملائمة الاحوال الجوية وانبساط الارض في العراق وهو امر يجعل التدريب سهلاً ومخاطره قليلة . .

وهناك مصالح بريطانيا الاقتصادية واهمها آبار النفط في العراق وجنوبي فارس ، ووجوب المحافظة عليها ، والنفط اليوم من المواد الاولية والاساسية في امور الدفاع وقت الحرب ، ولا يجهل احد خطره واثره في مصاير كل امة معاصرة

وهناك مصالح انكليزية اخرى اهمها ان العراق سوق تجاري للبضائع الانكليزية ومصدر من المصادر الهامة لمواد الخام التي تحتاج اليها بريطانيا ، كما ان في الامكان استثمار رؤوس الاموال البريطانية للقيام بكثير من المشاريع

الاقتصادية في هذا القطر الغني الكثير الخيرات .

واذن فان علاقات بريطانيا مع العراق في المستقبل لن تخرج عن هذه القواعد الاساسية ، وكل تطور سياسي في علاقات العراق مع بريطانيا يجب ان يكون اساسه هذه المصالح .

ومن المؤكد ان السياسة العراقية الخارجيـة لا تستطيع ان تغفل عن هذه المصالح البريطانية، كما لا تستطيع ان تتجاهل المعاهدة التي تربطها مـع بريطانيا في علاقاتها مع الدول المجاورة من شرقية وعربيـة ، ومن واجب البلاد العربية في الوقت نفسه،ان لاتتناسى هذه الحقائق البارزة حين تطلب من العراق ورجالات العراق ان يقوموا وحدهم باعباء الوحـدة العربية والسياسة العربية العامة،فان مثل هذه السياسة تتطلب لباقة ووقتاً وتهيئة خاصة لبعض الحوادث والاسباب وهذا لايمكن اقراره في اشهر وانما يحتاج الى عدةسنوات

والواقع ان اعظم ما يهم رجالات العرب في الوقت الحاضر هو الطريق الذي ستسلكه السياسة العراقية العامة في الاشهر التي تلي ، والى اي مدى ستعمل هذه السياسة في سبيل القضية العربية ؟؟

ثم ما هو هدف القضية العربية ، وكيف تبلغ الحكومات العربية المختلفة من–بغداد فالرياض فسواحل الخليج الفارسي فالحجاز فاليمن فعدن،ومن الحدود السورية التركية حتى سيناء ومصر – هذا الهدف المنشود ؟؟

لقد ابتدأت الحركة القومية العربية بصورة منظمة كحركة سياسية في اوائل القرن الحاضر ، وبعد الانقلاب التركي وظهور الاتحاديين على مسرح السياسة التركية ، فتألفت الجمعيات السياسية في فروق والبلاد العربية مطالبة بالاصلاح الاداري واللامركزية ، كما ظهرت في الوقت نفسه فكرة الاستقلال

وبدأ الشباب يقولون بالقومية العربية ، وكان من اثر هـذا التطور الخطر في الذهنية العربية ، ان اخذ الترك يمعنون في ايذاء العرب واضطهادهم اثنـاء الحرب العامة فرفع هؤلاء لواء الثورة على الترك بزعامة المغفور له جلالة الحسين ابن علي شريف مكة واصحاب السمو ابناؤه ، وقاد الجيش العربي الذي اخذ يناوىء الترك ويطاردهم في طول الجزيرة وعرضها فقيد العرب فيصل الاول حتى احتواه النصر ، واتاه الله سؤله من تحرير العربية واخراج الترك منها .

ولعلنا ما نفشي سراً اذا ذهبنا نقول :

ان احداً من العرب في هذه الفترة — وبعد ان وفق فيصل الى رفـع رايات التحرير عالية في البلاد العربية — لم يكن يدور في خلده ان الحلفـاء الذين عاهدوه على استقلاله ، وايدوه في ثورته ، وباركوا له في حرياتـه ، سينقضون ما وعدوا ، وينكرون ما قالوا ، وان هذه الجمل العذبة ، والالفاظ الحلوة ، لم تكن الا كهذه الاشربة التي تقدم للمريض ليمحو بها ما يبقى في فمه من مرارة الدواء ، ورياء الوعود

لقد كان العرب في هذه الفترة من الزمن التي تلت الهدنة ، ينعمون بالوان من الغبطة ، واشكال من الامال ، يعلم الله انها كانت عذبة زكية وانها كانت ماتعة جميلة ، وكان واحدهم ما يهمه العيش الا في هذه الدنيا التي خلقتها احلامه ، وافاضت عليها وعود الدول نوراً زاكياً ، وطمأنينة عذبـة ، والكاتب مهما يؤته الله من البيان وحسن التصريف ، ما يستطيع ان يصف هذه الدنيا الاستقلالية الجديدة التي لم تدم الا اياماً معدودات والتي لا تشبه دنيا الناس في كثير ولا قليل ، وليس يستطيع الى هذا ان ينقل الى الجيـل الحاضر صورة هذه الايام الساحرة التي غشيت الناس حتى استحالوا في مثـل

خطفة الوميض الى قلوب تتحرك ، وعواطف تضطرب في امل واحد ، هو ان يعود للعرب ما كان لهم من ماض تليد ، وعز لهم وزعامة في صدر الوجود

هذه كانت آمالنا ، وكذلك كانت احلامنا ، ثم تبدلت الايام فاذا العربية تتقسم وتمزق،واذا العراق دولة ، واذا فلسطين تطعن في صميمها ، واذا سوريا تقطع قطعاً ، وتمزق تمزيقاً ، واذا الوعود السالفة حديثاً سالفاً ، وحلما زائلا ..

وكذلك قضت اطماع الانكليز والفرنسيين في البلاد العربية على جهود فقيد العرب فيصل الاول ، وفرض الانتداب على البلاد العربية التي وعدوا بتحريرها فرضاً ، فنالت فرنسا سوريا ، وانكلترا العراق وفلسطين ، ولكن شباب العرب في هذه الاقطار فطنوا الى حرياتهم السالفة وامجادهم الغابرة وتعاورتهم ذكريات اليرموك والقادسية فرفع العراق رايات الثورة حتى نال استقلاله ، وحذت سوريا حذوه ، فوصلت الى استقلالها ، ولا تزال فلسطين تطالب بحريتها ، والبلاد العربية الاخرى تؤيدها وتشد ازرها ...

ومع ان السياسة العراقية كانت تصرف عنايتها الى المشاكل العراقية في السنوات العشرة المنصرمة ، الا ان الشعب العراقي وعلى رأسة فقيد العرب فيصل الاول وجلالة الملك غازي وكبار رجاله وقادة جيشه ، اعرب غير مرة عن عطفه على الجماعات العربية في نضالها ضد الاستعمار وابدى رغبته في توحيد البلاد العربية لتكون صفاً واحداً وجماعة واحدة ، تدفع عن العرب العدوان والأيذاء ، وتعمل لبعث الحضارة العربية الغابرة ، بحيث تستطيع مساوقة الحضارة الجديدة الغربية ..

...

واذا كان هذا هو الموقف الحاضر فالى اين نحن سائرون ، وما هو هدف الحكومات العربية في اقرار القضية العربية وجعلها امراً منظوراً ؟ ؟

ان من يريد الجواب على هذا السؤال لا يستطيع اغفال حقائق الموقف السياسي في كل بلد عربي ، وحقائق العلاقات الدبلوماسية والاعتبارات الخارجية الموجودة بين كل من هذه البلدان العربية ، وبين البلدان المجاورة لها ، والمتعاقدة معها . . . .

ومن المؤكد اننا لا نستطيع ان نطلب من الدول العربية الحاضرة ان تعمل عملاً من اجل القضية العربية يناقض المعاهدات الموجودة بينها وبين الدولة التي كانت منتدبة عليها ، او بين الدول المتعاهدة اليوم معها ! ! !

وهل في وسع الدولة السورية الناشئة ان تتكلف عملاً من هذا النوع ؟ وهي لما تتحرر من مشاكلها العديدة مع فرنسا ؟ ؟

وهل في وسع العراق وهو يجري على سياسة عربية ان يغفل الجوار الذي يربطه بتركيا من الشمال وبايران من الشرق ؟ وهل يستطع وهو مرتبط مع انكلترا بمعاهدة تحالف ان يفعل ما ينقض هذه المعاهدة بدون ان يأمن العواقب ؟

لا جرم ان اعتبار هذه الحقائق وتفهمها لا يعفينا من تلمس السبيل الى تحقيق آمال الامة العربية في مختلف اقطارها فهذه الامال حقيقة حية ايضاً تختلج في نفس كل عربي ويشعر بها رجال الحكومات العربية المختلفه كما يشعر بها الافراد ، ولكن كيف السبيل الى تحقيقها ؟

ان احترام المعاهدات القائمة والاعتبارات الخاصة بالجوار يحمل المرء على الاعتقاد بان الخطة المثلى التي يجدر بالاذهان ان تنصرف اليها عند التفكير في وحدة الامة العربية ، هى ان تبذل كل دولة عربية في شبه الجزيرة كل ما

تملكه من جهد لتعزيز مركزها وتوطيد دعائمها ، وتحسب حسابا في علاقاتها الدولية لبقاء الباب مفتوحاً في وجهها في المستقبل لتوثيق عرى التعاون والتضامن مع اخواتها العربيات الى ان يأتي اليوم الذي يصبح فيه السبيل ممهداً لتأليف كتلة عربية قوية ، وقد يكون تكييف القضية العربية في هذا الشكل جديداً، ولكن الواقع يقره والمنطق يؤيده، فمملكة اليمن موجودة منذ عهد بعيد، والمملكة العربية السعودية موجودة ، ودولة العراق قائمة ، وكذلك الامارات القائمة على سواحل شبه جزيرة العرب، وفي سورية دولة فتاة تتأهب لاتخاذ شكلها النهائي ، وكل من هذه الدول حريصة على بقائها فليس في وسعك ان تنصح الان لاحداها بالاندماج في الاخرى، ولذلك لم يبق امام السياسي العملي سوى ان يتمنى لكل منها القوة والمنعة من ناحية، وتعزيز عرى التفاهم والتحالف مع شقيقتها من ناحية اخرى والعطف القوي على القطر العربي الذي ما زال في حاجة الى مؤازرتها

وهذه الخطة هي التي تجرى عليها المملكة العربية السعودية منذ زمن ويجري عليها اليمن ، وهي الخطة التي وجدت حكومة العراق آخذة بها ، فالتحالف الذي عقدته الوزارة العراقية الحالية في اول عهدها بالحكم مع المملكة العربية السعودية تسعى الان الى ضم اليمن اليه ، وقد كان السيد حكمت سليمان بارعا كل البراعة في تدخله لدى الانكليز من اجل فلسطين فقد علمت ان دولته ابلغ السفير البريطاني يوم اشتداد الازمة في فلسطين ان حكومة العراق لا تستطيع ان تنظر الى حوادث فلسطين بعدم الاكتراث ، لان في العراق الوفاً من اليهود العراقيين فاذا ظل النزاع في فلسطين بين العرب واليهود، فانه يخشى ان تمتد شرره الى العرب واليهود في العراق، فتنشأ مشاكل وارتباكات

داخلية يصعب تلافيها

ثم ان للعراق من العلاقات الدولية والاعتبارات الخاصة بالجوار مثل ما للمملكة العربية السعودية، ومثل ما لليمن، بل مثل ما لكل دولة اخرى، فليس في وسعه ان ينسى ان تركيا مجاورة له من الشمال، ولا ان ايران مجاورة له من الشرق، ولا ان بينه وبين انكلترا معاهدة تحالف ذات نصوص تتناول سياسته الخارجية وعلاقته الدولية، ولذلك لابد من ان تأتي الجهود العملية التي يبذلها في سبيل التقرب بين الدول العربية وتعزيز اواصر العلاقات السياسية والاقتصادية معها، غير مناقضة لهذه الحقائق وتلك الاعتبارات لكي لا يلتوي الامر عليه، وما يقال عن العراق في هذا الصدد يقال عن بقية الدول العربية . .

واذن فسياسة العراق الخارجية ليست تستطيع العمل في سبيل القضية العربية الا وفاقاً لهذه العوامل التي بسطناها، والاهداف التي اشرنا اليها، وهي الى ذلك قد استبقت هذه الاهداف، واسرعت في هذا الطريق اسراعاً نستطيع ان نقول انه ابعد اثراً من كل دولة عربية اخرى . . .

واذا اردنا التبسط في اهداف السياسة العراقية عهد الحكومة الحاضرة فاننا نحسن صنعاً اذا تركنا معالي وزير الخارجية يتكلم عنها في حديث ادلى به الى احد الصحفيين في بغداد قال الوزير :

« ان العراق لا يزال منذ انشأ دولته يسير على خطة مرسومة وضعها المغفور له الملك فيصل ونفذتها الوزارات العراقية على اختلاف الوانها ونزعاتها وميولها السياسية، وتنفذها وزارتنا ايضاً بدقة وامانة، فهي السياسة الفضلى التي تملي المصلحة اتباعها والسير عليها وهذه السياسة ذات شقين :

«شق يختص بصلة العراق ببلاد العرب وهي البلاد التي تربط العراق بها اوثق الروابط ويعد عضواً من اعضائها والاخر يختص بصلته بجاراته الشرقيات وهي تركيا ايران وافغانستان .

« واما فيما يختص بالشق الاول ، فالوزارة الحاضرة تنفذ السياسة القديمة المرسومة القائمة على التقرب من بلاد العرب واحكام الصلات الاخوية التي تربطنا بها وتعزيزها وبذل منتهى الجهد في تنميتها وتقويتها لا ندخر وسعاً ولا نضن بجهد .

وقد نفذنا في خلال هذه المدة القصيرة التي انقضت على تقلد الوزارة مشروعات عدة فقد سافرت الى الرياض غداة قيام الوزارة وقابلت جلالة الملك عبد العزيز السعود واجتمعت برجال حكومته فتبادلنا النسخ المصدقة لماهدة الحلف العراقي — السعودي وعرضنا صلات الدولتين وعدت من رحلتي وانا مرتاح الى ما لقيته ومغتبط بما سمعته ووعيته من الرغبة في التعاون الصادق والتآزر المفيد للعرب وقضيتهم

وكذلك عنيت الوزارة بالقضية الفلسطينية عناية خاصة وما برحت تسعى عند الحكومة البريطانية لحل هذه المشكلة بما يرضي العرب الفلسطينين ونحن نتتبع بدقة واهتمام سير هذه المشكلة

وقد الفت الحكومة وفداً عراقياً سافر الى صنعاء برئاسة السيد جميل المدفعي رئيس الوزارة الاسبق ، وعضوية السيد سعيد ثابت والسيد مهدي كبه لزيارة جلالة الامام يحيي ومباحثته في الحلف العربي فيزداد قوة ومنعة . .

واما زيارة سمو الامير سعود ولي عهد الدولة السعودية الى بغداد بدعوة جلالة الملك فانها ستساعد على تعزيز ما بين العراق والدولة السعودية من

روابط الصداقة والاخوة الحقيقية .

كما تسعى الوزارة بوجه خاص الى تعزيز روابط الصداقـة الودية بين العراق ومصر ، وهي عازمة على الاستعانة بالمصريين الكرام في كل مـا تحتاج اليه ، وما تستطيع مصر المساعدة به، ومن المنتظر ان توفق العراق الى عقد اتفاقات سياسية وثقافية تزيد صلاتها مع مصر قوة وتوثقاً . . »

. . .

واما علاقة العراق مع الدول الشرقية فانها باعتراف معالي وزير الخارجية على خير ما يرام من الود والصفاء ، وستزداد هذه العلاقـات قوة عند زيارة وزير خارجية تركيا للعراق في طريقه الى طهران لامضاء الميثاق الشرقي الذي ستشترك فيه العراق ايضاً .

وهذا الميثاق الشرقي الاسيوي او الرباعي ، قـد وضعت اسسه منذ عامين ، وكان واضعوها هم وزراء الخارجية للدول الاربعة الصديقة — تركيا وايران والعراق وافغانستان — ومتى تم التوقيع على هذا الميثاق فان السياسة العراقية الخارجية تستطيع التفرغ عندئذ لتعزيز سياستها العربية والمضي فيها الى غاياتها واغراضها التامة .

وعلى ذكر هذا الميثاق الاسيوي صرح وزير العراق المفوض في انقره، بان الحكومة العراقية كثيرة الرغبة في اقرار هذا الميثـاق في اقرب فرصة ، وانها ترجو ان يسبق ذلك تسوية جميع الخلافات الموجودة بين العراق وايران بشأن شط العرب ، والمحادثات التي دارت في بغداد في المدة الاخيرة للوصول الى هذه التسوية قد تقدمت تقدماً مرضياً يجعل الامل عظيماً بنجاح المفاوضات وتسوية كل المشاكل المعلقة

وكذلك نرى ان الاتجاهات الجديدة لسياسة العراق الخارجية تتوقف الى حد بعيد على وضع العراق الجغرافي كما تتطور هذه السياسة وفاقاً لعلاقة هذه الدولة الناشئة مع جيرانها القريبين منها والبعيدين عنها وفاقاً لاهتمام هذه الدول بالعراق وشؤون العراق .

ومن المؤكد ان وقوع العراق جغرافياً بين ايران وتركيا والبلاد العربية المجاورة يجعل لسياسته الخارجية صبغة خاصة وطابعاً معيناً يحتم عليه الاهتمام بما يجري بهذه البلاد المجاورة له ، فان عملت هذه على زيادة تسلحها ، والاكثار من عدد جنودها فمن المفروض عليه اذا كان يريد الاطمئنان لاستقلاله ان يجاريها في تسلحها ، وان يمضي في تعزيز سلاحه بالقدر الذي يمكنه من المحافظة على استقلاله وحرياته

ويظهر لنا من دراسة منهاج الوزارة السليمانية انها تفطن لهذه الناحية وانها تسعى لتعزيز صلات الصداقة بينها وبين جاراتها ، وانها ستعمل ما كان الى ذلك سبيل في تقوية هذه الاواصر بحيث تصبح جزءاً لا يتجزأ من سياستها الخارجية المقبلة

وليس من يجهل اليوم ما يربط العراق بايران — حكومة وشعباً — من روابط ومصالح مشتركة من دينية وثقافية ودفاعية يصح ان تعمل الدولتان على دوامها وتقويتها وتغذيتها ، ومن السهل بعد ذلك تسوية المشاكل المعلقة ما دامت الدولتان تحسان بضرورة هذه الصداقة ، وتعترفان بخطرها في مستقبل الدولتين وعلاقاتهما الخارجية مع الدول المجاورة

ونظن بعد ذلك ان الدولتين قد احسنتا كل الاحسان في تفكيرهما بعقد ميثاق دفاعي مشترك يساعد على تقرب الشعبين ، ودوام الالفة بينهما ، ويجعل منهما

اداة عاملة في سياسة السلام والاستقرار في الشرق العربي

ومن المؤكد ان هذا الميثاق السياسي بين العراق وايران ، لن يقتصر على الدولتين ، وانما سيتعداهما الى تركيا والافغان ، لأن وضع تركيا الجغرافي العسكري ، ووضع الافغان الجغرافي ، يجعل من الضرورة الاتفاق معها ، ولما كان العراق من الدول المسالمة الناشئة التي تنشد السلام ، وترغب في الاستقرار ، ريثما تطمئن الى استثمار ما فيها من خيرات ومنافع عامة فان دوام هذا الاستقرار السياسي ضروري لها ، لازم لاستقرارها وسياستها وتقوية مصالح شعبها المادية والمعنوية

. . .

اما علاقات العراق مع البلاد العربية المجاورة وغير المجاورة فيجب باعتقادي — واعتقاد من اجتمعت اليهم في العراق من شباب و كهول وشيوخ — ان تكون في الدرجة الاولى من اهتمام الوزارة الحاضرة ، ويسرني ان اقول ان الحوار الذي دار بيني وبين فخامة رئيس الوزارة يؤيد كل التأييد هذه السياسة فقد قال فخامته بلهجة المطمئن الواثق « ان سياسة العراق العربية لن تتبدل ولن تتغير بل هي ستزداد قوة واتصالا ، وان موقف حكومته من البلاد العربية هو موقف أخ لاخيه ، وكلما زاد التقارب بين الاقطار زاد مجموع العرب قوة على قوة

« ونحن نريد من البلاد العربية ان توحد شعورها العام ، وتتعاون واياها في المصالح المشتركة ، اما موقفنا من سوريا ولبنان فهو كموقفنا من البلاد العربية الاخرى اعني = واردد ما قلت = موقف الاخ من اخيه ..

« وبالنظر الى الوضع الجغرافي بين العراق وسوريا ولبنان ، فان الحكومة

ستهتم بتقوية العلاقات الاقتصادية المشتركة بين القطرين الشقيقين ، فضلا عن توثيق العلاقات السياسية »

وقال لخامته متحدثاً عن موقف حكومته من قضية فلسطين :

« ان الحكومة تعاضد بكل قواها ما جاء في برقية صاحب الجلالة الملك غازي الاول الى الشعب العربي الفلسطيني الكريم ، وهي مستمرة على مؤازرتها لهم لنيل حقوقهم « العادلة » .

وايد هذا القول بحرفيته معالي وزير الخارجية فقال : ان سياسة العراق نحو البلاد العربية هي سياسة مودة وصداقة وتعضيد ومساعدة سياسية حتى تتمكن هذه الامم من الوصول الى حريتها واستقلالها . . . »

فامام هذه التصريحات الرسمية الخطيرة ، وامام المساعي التي تبذلها الوزارة لتوطيد علاقاتها مع جاراتها العربية والشرقية ، وامام الرغبة الملحة التي تبدو في وزارة الخارجية العراقية لعقد حلف عربي مع المملكة الحجازية النجدية ولادخال مصر في عصبة الامم ، تعزيزاً منها للسياسة العربية العامة ، لا يسع القارىء الا الايمان معنا بان العراق مؤيد بكل قواه للسياسة العربية ، لانه يعلم ان في تأييدها تقوية له ، وتعزيزاً لسياسته . . .

. .

والواقع ان الحوادث الاخيرة التي وقعت في اسكندرونة ، وما اظهره الترك من رغبة في السيطرة على هذا القطر السوري قد اهاب بالاوساط الشعبية العراقية الى التفكير في وضع العراق الجغرافي ، والنظر بعين الاهتمام الى كل ما يجرى في الاقطار العربية الشقيقة ، وقد اصبح من الخطل الاهتمام بالمحالفات الاوروبية والاعتماد عليها للمساعدة الفعلية عند الطوارىء الحاسمة ، لان موقف

فرنسا من قضية اسكندرونة لم يكن موقفاً مرضياً ، ولا هو يساعد السوريين على الاعتماد على حكومة باريس فيما قد يقع من خصومات — لا تكون هي سبباً لها — بينها وبين جارتها تركيا في المستقبل

ويظهر لنا ان وزارة الخارجية العراقية ترى في جامعة الامم خير سبيل لتوطيد السلام العالمي ، فهي تعني بها عناية خاصة ، وتعمل في الوقت نفسه على زيادة عدد الحكومات العربية فيهـا تعزيزاً لمركز العرب ، وقد احدث كتابها الاخير الى سكرتيرية العصبة الذي تطلب فيه انضمام مصر الى الجامعة ضجة عظيمة في الاوساط السياسية العالمية ، وعدته الصحف الاوروبية فاتحة عهد جديد للسياسة الخارجية التي تسير عليها حكومة بغداد ، لانه في الوقت الذي نرى فيه بعض الدول تحـاول التملص من جنيف ، نرى العراق يعمل على تأييدها وتقويتها وهي خطوة حسنة ، وفكرة مباركة تشكر عليهـا حكومة بغداد كل الشكر .

. . .

[ناجي بك الاصيل]

اما وزير الخارجية العراقية الدكتور ناجي الاصيل فشخصية محبية هادئة متزنة ، طارت له شهرة في البلاد العربية ، وفشت له جهود جبـارة في سبيل تعزيز الاوضاع السياسية في العراق والاقطار الشقيقة المجاورة ، وهو من قدماء المشتغلين بالقضية العربية ، ومن المؤمنين بها ، ومن الذين عملوا في الماضي ولا يزالوا يعملون في الحاضر لتحقيق اهدافها وغاياتها .

سياسي ماهر ، ومفاوض لبق ، جم الثقافة واسع الاطلاع ، ينعم بهذه

الميزة التي يجب ان ينعم بها كل من يعمل في السياسة الخارجية ، وهي حسن اختيار الظروف للوصول الى الاغراض المطلوبة ، وقد زادته المناصب السياسية التي تقلدها ، والمفاوضات التي قام بها ، تجربة وخبرة ومرانا ، فاصبح من خيرة العاملين في حقل السياسة الخارجية في العراق والاقطار العربية .

وقد تلقى الدكتور ناجي الاصيل العلم في جامعة بيروت الاميركية ، وتخرج منها طبيباً في زمن الحرب العظمى ، فجنده الترك وارسلوه الى الحجاز وعاد بعد ما وضعت الحرب اوزارها الى العراق فقضى فيه مدة ، ثم رحل الى انكلترا لاعمال خاصة فكان ذلك اول اتصاله بالانكليز ورجال الانكليز

واختاره المغفور له الملك الحسين معتمداً له في لندن ، وانتدبه لعقد اتفاق مع الحكومة الانكليزية لتصفية العهود المقطوعة للعرب في زمن الحرب وتنظيم الصلات السياسية بين البلادين ، فدارت مفاوضات بينه وبين اللورد كرزون وزير الخارجية البريطانية يومئذ انتهت بوضع مشروع الاتفاق المعروف بمشروع الاصيل — كرزون ، فحمله في سنة ١٩٢٣ الى مكة فاستقبله الحسين بالحفاوة واعلن اغتباطه بما تم وارتياحه اليه ، وعدل فيه بعض التعديلات الجديدة وكلف مندوبه ان يحملها الى لندن وبدأت المفاوضات مع المستر مكدونلد رئيس الوزارة الجديدة — وكانت وزارة المحافظين قد دالت — للاتفاق على التعديلات ، وقبل الانتهاء منها هاجم النجديون الحجاز فتوقفت المفاوضات ، وكان من امر تلك الدولة ما يعرفه القراء .

وعاد الدكتور الاصيل بعد ذلك الى العراق فتقلد مناصب سياسة شتى فكان مديرا عاماً لوزارة الخارجية ، ووكيل وزارة ، وآخر منصب تقلده قبل ان يلي وزارة الخارجية هو منصب مدير التشريفات في البلاط الملكي

- ١٤ -

[٤] — اعمدة الاستقلال والحضارة

الجيش اجمل ثمرات النهضة العراقية

لم تكن حدود العراق مستقرة لما بدأ حيـاته كدولة سنة ١٩٢١ ، فقد كان الخطر محدقاً بالحدود التركية من الشمال ، وبالحدود النجدية من الجنوب ولم تكن الحدود العراقية السورية معينة ، كما ان العلاقات مع ايران لم تكن على ما يرام ، ولما كانت حدود العراق تكاد تبلغ الالفي ميل طولا ، ومعظمها في اراض منبسطة ما خلا الاقسام الشمالية والشمالية الشرقية منها فقد كانت مشكلة الدفاع صعبة شاقة

وبدأ العراق حياته كدولة والحاجة ماسة الى الجيش للدفاع عن الحدود والامن الداخلي ، لان العراق في الواقع من البلاد التي كانت تعج بالاضطرابات منذ عهد الدولة التركية ، وكان ابناء العشائر فيه لا يعرفون نظامـاً ، ولا يفرضون لسلطة وجوداً ، فكانت الحاجة والحالة هذه ماسة لحفظ الامن بين هذه القبائل ، ومنعها من الغزو ، وحفظ طرق المواصلات الداخلية من غزواتها وحملها على دفع الضرائب التي كانت بغيضة اليها . . .

ولذلك تقرر تأليف جيش وطني ، وجعل الخدمة فيه اختيارية واخذت الحكومة البريطانية على عاتقها مسؤولية حفظ الامن الداخلي ، والدفاع عن الحدود حتى يصبح العراق قادراً على القيام بهذه المسؤوليات بنفسه

واخذ عدد الجيش بالازدياد منذ ذلك الحين ، فاصبح في سنه ١٩٣١ لا يقل عن ثلاثة عشر الفاً، وهو اليوم لايقل عن العشرين الفاً، وتألفت في سنة ١٩٣١ قوة من الطيران وهي آخذة في الازدياد ، وازداد عدد الشرطة من ٢٦٢٥ في سنة ١٩٢١ الى ٧٩٩١ في سنة ١٩٣١ وبذلك اصبح العراق قادراً على حفظ الامن الداخلي ...

ولكن الحكومة العراقية رأت ان هذه القوات ليست كافية لحفظ كيانها ، فقررت مشروع الخدمة الاجبارية ، وقد اصبح هذا المشروع نافذاً من سنة ١٩٣٤

...



استمعت يوم كنت في العراق الى ضابط من ضباط الجيش العراقي يقول في حوار خاص بينه وبين صديق :

« ان جيشنا لا يزال فتيا وإن كان بين الجيوش الفتية من اقواها ، ولكنه يساوق بحسن تنظيمه اقدم الجيوش في الشرق ، ولئن كان عدده حتى الان قليلا نسبياً،وسلاحه ليس كما يجب له ان يكون ، فان الاقدام على التضحية يحل محل العدد، والايمان بحقنا في الحياة يجعل سلاحنا اقوى سلاح، وما يتحلى به شعبنا من حب الوطن يكفل لنا منه كل تأييدوتعضيد»

وكان الضابط شابا يتوقد حمية ويضطرم غيرة ووطنية .

ونحن في بحثنا هذا نريد ان نعرض في اول الامر الى هذه الجملة الاخيرة من حوار الضابط ، ونريد ان نبحث في السبل الجديدة التي تمكننا من خلق الروح العسكرية في الامم العربية الحاضرة ، لانه من المفروض في امم الشرق ان تتعاون في تعزيز دفاعها وتقوية سلاحها وتنظيم الخطط الحربية فيها لتتمكن من القيام بواجبها في حفظ كيانها الذي يتوقف عليه السلام العالمي ، ولتستطيع في الوقت نفسه ، ان تدافع عن نفسها وان تؤيد جيرانها اذا تعرض هؤلاء الجيران لخطر داهم وشر مستطير ...

واذا نظرنا الى الحرب الحديثة نرى انها اصبحت عملاً آليا يكاد يقتصر على ادارة الآلات والتزام الخنادق وتنفيذ الخطط الحربية بالاجماع والاتفاق ، والامم العربية في سوريا والعراق والجزيرة محتاجة الى نشأة جديدة تتسق مع الروح العسكرية الحاضرة ، فما كان منها بدوياً فهو يحتاج الى تربية حديثة غير التربية القديمة للانتفاع بشجاعته وصبره على الشظف والخشونة ، وما كان منها حضريا فهو لا يستفيد بالرجوع الى حالة البداوة والترحل ولا يتزود بما كان يتزود له آباؤه السابقون

...

ومن اللازم لاحياء الروح العسكرية في العصر الحاضر امور ثلاثة :

اولها — التدريب على احتمال الشدائد ورياضة الاعضاء .

وثانيها — النظام وما يقتضيه من الطاعة .

وثالثها — المثل الاعلى الذي في سبيله تهون الحياة ومن اجله تنهض الامم بالخسائر والضحايا والاعباء .

ولا بد ان يبدأ الاستعداد لذلك كله من اوائل ايام الطفولة ، فيراض

الطفل الصغير على الالعاب وينتظم في الفرق النظامية التي تتعود اتباع القواعد والقوانين ، ويتلقى المبادىء الوطنية الشريفة كما يتلقى مبادىء احترام شعور الغير ، وحقهم في الحياة الذي لاتناقض بينه في الحقيقة وبين حب الوطن والغيرة عليه والنقمة من اعدائه والرغبة في قتالهم اذا دعا الى ذلك داعي الوطنية والوطن …

ولما كانت الامم العربية الحاضرة لا ترغب في العدوان على احد ، وتريد السلام والانشاء والاعمار في اوطانها المختلفة ، فان من الواجب ان يكون المثل الاعلى عند هذه الامم شريفاً انسانياً رائعاً ، وعلينا ان نلقن ابناءنا مبادىء الوطنية الصادقة المستندة على احترام الغير ، وان نجعل العدوان منكراً لا نرضاه لانفسنا ولا نرضاه من احد علينا ، ونحن جميعا في الشرق العربي ضحايا العدوان وليس بيننا شعب واحد تقوم حياته على العدوان ، ومن بغى منا على جار من جيرانه فهو ادنى الى ان يبوء بالفشل والخسارة ، وان يكون اعتداؤه عدواناً قبيحاً على كل الامم العربية

ان احياء « الروح العسكرية » في الشرق العربي لا يكلفنا كما قدمنا بعثاً جديداً في الطبائع ، او تبديلا عنيفاً لحكم الوراثة ، وانما يكلفنا بث هذه النزعة من ايام الطفولة الباكرة ، وان نألف النظام فنتعلم منتظمين ، ونلعب منتظمين ، ونجتمع في المناسبات العامة منتظمين ، ولا نأنف من طاعة الرؤساء لانها في عرف النظام لا تختلف عن اصدار الامر الى المرؤوسين ، وان نزدان بمثل اعلى هو مثل الكرامة الوطنية ، الذي لا تناقض بينه في الحقيقة وبين الكرامة الانسانية ، ونحن بعد ذلك عسكريون اشرف واصلح ما يكون العسكريون من خدام الاوطان وخدام بني الانسان ….

وقد لمست في حديثي مع الفريق بكر صدقي باشا انه يؤمن بالجيش ايمانا عظيما وانه يعتقد كل الاعتقاد بضرورة تعزيزه وتقويته ليكون قوة دفاعية واداة سلام وامان في الشرق العربي كله ، وهو واثق من مقدرته وقدرة معالي وزير الدفاع عبد اللطيف نوري باشا وضباط الجيش العراقي على الوصول بالجيش الى حيث يريدونه له من قوة ونظام وسلاح ، ويسرني ان اقول ان هذا التفاؤل الجميل وهذا الامل الماتع يكاد يغمر كل افراد الجيش، فقد تسلل الى ضباطه وافراده هذا التفاؤل وهذا الامل، وقد استوثق هؤلاء الشباب من قدرتهم على الابداع والاحسان والدفاع عن ارض الوطن ، لما اطمئنوا الى اخلاص كبارهم ووطنية قوادهم ، ورغبتهم في العمل عصبة واحدة ليصبح الجيش العراقي اقوى جيش في الشرق العربي

وفي ضباط الجيش العراقي الحاضر قوة معنوية مدهشة، والمعنويات من اهم عناصر القوة في الجماعات المنظمة، ولقد شعرت وهم يتحدثون فيما بينهم ان في صدورهم يقيناً لا يقل في مضائه عن مضاء الاسلحة، وان في افئدتهم وطنية لا اعدو وجه الحق اذا قلت انها فياضة ، تحب الموت في سبيل الوطن، كما يحب غيرها الحياة ....

وكذلك خلق عبد اللطيف نوري وبكر صدقي الجيش العراقي خلقاً جديداً، فبثا فيه هذه الروح المعنوية الفياضة، وافضيا اليه بهذا الاطمئنان الى قدرته على الدفاع عن ارض الوطن ، بحيث استطيع القول ان في العراق جيشاً بصرف النظر عن عدده وسلاحه ، يؤمن بقدرته على الدفاع وقوته على الثبات في وجه كل عدوان .

ولا شك ان الجيش العراقي الحاضر هو اجمل ثمرة من ثمرات الاستقلال

والانقلاب الجديد ، واذا حق للعراق ان يفاخر بنهضته وهو محق ، فأن الجيش في طليعة هذه المفاخر

وقد حدث احد ضباط الفرسان : ان الكتائب التي كان يقودها في المناورات الاخيرة قطعت في زحفها الى بغداد مائة وستين ميلا في يومين وهي اعظم مسافة قطعها جيش راكب في العالم

..

لقد كان الحديث الذي دار بيني وبين بكر صدقي باشا ماتعا حقاً، افضى اليّ دولته فيه برأيه الصريح في السياسة التي يروم اقرارها في الجيش بالاتفاق مع معالي الفريق عبد اللطيف نوري باشا وزير الدفاع ، واركان الوزارة الحاضرة وتتلخص هذه السياسة في تخصيص مبلغ رحب في الموازنة لتعزيز الدفاع والاكثار من الاسلحة ، وزيادة سلاح الطيران واختيار ضباط الجيش من شباب العراق المثقف القوي النشيط ، وقد علمت منه انه يعني عناية خاصة بزيادة ضباط الجيش وتأليف فرق جديدة فيه ، ومن المنتظر ان تستغرق هذه الاعمال الجديدة والاصلاحات الضرورية عدة سنوات

والظاهر ان العناية بسلاح الطيران من الامور التي تؤمن الوزارة الحاضرة كل الايمان بضرورتها ، وقد ظهر لي من اهتمام بكر صدقي باشا في هذه الناحية ما يدل على انه يرغب في تعزيز الاسراب الحاضرة وزيادتها وتأمين الضباط والطيارات لها ، وقد نشطه ما رآه من اهتمام الشعب العراقي في تعزيز هذا السلاح ومن اسراعه في البذل والتضحية لتتمكن الوزارة من شراء الطيارات اللازمة بأسرع ما يكون من الوقت ، وقد كان جلالة الملك غازي اول من لبى داعي الوطن، فتفضل بمبلغ كبير من جيبه الخاص لتعزيز هذا السلاح وحذا

حذوه فخامة رئيس الوزارة وباقي الوزراء والقواد وكبار الموظفين والاعيان والنواب وجميع طبقات الشعب ، ومن المنتظر ان تتمكن الوزارة الحاضرة في وقت قصير من اقرار البرامج اللازمة التي تم درسها في وزارة الدفاع بحيث يصبح سلاح الطيران العراقي بعد قليل من حيث القوة والمضاء في المكان الارفع

واذا كنت آسف لشيء فلانني في زيارتي لمعالي وزير الدفاع النبيل لم اتمكن من بحث هذه النواحي العسكرية المختلفة معه كما بحثتها مع معالي بكر صدقي باشا رئيس اركان حرب الجيش العراقي ، وسبب ذلك انني ما كدت ابدأ حديثي حتى دلف الى الغرفة بعض الشخصيات الرسمية الاجنبية ، فرأيت من الواجب الاعتذار واستقبال الباب، ولكن معاليه لما سألته عن بكر صدقي باشا اخذ يحدثني عنه قائلاً : « هذا صديقي واخي » فعلمت انني اذا اجتمعت مع احدهما فكأنني اجتمعت الى الاخر، وايقنت ان ما سيحدثني بـه معالي الوزير لن يكون الا صورة طبق الاصل عن آراء رفيقه في الجهاد واخيه في الوطنية

ومن المؤكد ان مثل هذه الثقة المتبادلة بين شخصين يعملان سوية للدفاع عن ارض الوطن هي اجمل صورة للعراق الجديد ، وامتع دعاية للجيش العراقي . .

ولقد عرض بكر صدقي باشا في الحديث الذي دار بيني وبينه الى العلاقات العسكرية بين العراق وبريطانيا العظمى ، وحدثني بصراحة عن رغبة العراق الصادقة في دوام الاتفاق والعمل المشترك مع حليفته الكبرى ، وزاد ندى فبسط لي رأيه في التعاون العسكري المشترك ، وقال « ان انكلترا تحسن صنعاً في مساعدة العراق على تعزيز قواته العسكرية ، لانها بذلك تخدم نفسها

وتعزز سياستها في الشرق العربي وقد تستطيع مع الايام الاعتماد على الجيش العراقي لحفظ مواصلاتها ، ومصالحها في الهند وآسيا ، وتأمين اغراضها الاقتصادية ما كانت هذه الاغراض والمصالح لا تضر بالاستقلال العراقي ، واقتصاديات العراق . . . . »

وهذه التصريحات على جانب عظيم من الخطورة لانها تدل على رغبة الاوساط العسكرية في العراق بتوثيق العلاقات مع بريطانيا ، والاستفادة من هذه العلاقات لمصلحة الدولتين . . .

ويحسن بي ان اختم هذا القسم من البحث بوصف ما لمسته في حديثي مع فخامة حكمت سليمان رئيس الوزارة العراقية من رغبة اكيدة في تعزيز سلاح الجيش ، وزيادة عدده والاكثار من ضباطه ، وقد حدثني فخامته : ان مسألة زيادة عدد الضباط في الجيش قد اصبحت امراً مقرراً ، وان الدوائر العسكرية قد اخذت بالعناية في هذه الناحية عناية جدية ، ومن المنتظر ان لا يمر وقت قصير حتى يتسلم الضباط الجدد — الذين يتلقون العلوم العسكرية اليوم — وظائفهم في الجيش ، واما موقفه من سلاح الطيران فليس ادل عليه من ان ابهج ايام فخامته هو اليوم الذي تكثر فيه (الشيكات) الشعبية لتعزيز هذا السلاح ، وقد حدثني بعض المتصلين به انهم شاهدوه في صباح احد الايام الذي كثرت فيه التبرعات يكاد يبكي من شدة التأثر والسرور

وقد ذكرت هذه الظاهرة لانها من اجمل الصور التي علقت بخاطري في زيارتي الاخيرة للعراق . . .

. . .

[الفريق عبد اللطيف نوري باشا]

جم التواضع ، هادىء الحديث ، لطيف المعشر ، رصين القسمات ، شديد الاخلاص عظيم التضحية والوطنية

تلقى علومه العسكرية في مدرسة بغداد الحربية وتخرج منها والحق بخدمة الفيلق التركي المرابط بالعراق عند ابتداء الحرب العظمى ، وقاتل في المعارك الاولى التي دارت بين الانكليز والترك .

واعتقله الانكليز سنة ١٩١٥ وارسلوه الى الهند فظل فيها حتى اعلان الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦ فكان في مقدمة الرعيل من الضباط العرب الذين هرعوا للانضواء تحت لوائها وخوض غمراتها تحت راية المغفور له الملك الحسين لانقاذ العرب وتحرير بلادهم واحياء مجدهم ، والتحق عند وصوله الى الحجاز بالجيش الجنوبي الذي كان يقاتل بقيادة المغفور له الملك علي في منطقة رابغ ، ثم نقل الى الجيش الشرقي ، ولما انشيء الجيش الشمالي بقيادة المغفور له الملك فيصل للزحف على الشام كان في طليعة ضباطه وقواده فخاض المعامع والوقائع وواصل تقدمه منتصراً على الترك حتى دمشق فدخلها وواصل الزحف حتى حلب .

وعين القائد عبد اللطيف نوري بعد الفتح آمراً للواء الثالث في عمان وقائداً عسكريا لمقاطعة شرق الاردن ، وكانت يومئذ تابعة لحكومة الشام الفيصلية ، فقام باعباء هذا المنصب على افضل ما يرام ، وظل فيه حتى دخل الفرنسيون دمشق سنة ١٩٢٠ ، فغادر سوريا مع اخوانه الضباط العراقيين الى بغداد ليساهم في خدمة وطنه ، وانشاء دولته ، فكان اول منصب تقلده في الجيش الجديد منصب مدير الادارة والامور الذاتية في وزارة الدفاع ،

وما زال يتقلب في المناصب ، محسناً فيها الخدمة ، مخلصاً كل الاخلاص ، حتى بلغ ارقى الرتب العسكريه ، وكان آخر مناصبه ، منصب قائد الفرقة الاولى ومقرها بغداد .

[بكر صدقي باشا]

ما كان للثورة ان تكون هادئة باسمة ، فهي ابداً عابسة الوجه ، مقطّبة الجبين ، وهي ابداً مطوية الاضلاع على حنق يتوهج ، وضغن يتأجج ، وعزم يخبرك اليقين عن صلابة الصخر وبأس الحديد ، ولكنها في بكر صدقي باشا موفورة الهدوء ، مغمورة السكون ، ساكنة البسمات ، هادئة الخطرات ...

ثم هل اتاك خبر هذه القدرة الوقادة ، والفطنة الثائرة ، والذكاء اللامع والنفس المحلقة ، وهل نظرت السيف وكيف يقطع ، والنار وكيف تضطرم والموج وكيف يلتطم ، والسيل وكيف ينحدر ، والحديد حين لا يلين ولا ينكسر ، ام هل عرفت ما يسمونه الامر الواقع او القضاء ليس له دافع فان عرفت كل هذا فقد عرفت بكر صدقي في هدوئه واتزانه ، وفي ثورته ولمعانه

فيه طموح احسه في نفسي ، ولكني لا اقع على ما يزيده في وجهه ، يكلمك فتستشعر انه لا يحس بزهو وكبر ، كان متواضعاً حقاً في حواره وحديثه ، وكأنه القائد الباسل يعتقد النصر على العدو ويثق بقدرة جيوشه على المناجزة والمجالدة ، ولكنه لا يهمه اكان هو المنتصر ام كان سواه ، ما دام مجد هذا الانتصار سيتوزعه هو وجنوده ، وهؤلاء الشبان الذين خرجوا معه ليوسعوا دنيا العراق ، ويضيفوا اليها كل جديد وطريف ..

يؤمن بالقوة ، ويؤمن بأن البلاد العربية لن تعود الى سالف ايامها

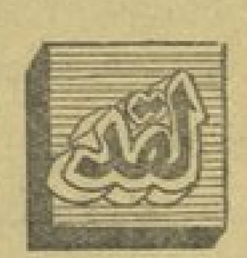
الزاهرة ولن توفق في الانشاء والحضارة ، الا اذا كانت قوية محترمة ، وهو يعتقد في نفسه القوة على ان يخلق في العراق جيشاً قوياً يحترمه جيرانه وتتكلف الاتفاق معه الدول المختلفة صاحبة المصالح القريبة من العراق وحدوده ، ولما فطن الى هذه القدرة في نفسه اصبحت له مثلاً اعلى ، فدخل الجيش وافضى اليه بكل خبرته واخلاصه وتضحياته ، وما هي الا سنوات حتى اصبح من كبار قواده ، ومن رجاله البارزين ، واذا هو يستوى في العراق قائداً له الشأن البليغ في اخماد ثورة الاشوريين ، وله في الانقلاب الاخير شؤون ، واذا السماء قد ادخرت هنه اخا العظائم وجبارها ، واذا قدرة الله قد كتبت له فصلا في كتاب الخالدين

حدثني فيما حدثني به عن الجيش ، وسعيه الملح لتقويته وتعزيزه ، فافاض في خطر الامر وخطورة العمل ، وافضى اليّ بما سيكون لهذا الجيش العربي الناشيء من اثر في توطيد الامن ، وتعزيز مركز العراق في الخارج ، وافاض في هذه الوحدة الثقافية التجارية الدفاعية التي يريدها بين العراق وجيرانه ، وما يرغب من تفاهم مع الانكليز والترك وايران والمملكة العربية السعودية ، وكيف ان الانكليز يحسنون صنعاً في مساعدة العراق على تقوية وسائل دفاعه بحيث يستطيعون الاعتماد عليه فيما اذا ادلهم الجو ، وثارت الخواطر ، ثم اشار الى هؤلاء الشباب الذين يؤلفون الجيش والذين اقسموا ان يكون العراق حراً طليقاً قويا ، يرسل النور الى ما حوله من الامصار والبلاد والى ما وراء هذه المدن والامصار والبلاد من صحراوات وانهر وبحار ، ويقوم بقسطه من الحضارة والتمدن والاعمار على الوجه الاكمل والاحسن ......

- ١٥ -

سيد شباب العرب

جلالة الملك غازي الاول



كنت اذكر فيما اذكره من عظمة صاحب الجلالة العراقية، موقفه من الفتنة الاشورية وكان ما يزال ولياً للعهد ، وصاحب الجلالة المغفور له فيصل الاول بعيد عن العراق، وهذا الامير اليافع الباسل نائبه ووكيله ، وتضطرب الايام ويتأزم الزمن ، ويفاجئه من الدهر هول غير منتظر ، وهو يحمل الامانتين، امانة الوطن، وامانة الوالد المليك، والزمن واقف يستنجزه الرأي ويرفع امامه طريقا ، ان سلكه اغضب الانكليز واثار فراعنة الغرب ، وان استقر به الرأي على غيره، كان للاشوريين ما يريدونه من تمزيق للعراق، واضعاف لقوته ، واستئثار بمصالحه ، وتجزئة لوحدته ، وينظر الناس الى هذا الامير الشاب يترقبون موقفه وهم يعلمون انه يحمل بيده سوطاً ان شاء طوق به اربعة

ملايين من العراقيين،وان شاء اهوى به على اقفية بضعة آلاف من الاشوريين

وكان ذلك يوماً أُمتحنت فيه القلوب، ونُصبت موازين الاخلاص، وقضى الدهر ان لا سبيل غير الخيار ، فاما ان يخرج غازي من الموقف وقد ارسل العراق حراً طليقاً، واما ان يرضى بالفتنة ويتقبل الانذار ، ويرضى بان يكون للاشوريين فوق ما لهم من حقوق ، فيكون هذا بدء التمزق ، ومقدمة الانهيار والخراب ...

وتعرف العربية من ادناها الى اقصاها موقف الشاب النبيل ، والامير الجري ، فقد اختار ارض الوطن ومصلحة الوطن قبلة ومصلى ، ولو كان في ذلك زوال العرش ، وانهيار التاج ...

فلما استقر به الرأي، امر جنوده بالايغال في مواطن الاشوريين، فاوغلوا فيها لا تمر بهم قرية عاصية الا زرفوا اليها ونزلوا بها ، ولا يتراءى لهم جبل الا ركبوا غاربه ، ولوحوا برايات العراق من فوق قننه وهضباته

وكذلك اراد ربك ان يبقى العراق حراً طليقاً ، واراد ان تظل لهذه الدولة الناشئة زعامتها الحقة على العربية ، واراد ايضاً ان لا يذهب فيصل اليه ، إلا وهو مطمئن الى نجاح ولي عهده ، وبره بشعبه ، وحبه لحريته واستقلاله ...

ومن المؤكد اليوم ان غازي الاول قد افضى الى العراق بكثير من الاخلاص والتضحية ، حتى يستثير ذكر اسمه هذا الابتهاج الرائع ، وهذا السرور الماتع الذي رأيت صوراً عنه في كل موطن نزلته ، وفي كل ناد استمعت الى حوار اهله وحديثهم ..

واذا كانت العراق لا تستطيع اليوم ان تدلي بزعامة العالم العربي ،

وهو ما تحاول مصر ان تنازعها به ، فان صاحب الجلالة غازي الاول يستطيع ان يدّعي زعامة شباب العرب ، ويستطيع الى هذا كله ان يدلي بماضيات ايامه وعظيم اخلاصه ، وجميل اعماله ، ومن المؤسف حقاً ان يسكت الكتاب الذين هبطوا العراق عن تصوير هذه الظاهرة الفذة ، فلا تحركهم خطورتها وجمالها الى تصويرها ، ولا تثير فيهم روعة البحث الى الاشارة اليها ، والتعليق عليها خصوصاً وغازي الاول هو اليوم، اجمل صورة للعراق الجديد .

لقد كان تاريخ العراق لسنوات خلت يكتب عرضاً في تاريخ الدول وذلك قبل ان تولى فيصل وغازي عرش الرافدين ، واما اليوم فقد تبدلت الايام ، وتغير الزمن ، وخُلق العراق خلقاً جديداً ، واذا هو يجدد عهود بغداد الزاهرة ، يوم كانت عاصمة العالم ، وشعلة الحضارة ، واذا شباب العراق يذكرون فيما يذكرونه ، انهم ماض ينبعث ، ومجد يستيقظ ، وامة تريد ان تستأنف بلاءها في جهاد الناس ، وتستعيد مكانتها في صدر الوجود .

***

والواقع ان الكاتب لا يستطيع ان يدرك سؤله من وصف هذا الشاب الذي لايشبه الملوك في ديموقراطيته ، وشعبيته ، وحبه للانشاء ، والاحسان والاصلاح والعمار ... بكثير ولا قليل

هذه بغداد تنام ضاحكة على دجلة ، وهذا جلالته يمشي في قلبها ، في سيارته وحده ، وفي شارع الرشيد الذي يعج ابداً بالناس ، واذا الناس عند مروره بينهم ، يشع في وجوههم السرور ، وتبدو في عيونهم موجة من الاكبار والاجلال ، ومن المؤكد انه ليس في طوق المؤرخ المعاصر ان ينقل الى جيله صورة دقيقة لهذا السرور الماتع ، الذي يغشي الناس عند مرور المليك

الشاب ، عند مرور (سيدنا) كما يقولون ، وكيف يستطيع من كان مثلي ان يصف كيف تستحيل هذه الجماعات التي كانت لدقائق خلت،تتدافع نحو اعمالها ، وتتزاحم نافرة الى مصالحها . كيف تستحيل في مثل خطفة الوميض الى جبال تتحرك وتهتز، وهي ضاحكة مستبشرة ، باسمة راضية ، رافعة اصواتها بنداءات مختلفة، ولكنها على تباين في اقوالها ، وتغاير في اعجابها، مجمعة كلها على الاعجاب والاكبار ، والسرور والاستبشار بالعهد الجديد ، والشباب الجديد ...

...

لقد اطلقت نظري نحو السماء، فتكشفت لي عن صحو ما الفته، ونسيم رقيق عذب ما تعودته، منذ وطأت قدماي هذه الارض الحافلة بالماضيات، الناعمة في جلالها وتقاليدها ، السابحة في نخيلها، الغارقة في مياهها ...

انا على كثب من مواطن الاسلام في اجمل صوره ، وامتع حضاراته وانضر ايامه ، على كثب من موطن الشمس ، ولكنني اليوم في شهر كانون الثاني واليوم قائظ ، والبرد شديد، ولكن السماء صافية فلا سحب ولا غيوم، فاذا تلفت يمنة او يسرة، ابتدرتني وجوه واحدة ، وسحن واحدة وصور واحدة، واخذني لباس تشابهت الوانه ، واختلفت مظاهره ، ولكنه لباس ينطق بلسان واحد وينبض عن قلب واحد ، فاذا امر المليك الشاب ، تسلل الى سمعك صوت ينبعث من الجميع : «يحيا مولانا — يحيا غازي» — فيهزك هذا الصوت ، وهذا الدعاء الذي وصل الى قلبك ، وانك لمفتون فيه ، مشغوف بالاعجاب به، محمول على ترديده ، واذا انت تهتف مع الهاتفين ، وتنادي مع المنادين ...

«يحيا مولانا» ، «يحيا غازي» ، ما اروع هذا النداء العذب ، حين يتصاعد من القلب وينطق به الفواد ، ويتسايل من هذه الصدور الشديدة القوية ، ويسيل من هذه القلوب المليئة بالتضحية والاخلاص ، يا شباب العرب ، ان امامنا المستقبل نشهده ونقسم ونحن على عتبته ، باننا سنجعل من هذا النداء مدناً تضحك للنعيم ، وسهولا كلها مغان ومزارع ونخيل واعناب . . .

. . .

انا بين يدي مولانا ، ما اجمل تحيته ، وما اكثر ديموقراطيته ، لقد خيل الي انني امام شقيق كريم ، لا بين يدي مليك عظيم ، سألني عن هؤلاء الشباب الذين تركتهم في مشارف الشام ، ينشئون الدنيا الجديدة ، وسألني عن هذا الجيل الجديد الذي تتفتح الدنيا امامه ، وسألني عن هذه المؤلفات التي اخرجتها للناس ، والتي قدمت لجلالته نخبة صالحة منها

ان تشجيعه يبعث في الحياة ، واني لاخرج من لدنه ، وقد خلقت خلقاً جديداً ، انه يبعث في القوة ، احملها معي الى شباب الشام ومرافي البحر ، اسألهم ان يكونوا عند حسن ظنه ورأيه ، فان فعلنا طويت لنا الارض ، وعقدنا ما بين المشرق والمغرب ، واردنا الشمس ان لا تعتزل امصارنا ، ولا تجفو صروحنا ، فنعيد عهد هارون الرشيد ، يوم صهر الاجيال التي سبقته ، وسبكها تاجاً خالداً على مفرق بغداد . . .

- ١٦ -

حكمت بك سليمان

رئيس الوزارة العراقية !



تقف الى البحر العظيم وهو مسترسل السكينة مستقر الهدوء ، له لجة نائمة ، وثورة مكنونة ، ومع ذلك يغشاك منه ما يغشاك ، لانك تعلم انه البحر ، وانه عالم وحده ...

وقد تقف الى الاسد فيغريك به ، سكون الكبرياء ، وجمود الذي لا يكترث لشيء من الاشياء ، ونظرة متواضعة ، وخطرة متراجعة وخطوة ينقلها الوقار ، وترسمها رزانة الجبار ، ولكنك مع ذلك تجد له في اعماق نفسك رهبة ومهابة لانك تعلم انه الاسد !!

طويل القامة معتدل الجسم ، منبسط الصدر ، هادىء الاعصاب ، ثابت الجنان ، جلي البيان ، قليل الكلام ، لطيف المنادرة ، حسن الاستماع ، ان اعتزم امراً امضاه الى غايته ، وان جزم بشيء سار فيه الى نهايته ، وفيه الى ذلك كله رقة ورحمة ، وفيه كرم وحسن موآتاة ، ثم فيه شدة وقوة ، يأخذ فيهما على خصمه المسالك ، بما يرفع من سيف الحجة القاطع ، وهو اشد الاسلحة

مضاء واثراً في سياسة اليوم واحداث الزمن

والذين يجتمعون الى حكمت سليمان يظنون فيه رجلا وادعاً ، هادئ الرياسة ، بطيء الحركة ، ولكنه في الواقع غير ذلك ، فهو في جملته معتدل في حركته وسعيه، معتدل في حديثه وحواره ، مقدام في انفاذ اغراضه ، جريء في اقرار رأيه، وليس ادل على ذلك من موقفه المشهور عهد الفتنة الاشورية — ويوم كان وزيراً للداخلية — فقد امضى رأيه في مقاومة الثوار حتى النهاية ، فانقذ العراق من فتنة ، ونجى الامة من محنة ، ثم غادر مكتبه لايلوي على شيء ، ولا يطلب من احد جزاءً ولا شكورا ..

وتسير الايام في سبيلها ، وفخامته بعيد عن الحكومة ، غريب عن المناصب العامة ويتداول على كراسي الحكم اشخاص، لا يحسنون عملا، ولا يوفقون الى خدمة، وكان اكثرهم اصحاب فكرة راكدة، وحزم فاتر وسياسة مائعة ... فيضطرب حبل الامن ، ويستوحش الناس ، ويذهب واحدهم يسأل رفيقه : « أليس في العراق رجال ؟ » حتى اذا تأزم الحال ، ووقع الانقلاب فزعوا اليه وسألوه العودة الى تولي الاحكام ، وقد خبروا في الماضي اخلاصه ووطنيته ، وجهاده ، وتضحيته ، فيعود اليها مكرهاً ، ولو خيروه لنبا عنها وتحول الى سواها ...

فيه جذوة ولكنها هادئة ، وفيه نار ولكنها صامتة ساكنة ، وفيه حرص على اسلاميته ، وعزة لقوميته ، ورغبة شديدة في ان يعود لهذا البلد سالف عهده ، وعظيم امجاده ...

. . .

كان حواري مع فخامته كأنضر ما سمعت في حياتي، فقد حدثني عن آماله

واغراضه ، وما يريده من اصلاح واحسان في مختلف المصالح العامـة ، ولم يعرض للانقلاب ، ولا افاض في الاخطاء السالفة ، وانما راح يبحث هذه الدنيا الجديدة التي يريدها امراً منظوراً في العراق الجديد

وكأني به وانا استمع اليه يقول : ارأيت الى امة تضحك لها الانهار والجبال ، ويربق الله على اديمها الخصب والامراع ، ويقول لها في سمائه : لقد وهبت لك ما انت في حاجة اليه لتوثيق بنيانك وتأثيل اركانك ، لتنشري امرك بين الناس ، وتجتمعي في وطن قوي ، وتتحدي في ارض تخرج نباتها كأنضر ما يكون واحسن ما يكون ، فلا تستغل ما افضى الله به اليها من خير ونعيم ، ولا تصطنع ذكاءها في الانشاء والاعمار ؟؟

ثم افاض يحاورني في الري والاصلاح الزراعي ومـا يرغبه من استثمار خيرات الارض باسرع ما يكون من الوقت ، واقل ما يكون من الكلفة ، وعرض للمعارف وما ستتكلفه حكومته في الايام المقبلة من بناء المدارس ، والاكثار من عدد الطلاب ، والاحسان في التعليم ، وبسط لي رأيه في تعزيز وسائل النقل وتعبيد الطرق ، ومد السكك الحديدية ، وتحدث عن الجيش وما يرغبه من تعزيزه وتقويته ، والاكثار من عدد ضباطه ، واصلاح سلاحه ومعداته ، فادركت اني امام رجل يعرف ما يريد ، ووقر في ذهني ان الاحسان والاعمار معلقان ابداً بمثله وان كان مثله قليل . .

ولم يكن حديث فخامته عن سياسة العراق الخارجية مـع جيرانه والاتفاق المنشود مع امم العرب المجاورة اقل نضرة من حديثه عن الاصلاح والاعمار ، فهو يؤمن بان البلاد العربية مجبرة على الاتفاق والتفاهم ، وانها لكي تأمن على حدودها من الضياع والغارات ، يجب ان تؤلف حلفاً سياسيا كبيراً

تنتظم فيه ايران وتركيا وسوريا والمملكة السعودية ، يقف صفاً واحداً في الدفاع عن ارض الوطن ، ومصالح الامم العربية الشرقية ، وهو في ايمانه هذا دائم التفكير في تحقيق هذه الناحية ، ولكنه لا يرى سبيلاً الى اقرارها وانفاذها ، إلا حين تصطنع كل امة من الامم العربية سياسة داخلية تطمئن معها الى انتظام امرها ، واستتباب السلام فيها ، وقيام كل فرد من سكانها بواجبه المقدس في التضحية والاخلاص والاعمار ، في سبيل الوطن وارض الوطن

. . .

وشباب العراق يبالغون في صمته وانه لا يأخذ باطراف الحديث الا قليلاً ، ولعل مرد ذلك انه دائم التفكير ، دائب العمل ، يفعل اكثر مما يقول ، ويعمل اكثر مما يتحدث ، ولكنه الى ذلك تعوزه موهبة التفجر بالقول ، على انه اذا ارتجلت عليه طارئة ، ارسل الكلام في ادق المواقف واحرجها سلساً نيراً ، يروعك برشاقته وتحرفه على كل ما لا يؤذن به للسياسي ورئيس الحكومة .

وهو الى ذلك مفخرة من مفاخر العراق ومعقل من معاقل العربية !

- ١٧ -

جعفر جلبي ابو التمن

وزير المالية العراقية



طويل القـامة دقيق الجسم ، باسم الثغر ابداً ، طروب كريم ، زينة الرجولة وفخر الفتوة والكهولة ، صحيفة بيضاء ، ووطنية غراء ، ووقدة من حب بلاده ما يزال يتحرق بها قلبه ، وجمرة من الغيظ على هذا الزمن الذي اساء الى امته ، ما يزال يجد منها الم الوجيعة ، ويحس بها حرّ الفجيعة ، والله الذي خلق له نفساً كبيرة ضخمة ، خلق له هـذا الجسم الطويل الكبير ، ولولا ذلك لارهقه التعب فيا تحاول نفسه من حياة للعراق لا يشوبها كدر ، ولا يغشيها نقص . . .

مخلص شديد التحرج في المصالح العـامة ، وطني قوي الشكيمة في المدافعة عن حق ضائع ، وعدل مساوب ، صعب الانقياد ، ما تستطيع وزارة ان تستقيم معه ، ولا جماعة ان تخالطه ، الا ان تؤمن برأيه وتدين بعقيدته . .

عزيز في عشيرته ، كبير في بلده ، مطاع في قومه ، شريف في خلقه واخلاقه .

ينعم في العراق بزعامة قوية ، وطدها اخلاصه ، وعززها تجافيه عن المصلحة

الخاصة ، وزهده في الرياء والملق ، واكباره للاخلاص ، وتقديره للتضحيات والمروآت وكريم الاعراق .

له حياة حافلة بالحوادث، مليئة بالوقائع، وله في تاريخ الوطنية صفحة يتلوها على الاجيال ، حمل لواء المعارضة منذ الاحتلال ، وخاض غمار السلبية السنوات الطوال العدد ، فلم تخالج نفسه ريبة في مستقبل قومه ، ولا امتدت يده الى مصلحة خاصة في كثير ولا قليل ، فلا عجب وهذه حاله ، ان يكبر شباب العراق اخلاصه ، وان يقدروا تضحياته ، وان يسيروا خلف هذه الشخصية التي تنساق الى رغبات الناس ، وتعمل لكل ما فيه خيرهم وصلاحهم ، لا فرق عندها بين كبير وصغير ، وغني وفقير ..

وانما يكبر الناس في الزعامة ان تتجرد من الكبر ومن الزهو ، وان تنساق الى رغبات المجموع حتى تفني شخصياتها في الجميع ..

..

والواقع ان السيد جعفر جلبي ابي التمن وزير المالية في الوزارة السليمانية من رجال التجارة البارزين ، ولعائلته في عالم التجارة شهرة واسعة ، وقد كان في اول امره تاجراً مقداماً وعاملا نشيطاً ولم يدخل معاليه معترك السياسة إلا قبيل الحرب العامة ، فلما كان الاحتلال ، كان اول مقاوم له ، محارب لمبادئه ومطالب باستقلال العراق والعربية ، وقد اشترك فعلاً في الثورة العراقية ضد الانكليز سنة (١٩٢٠) ولما اراد الانكليز اعتقاله اعتصم بالفرات ، وظل فيه حتى انتهت الثورة فسافر الى الحجاز ولم يعد منها الا بعد تنصيب فقيد العرب فيصل الاول ملكاً على العراق ، فعين في الوزارة النقيبية الاولى ، واستقال منها احتجاجا على معاهدة سنة (١٩٢٢) والف الحزب الوطني الذي كان من

ابرز اغراضه معارضة المعاهدة ، حتى ينال العراق استقلاله التـام ، وكان في معارضته هذه قوة جارفة ، وثورة مشتعلة، نخشي الانكليز ان تصاب مصالحهم في العراق بكثير من الانهيار،فنفوه الى جزيرة هنكام في خليج فارس، فاقام فيها شهرا ثم اطلقوا سراحه فعاد الى بغداد يستأنف اعماله السياسية ،ومعارضته الجارفة

وظل بعيدا عن الوزارات وكراسي الحكم يرفض ما يعرض عليه منها، ويأبى تأييد وزارة لا تساوقه في اغراضه الاستقلالية ، ومطالبه الاصلاحية حتى كان الانقلاب الذي كان من اكبر مؤيدوه ، فقلد وزارة المالية ، ليعمل فيها بما اتاه الله من قوة وزعامة لخدمة العراق ، وتعزيز العراق .

ومن المؤكد ان هذه الحياة التجارية العملية اول نشأته في الحياة هي التي مكنته من معرفة حاجات الفلاح وبؤسه وما ينـاله من عنت وايذاء ، وارهاق ، وكانت من الاسبـاب الاولى التي افضت اليه بضرورة الاصلاح الذي ينادي به ، ويصر عليه ويراه اساساً لتقدم العراق وازدهاره ، وهو الى ذلك ليس بمبتدع ولا مبتكر اذا ما اراد انصاف المظلوم ، والاحسان الى العامل والفقير والبائس ، فان الاسلام دين المساواة، ومحمد كان اول داعية للاصلاح والعدل والاحسان ، وهذه المبادئ هي مبادئ اسلامية اقرها الله وفرضها على عباده ، فمن حاول انفاذها ، فانما هو يهتدي بهدي الرسول المعظم ، ومن وقف في سبيلها فليس من الاسلام في شي ، لان الاسلام الحقيقي ليس في ان يولي المسلم وجهه قبل المشرق والمغرب ، وانما يكون في القيـام بفرائض الدين وايتاء الناس حقهم ، وانصاف البؤساء والفقراء والمساكين . . .

وانه لمن العبث وخطل الرأي ان يهاجم خصوم الوزارة القائمة اليوم في

العراق ، هذه الاصلاحات الاجتماعية التي ترغب الوزارة في اقرارها ، هذا اذا كان للوزارة خصوم حقاً ، وان يحاول بعضهم اتهامها بالشيوعية والاشتراكية ظناً منهم ان هذا مما يضعف مركزها ، ويحمل البلاد العربية على التنكر لها وقد غاب عنهم ان شباب العرب في كل موطن من مواطن العروبة يجاهدون للوصول الى هذه الاصلاحات التي تحاول الوزارة اقرارها ، وان وزارة حكمت سليمان قد وفقت توفيقاً عظيما في مضيها بهـا الى غاياتها ، وانها ستذهب بفخر الاجيال اذا وفقت الى اقرارها جميعها . . .

. . .

وانه ليعز علينا ، ونحن في زمن تطورت فيه الحياة تطوراً خطيراً جعل حصة الاسد للسابق السابق ، ان نظل مكاننا ضعفاء في كل مظاهر الحياة والوان العمل ، وان يمر بنا هذا الزمن الزاهر بتمدنه ، لا نترك فيه اثراً ،ولا نحدث ذكراً ، حتى اذا طوانا الدهر ونزل في منازلنا خلق جديد ، جهلوا اننـا سبقناهم الى هذه الدنيا لانهم لم يجدوا لنا فيها رسماً ، ولا اثراً . .

— ١٨ —

كامل بك الجادرجي

وزير المواصلات والاقتصاد



ثورة جارفة ، وزوبعة زاحفة !..

سمح الطبع ، رضـي النفس ، حلو الحديث ، كثير الحركات ، صعب المنادرة ، ينعم بعلم وفير ، وثقافة عريضة انتزعها من الكتب ، واستولى عليها من مختلف الصحف والاخبار ، ثم مضى يسيغها ويتكلف ترويضها ، فاذا هي شموس صعبة الانقياد ، واذا هو يحاول ترويضهـا وتذليلها لتصبح عربية ، لا شرقية ولا غربية ...

قوي الايمان بما يعتقد انه صواب وانه حق ، فيمضي يدافع عن رأيه بجواره وحركاته ، حتى يقرع الحجة ، ويصيب الهدف ، ولو كان في وجهه الناس اجمعون .

فتى عربي ملء بردته مجد ، يؤمن به شباب يرون ان يكون الوطن للجميع ، لا يستمتع به افراد ، ولا ينعم بخيراته جماعة من الناس ، فاذا ادلهم الخطب ، وثارت النفوس ، واضطربت الخواطر ، مشى اليه شباب لا يولون

وجوههم غيره ، يقدرون جرأته ، ويعتمدون على حسن رأيه ، وجميل احدوثته ومثل هذه الثقة قليل مثلها في العصبة من الرجال ، وهو لها مستحق وهي به خليقة .

لقد نذر شباب من العراق ان يعيشوا ، ونذروا ان يغالبوا الحياة ويكافحوا السحب ، ونذروا ان يناضلوا ويناضحوا ، وهم فيما يحاولونه من هذه الثورة الاجتماعية التي انطفأت انوارها في الشرق العربي منذ عهد الفاروق عمر بن الخطاب ، واجدوا في رجال هذه الوزارة القائمة ، رجال علم واخلاق ، وشباب ثقافة واخلاص ، اذا مشوا مشى النصر في ركابهم ، وان ساروا سارت الدنيا من خلفهم ومن قدامهم ، حتى يقرعوا ابواب تاريخهم السالف ، وحضارتهم الماضية ، يخلقونها خلقاً جديداً فيه جدة وثورة وحياة ...

***

وكامل بك الجادرجي وزير الاقتصاد والمواصلات ، كثير الشذوذ ، واعجب شذوذه ما اوقد الله له من ذكاء كأنه نار المجوس ، لا تفتأ متاججة ولا تبرح معبودة ، والناس ممن عرفوه يعطون هذا الذكاء ما تأخذ النار من تقديس وعبادة ، وناره هذه المحترقة ظاهرة في حواره ، بارزة في حديثه ، ونظرياته الاجتماعية ليست من التعقيد والغلو بقدر ما يظن بعض خصومه ، فهو على ما فهمت من حديثه ، يحاول الخير لبني وطنه جميعاً ، ويطلب رفع مستوى الحياة الاجتماعية العامة ، ويروم ان يتمتع جميع العراقيين بخيرات البلاد وخيرات العلم الحديث ، دون ما حرج ولا غلو ، ولا اضعاف للروح الوطنية ...

واما شعبيته فوطنية قومية عربية ، فيها شيء من ديموقراطية الفاروق العذبة ، وفيها كثير من اخلاص الامام علي عليه السلام ، ولقد اخذت معه

باطراف الحديث غير مرة فما التوى علي قصده ، ولا انكرت عروبته ، ولا وقعت على شي غريب في عقيدته ، يريد الخير للجميع ، ويطلب العدل والاحسان للجميع ، ويعتقد ان سيد العرب محمد وقد سير العرب احراراً في السياسة والحياة الاجتماعية والنظم الروحية ، لا يصح ان يقوم نفر ينادون باستعبادهم ، ويعمدون على ايذاء بني قومهم ، لا لسبب الا انهم ينعمون بالسلطان ويتلكون مقدرات الحكم ..

نحن شباب العرب ، الذين تبتسم الحياة لهم في كل موطن تشرق عليه شمس العربية ، نؤمن الايمان كله بان اغراق اقلية من اصحاب الاموال والاطيان في ايذاء العمال والفلاحين ليس من العدل في شيء ابداً ، وانه اذا كان لصاحب الارض وصاحب العمل حقوق ، فان لعماله مثل هذه الحقوق ، واذا كان للعامل واجبات ، فان على صاحب العمل مثل هذه الواجبات ، ومن اهم واجبات هذا ان يعلم ان الوطن لا يقوم به وحده ، وانما يقوم بكل ابنائه ، وان عليه ان ينظر اليهم بعين العدل والاحسان ، فلا يرهقهم في العمل ، ولا يؤذيهم في اجورهم ولا يعمل على افقارهم واستعبادهم ، ومن المؤكد انه متى عرف كل واحد منا حده ، وادرك واجباته ، فقد لا يكون الوقت الذي نرى فيه الشرق العربي يسير بخطوات سريعة الى حرياته التامة ، صفاً واحداً ، وجماعة واحدة ، بعيداً ...

سيقول الذين لا يؤمنون بما نفضت الرأي فيه من نظريات وآراء ، ان اصلاح هذه الجماعة المستثمرة مستحيل ، ووضع حد لمطامعها امر ليس في الطاقة ولا في الامكان ، وان المال ما يزال خير سبيل لتقدم صاحبه ، وتسلله الى المصالح العامة ، وقد يكون في هذا القول بعض الحقيقه ، ولكن الذي

اريد أن اقوله ، هو انه اذا استعصي علينا بلوغ القمم العالية ، فلا بأس من التفكير في السهول والوديان ، ومتى تم لنا ما نريده من تنظيم الجماعات الشعبية وجعلناها تشعر بان الارض ارضها ، والوطن لها ، وانها في دفاعها عن هذه الارض ، انما تدافع عن مصالحها وحرياتها ، فقد لا نجد كبير صعوبة في اقصاء كل عامل فاسد عن هذا المجتمع الذي نريده للجميع ، ونطلب ان يكون فيه لكل فرد – وفاقاً لانتاجه واحسانه – ماينعم به كل فرد آخر من خير ونعيم ، لا فرق في ذلك بين كبير وصغير ، وعظيم وحقير ...



- ١٩ -

يوسف ابراهيم آل عزالدين

وزير المعارف العراقية



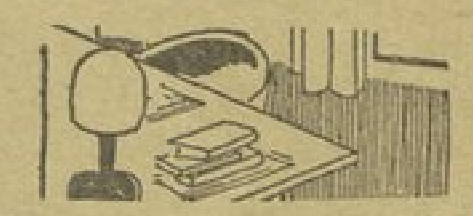
نفس وادعة ، وعقل حصيف ، وفكر رائق ، متحرج في وطنيته ، شديد في عقيدته ، معتدل الرأي في سياسته حرّ الضمير في افكاره ، جذاب في حديثه ، لطيف في معشره ، تسمعه فلا تدري اتطربك هذه الغنة في صوته، ام هذه البراعة في حجته ، ولكن اظهر مزاياه انه جذاب كالمغنطيس، فلو ان الدّ اعدائه جلس اليه ساعة — وليس له اعداء — لرجع مغرماً به ، متلمساً وجوه القول في الثناء عليه .

له سيرة حافلة بالتجديد والخدمة العامة ، وكل خدماته موصولة بالاباء والترفع والنزاهة ، فما علم عنه العراقيون افراطـاً في حزبية ، ولا تساهلاً في مصلحة وطنية ، ومثل هذا قليل في الناس ، عزيز في العصبة من الرجال .

وليس مجهولا ما افضى به هذاالوطني النبيل من خير واحسان الى مختلف

المعاهد الثقافية والدوائر المتعددة منذ توليه وزارة المعارف ، فقد بعثت روحه في النفوس نشوة من النشاط ، وخلقت وطنيته جواً ماتعاً من الاحسان والاعمار ، وسار حديثه وتاريخه مثلا اعلى للطلاب ، فتسابقوا الى تأثر خطواته ، وتسارعوا الى ارتشاف العلم في مختلف وجوهه واغراضه ، فاذا الارض غير الارض ، واذا المعارف غير المعارف ، واذ (دنياه) الثقافية وكأنها الربيع الاخضر . .

ومن المؤكد ان يوسف ابراهيم واصدقاؤه من اعضاء الوزارة السليمانية اول من رفعوا راية الديموقراطية في العراق ، وهم الذين نفخوها في روح الشباب ، واجروها في عروقهم ، فاصبحت اساساً لهذه السياسة العادلة التي تريد الوزارة الحاضرة اقرارها بين الناس ، تصل بذلك ما انقطع من ديموقراطية الاسلام الاولى ، وعدله الماتع السالف



— ٢٠ —

العدالة الاجتماعية

السياسة الشعبية في مصر والعراق



مكرم عبيد وزير المالية المصرية في خطابه عن الموازنة الذي القاه امام مجلس النواب في ١٧ مارس سنة ١٩٣٧ :

« ان الموازنة بين ميزانيات الطبقات المختلفة من الشعب ، امر انقسمت عليه المذاهب الاجتماعية ، واختلفت فيه الاراء علماً وعملا ، ولست اقصد الى مناقشة هذه المذاهب ، يميناً اتجهت او يساراً ، كما انى لا ارى مصلحة لمصر في الوقت الحاضر ان تندفع في تيار اي مذهب معين من هذه المذاهب ، وحسبنا اليوم ان نحقق المبادىء الاولى للعدالة الاجتماعية في بلادنا ...

ولكي يكون هناك توازن بين ميزانيات الطبقات المختلفة من الامة يجب فيما نرى ان تتوفر الشرائط الاتية :

اولا — يجب ان لا يكون هناك طبقة من الشعب في حالة من الفقر

المدقع ، الفقر الجائع ، الفقر الاسود ، الذي لا تتوافر معه الضروريات الاولى للحياة في بلد يعيش فيه الانسان معيشة جديرة ببني الانسان

وانكم لتعلمون ياحضرات النواب ان مثل هـذا الفقر المذري قد يوجد بين الافراد في البلاد المتمدنة ، اما في مصر فهناك طبقة باكملهـا من طبقات الشعب واية طبقة هي ؟ انها طبقة الفلاحين الذين يمثلون مجموع الشعب ، اولئك في مجموعهم يعانون فقراً مريعاً ومنوعاً — هو الفقر المادي الذي لا يجد ما يكفيه او يقيه ، والفقر الذي لا يجد من الوسائل الصحية مـا يحميه شر الامراض المتوطنة التي تضعف المقاومة الجثمانية والمقدرة على العمل ، والفقر الادبي الذي لا يجد من التعليم والتهذيب معنى يجعل من الحياة المادية شيئـاً معنوياً يسمو بالعقل عن مستوى الحقل ! .

ولقد راعينا في مشروع ميزانيتنا حالة الفلاح المسكين فوجهنـا جل الاهتمام الى مشاريع الري والصرف التي ينتفع بها الفلاح بوجه خاص وتهون عليه بعض فقره ، وادرجنـا لهذا الغرض مبلغ ٦٠٠٬٠٠٠ ج م زيادة عن اعتماد السنة الماضية ، وكذلك ادرجنا للاعمال الصحية التي تقيه شر المرض اعتماداً يزيد على الاعتمادات المـاضية بمبلغ ١٢١٬٠٠٠ ج م وادرجنا لرفع مستوى القرية وتطهير مياه الشرب وردم المستنقعات الخ مبلغ ٤٦٥٬٠٠٠ ج م وللتعليم الاولى مبلغاً يزيد على السنة الماضية ما يقرب من ٩٤٬٠٠٠ ج م

« ثانياً — اذا كان واجبنا الاول ان نعمل على شتى الوسائل على محو عار هذا الفقر المتشعب المتغلغل في طبقة الفلاحين المصريين فان واجبنا الثاني أن نعمل بقدر الطاقة على ان لا يكون التفاوت عظيما بـين الطبقات المختلفة في مستوى المعيشة ، بغض النظر عن مقدار الثروة

ولسنا هنا في صدد توزيع الثروة — فهو ما لا شأن لنا به ولا مصلحه فيه كما اشرنا — ولكن واجب الدولة ان تعمل على تعميم الرخاء بين طبقات الشعب المختلفة ، بحيث يكون هناك توزيع للرخاء دون الثراء.

« فمن واجب الدولة مثلاً ان تعمل على ايجاد التوازن او التناسب في مستوى المعيشة بين الموظفين والاهلين ، كما ان عليها ان تحتفظ بهذا المستوى النسبي بين الموظفين وبعضهم ، وبين الاهلين وبعضهم ، بل وبين الاهلين وغيرهم من سكان البلاد

« ويدخل تحت هذا الباب واجب الدولة ازاء مشكلة المتعلمين والعاطلين فان عليها ان تعني بامرهم الى اقصى حد مستطاع اذا لم تشأ ان تخلق في مصر طبقة جديدة تعاني الفقر والحاجة بين المتعلمين ، اسوة بتلك التي يضنيها البؤس بين الفلاحين مع الفارق الخطير بين الفريقين ، وهو ان المتعلمين اذا ما حرموا متاع الحياة الدنيا بعد اذ فتح العلم اعينهم على ما تشتمله ، بل وما تحتمله الحياة من متعة وملذات ، فانهم قد يتحملون نافرين ، ما يتحمله غيرهم صابرين وليس مثل النفور والتبرم مصدراً للقلق وعدم الاستقرار !

« لست اشك في انه اذا ما افلح نظامنا الدستوري في تحقيق هذه الموازنة بين طبقات الامة المختلفة كان لنا فيها ما يغنينا عن مساوي الانقلابات الاجتماعية وامكننا ان نتفادى او في القليل ان نلطف حدة النزاع بين الرأسمالية والاشتراكية وما اليها من مذاهب مختلفة ومتطرفة

« ومما هو جدير بالملاحظة ان هذه الموازنة الاجتماعية تتطلب تعاوناً وتضافراً من جميع ما في الدولة من عناصر وقوى مالية كانت او غير مالية للوصول بها في اقرب وقت ممكن الى اعلى مستوى ممكن — واذا ما اشرنا

الى الممكن فلأن الكمال فوق طوق الرجال — ولكن لما كان التوازن المالي هو المظهر العملي الملموس لهذا التوازن الاجتماعي ، فقد حق علينا حكومة وبرلماناً ان نسأل انفسنا عند بحث كل ميزانية الى اي حد افلحنا في تحقيق هذا التوازن بين طبقات الامة على اختلافها وما من شك ان كل خطوة نخطوها في هذا السبيل ستدنو بنا الى الغرض الاسمى الذي ينشده الاجتماعيون والاقتصاديون واعني به التعاون والتآخي بين الطبقات ، او السلام الاجتماعي الذي لا يتحقق دونه سلام سياسي !

« ولا يفوتنا في هذا الصدد ان نبين ان من اهم عوامل الموازنة الاجتماعية ان توزع الضرائب توزيعاً عادلا بين طبقات الامة من جهة ، وبين المصريين وضيوفهم الاجانب من جهة اخرى ، بحيث لا يكون هناك تمييز او اجحاف بل توازن في الاعباء ، وتعادل امام عدالة القانون »

...

تبسطنا في نقل هذه الفقرات الرائعة من خطاب الوزير الوطني المصري لنبين : اولهما : اطلاع شباب العراق وسوريا وفلسطين على الاهداف الاجتماعية التي يجب ان تعني بها كل امة تريد ان تكون حرة وتريد ان تأخذ مكانها في صدر الوجود

وثانيهما : التنويه بفضل الحكومة السليمانية في العراق لانها قد استبقت مصر في هذه الاهداف الاجتماعية ، واعلنت عزمها على تحقيقها واقرارها ليسود السلام بين سكان العراق ويعم العدل بين الجميع ..

ولكن الذي يستلفت النظر ويستدعي الفكرة هو انه بينما تقوم مصر باذاعة هذه المشاريع الاجتماعية الخطيرة ، وبينما تذهب الوزارة المصرية

بفخرها ، فتشكر لها مصر موقفها ، وتثني الصحف على خطتها ، يقوم بعض اعداء العراق يتهمون الوزارة العراقية الحاضرة بالشيوعية لانها تحاول هذه العدالة الاجتماعية وتسعى اليها ، وتعمل على اقرارها وانفاذها ، وهذه ظاهرة مخجلة اقل ما يقال فيها انها بعيدة عن الوطنية ، غريبة عن الاخلاص والمصلحة العامة .

وليس يهمنا ان ندافع عن الوزارة العراقية ، لان اعمالها في الواقع هي خير جواب لهذه التهم التي يحاول بعضهم الصاقها بها ، ومن غريب امر هذه الفئة المعارضة القليلة انها لا تهاجم الوزارة الا في مشاريعها الاجتماعية ، الرائعة الجميلة ، ولو كانت المعارضة مخلصة لولت وجوهها غير هذه الناحية ، لان الوزارة لا تهاجم من هذه الجهة ، ولأن شباب العرب في مختلف اقطارهم يؤيدونها ويعضدونها ، وكان من الحق بعد هذا ان يعلم اعداء العراق ان هذه الشوائع التي يبثونها تهويش وتضليل ، وان هذه الاراجيف هراء وسخافة ، وان احدا من الشباب العربي المخلص لن يؤيدهم في حملتهم هذه ، ولكن حقدهم قد اعماهم ، فهم ماضون في ضلالتهم مغرقون في تهويشهم ، وقد فشلوا الى الان ، ونؤكد لهم انهم سيفشلون فيما حاولوا وفيما سيحاولون من افساد الحقائق ، وطمس العدالة ، فالمخلصون للعروبة مهما تختلف آراؤهم واهواؤهم وميولهم يد واحدة على ازالة هذا الفساد ومحو اثاره . . .

. . .

وبعد فقد تقدمت الى القارىء بفقر من خطاب وزير المالية المصرية الذي بسط فيه سياسة حكومته الجديدة الشعبية ، ونظن اننا نحسن صنعاً ، اذا نقلنا الى القارىء فقراً من احاديث وزير المالية العراقية ، ليقارن القارىء بين

السياسيين، وليعلم ان الفكرة الشعبية او السياسة الاجتماعية هي اشرف ما تسعى اليها حكومة تحترم نفسها ، وتريد الخير والاحسان لجميع افراد شعبها .

قال معالي جعفر جلبي ابو التمن في حديث له في بغداد مع الاستاذ امين سعيد في اواخر شهر مارس ١٩٣٧ :

«يعاني الفلاح العراقي عنتاً وارهاقاً كبيرين ويعامله اصحاب الاقطاع من متنفذي البلاد وزعمائها معاملة تفضلها معاملتهم لغير الانسان ، وهذا ايضاً شأن الكثير من اصحاب الاعمال مع العامل العراقي اذ يستخدمونه مدة تتراوح بين ٩ و ١٢ ساعة في اليوم باجور قد تكون بخسة وزهيدة بالنسبة لاتعابه ، ولما كنت بحكم نشأتي ميالاً الى انصاف الضعفاء والمظلومين والاخذ بايديهم بقدر ما استطيع ، ولما كنت لم اوصد بابي في وجه كل طارق وقاصد وخصوصاً الفقراء والضعفاء ، ولم اكتم رغبتي الاكيدة في ضرورة تحسين العامل وددت بان لا يعمل في اليوم الواحد اكثر من ٨ ساعات في بعض الاعمال و ٩ ساعات على الاكثر في الاعمال الاخرى مع تحسين اجوره ، كما طلبت بانصاف الفلاح ووضع حد لنفوذ اصحاب الاقطاع ، فكبر ذلك عند البعض ففسروا هذه الميول لي ولاخواني الذين تؤلمهم حالة السواد الاعظم من ابناء البلاد بانها ميول شيوعية ولا شيوعية هنالك ، على انه اذا كان السعي للاصلاح ولانصاف المظلومين والضعفاء وتحقيق العدل بين ابناء البلاد وهذه كلها من المبادىء التي تقرها الشريعة الاسلامية والتي اتشرف باعتناقها يعد من الشيوعية فاللهم اجعلنا من الشيوعيين ..

« ولقد فات هؤلاء انني بحكم اشتغالي بالتجارة والشؤون المالية وبصفتي من اصحاب الاملاك لا يتصور ان اميل الى الشيوعية (وذكر معاليه بعض رجال

الوزارة وقال انهم من اصحاب الاطيان والمزارع الواسعة) فليس من الصحيح والحالة هذه ان يكونوا شيوعيين، ولكنها اراجيف يرجفون بها ، وعلة ذلك رغبة الوزارة في اصلاح الفلاح والعامل ، وتقليم نفوذ اصحاب الاقطاع والممتلكات الواسعة فان من بينهم من يتصرف او من يملك من المساحات ما يعد بمئات الالوف من الدونمات او ما يعادل مساحة سويسرة ...

« وتختلف حالة الممتلكات العقارية في العراق عنها في مصر فلكل لواء « متصرفية » عندنا حالة تختلف عن جاره ، ونظم وعادات لا تتفق مع النظم والعادات السائدة في المناطق الاخرى ، فحالة لواء العمارة مثلاً هي غير حالة لواء الديوانية وحالة هذه هي غير حالة لواء المنتفق ، ونحن شارعون في معالجة حالة كل لواء بما يناسبه وعاملون تدريجاً على ادخال الاصلاح الجديد بدون ضجيج ولا ارهاق

« وقد الفنا لجنة في وزارة المالية قوامها ثلاثة اعضاء من رجال الادارة والمال للنظر في حالة اراضي لواء العمارة حيث يزرع الارز بكثرة وحيث يعامل الفلاح معاملة لا اظن انه يعامل بشر منها في قطر من اقطار العالم ، وتوالي اللجنة الاجتماع ونرجو ان توفق بهذه الواسطة الى ادراك افضل النتائج

« اما في لواء الديوانية حيث توجد بعض اراض غير موزعة توزيعاً مناسباً والبعض غير معمور ، فقد شرعنا في تنفيذ طائفة من مشروعات الري لاعمار وتحسين الزراعة فيها ورفع مستواها ، ويعمل اليوم مئات من الفلاحين باجور مناسبة في شق الجداول وفتح الترع فنوجد من جهة اعمالاً لمن لا عمل له ونساعد من الجهة الاخرى على تحسين حالة الزراعة

«والحالة في لواء المنتفق تختلف كثيراً عن الحالة في اللوائين السابقين فمعظم

الاراضي في هذا اللواء ملك اسرة واحدة وقد شرعنا في معالجة هذه الحالة بما يكفل اصلاحها بطريق المبادلة

« وقررنا توزيع اراضي ابي غريب على الفلاحين الذين جعجعت بهم احداث السياسة الاخيرة . وسنقطع كل اسرة مؤلفة من زوجين واولاد مائة « فدان » بدون ثمن، وتزيد هذه المساحة لاصحاب العائلات الكبيرة وقد نضاعفها للشيوخ والرؤساء. ولما كان مشروع اراضي ابي غريب قد قارب الانتهاء واللجنة التي تولت مهمة التوزيع تكاد تفرغ من مهمتها فستشرع قريباً في اسكان من شملهم التوزيع وفي طليعتهم القبيلة المعروفة بزوبع ..

« ولن نبني بيوتاً لهؤلاء الفلاحين في الوقت الحاضر لاننا شارعون في تطبيق مشروع انشاء قرى عصرية، وسيتم انشاء القرية الاولى قريباً في جوار بغداد ثم يتوالى ذلك قريباً وبالتدريج

« وسننشأ ايضاً في كل قرية من القرى العصرية الجديدة جمعية تعاونية لانقاذ الفلاحين من ظلم المرابين وتحسين حالتهم الاقتصادية

«وهناك مشروعات اخرى لتحسين حالة الفلاحين ورفع مستواهم وتحديد نفوذ اصحاب الاقطاع ونحن كما قلت ، نعمل بهدوء وسكينة بالاتفاق في معظم الاحيان مع المشايخ الذين يدركون بانه لم يعد في الامكان التمسك بالعادات القديمة، واننا لنرجو ان نوفق بهذه الوسيلة الى ترقية الزراعة ورفع مستوى الانتاج الوطني وزيادة الثروة العامة »

انتهى حديث الوزير

. . .

هذا ما رأينا اختياره من تصريحات معالي وزير المالية العراقية ، وهي كما يرى القارئ تساوق تصريحات الوزير المصري وتؤكد رغبة الحكومة العراقية في توفير الخير والرفاهية للفلاح والعامل الذين لا تقوم امة ولا ينهض شعب بدون جهودهم ونشاطهم !..

ومما يصار الى ذكره بهذه المناسبة هو ان بيان وزير المالية وما سبق وافضى به رئيس الوزارة العراقية من تصريحات قبلاً واشرنا اليها في غير مكان من هذا الكتاب هي اكثر تبسطاً، وانفذ الى لباب الموضوع من بيانات الوزير المصري التي يصح ان يقال انها مقدمة لتشريع جديد تحاول الوزارة المصرية الحاضرة اقراره في هذا العام .

وعلى ذكر العمال نقول ان رئيس الوزارة العراقية بصفته وزيرا للداخلية ايضاً قد عالج مسألة العمال بطريقة عملية حاسمة ، فاصدر قراراً بالاتفاق مع مجلس الوزراء على تحديد ساعات العمل ، ومنح العمال اجورهم في نهاية كل اسبوع ، كما اقر حقهم في التمتع بالعطل الرسمية والاجازات الاعتيادية والمرضية .

ومن المؤكد ان هذا التشريع الجديد بمكان من الخطورة عظيم ، بحيث نرى من الحكمة نشره في هذا الكتاب ليكون اساساً لكل تشريع جديد من نوعه في البلاد العربية .

تحديد ساعات العمل

«قرر مجلس الوزراء ان تكون ساعات العمل في المشاريع الصناعية كافة كما يلي :

العمال غير الماهرين المشتغلين في الحقول النفطية ٨ ساعات

عمال الضخ والتصفية والحفر وسائر الاعمال الاخرى في تلك الحقول ٨ ساعات

الصناعات الكيماوية ٨ ساعات

الاعمال الانشائية كافة (البناء والهندسة) ٩ ساعات .

اعمال النجارة بما فيها قطع الاخشاب في الاحراج والغابات ٩ ساعات

الطباعة ٨ ساعات

النسيج ٩ ساعات

صناعة الاحذية بما فيها صناعة الجلود بكامل انواعها ٨ ساعات

صناعة التبغ والسكاير ٨ ساعات

الصناعات النقلية كسوق القاطرات والمضخات ومراقبة المولدات وكافة الاعمال الكهربائية وسياقة سيارات الحمل ٨ ساعات

التحميل وتوزيع البضائع ٨ ساعات

العمل في مناجم المعادن ومقالع الاحجار بما فيه التنقيب عن الآثار القديمة ٨ ساعات

كافة الاعمال الاخرى ٨ ساعات

وعليه فيقتضي اتباع ذلك من قبل كافة المشاريع الصناعية اعتباراً من اول نيسان سنة ١٩٣٧ على ان تظل مرعية الاجراء حتى نهاية اذار سنة ١٩٣٨

وزير الداخلية

دفع الرواتب

نحيلكم الى المادة الثالثة من قانون العمال التي بحثت عن عطلات

العمال واجبي العمل بموجبها وفق الايضاحات التالية :

١ — كل عامل يشتغل لديكم مدة ستة ايام متوالية يقتضي ان تدفعوا له اجرته عن اليوم السابع الذي يكون بمثابة عطلته الاسبوعية

٢ — كل عامل يشتغل براتب شهري او يمضي مدة لا تقل عن الشهر الواحد في عمله الواحد فله ان يتمتع باجور كافة العطلات الرسمية التي تدخل ضمن الشهر المذكور

٣ — يتمتع العامل باجازته الاعتيادية والمرضية المنصوص عليها في الفقرتين الثانية والثالثة من المادة المشار اليها وذلك علاوة على العطلات الرسمية والاسبوعية المبحوث عنها اعلاه

وزير الداخلية

العمال الاحداث

نلاحظ باسف شديد بان بعض المشاريع الصناعية لا زالت تستخدم عدداً غير قليل من العمال الاحداث الذين تقل اعمارهم عن الاثني عشر عاماً الامر الذي يخالف تمام المخالفة الفقرة الاولى من المادة الرابعة من قانون العمال رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٦

وعليه فان هذه الوزارة سوف تتخذ التدابير القانونية المصرحة في المادة السابعة والثلاثين من القانون

وزير الداخلية

. . .

اما القول بان في العراق شيوعية ، وان هناك صحفاً تدعو لهذا المذهب

وتحبذه ، فقول بعيد عن الحقيقة غريب عن الواقع ...

لقد اجتمعت خلال اقامتي في بغداد الى كثير من الشباب ، والى اكثر ارباب الصحف ، واقصى ما لمسته في هؤلاء الشباب وهذه الصحف ، هـذه الرغبة الملحة في الاصلاح الاجتماعي الذي تدعو اليه مصر ، وينادي به وزير ماليتها على منبر مجلس النواب ، فاذا كان الاصلاح الاجتماعي ورفع مستوى العمال والفلاحين ليعيشوا كما يعيش الناس لا كما تعيش البهائم ، يدعى الشيوعية فانا اول محبذ لهذه الشيوعية ، والاسلام اول داع لهذه العقيدة .

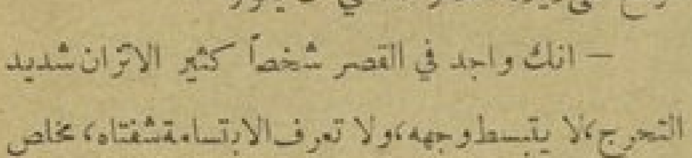
***

وانه ليسرني ان اختم هذا الفصل بالاشادة بفضل نائبين محترمين هما من خيرة شباب العراق اخلاصاً ووطنية وثقافة ، واريد بهما الاستاذ عبد القادر اسماعيل صاحب جريدة الاهالي ، والاستاذ مكي جميل صاحب الحارس ، والاول فريد في اخلاصه ووطنيته ، ورقة جانبه ، وحبه للخير والاحسان ، والثـاني ثورة جارفة ، وزوبعة وطنية ، وكلاهما حمـلا لواء الشعبية في القطر الشقيق منذ سنوات ومـا يزالان يحملانه حتى الان ، ومن حق شباب العرب ان يقدروا اخلاصهما وتضحيتهما في سبيل هذه الجمـاعة المجاهدة البائسة من العمـال والفلاحين ، والله الذي خلق لهما هذه النفس الرضية المخلصة ، خلق لهما ايضاً هذا الجو الشعبي الجميل ، ينظران فيه الى نجـاح جهودهما ، وانتصار دعوتهـما ، ونفاذها الى مختلف المواطن في الجزيرة من ادناها الى اقصاها ...

ومن المؤكد ان نجاحهما في الانتخابات الاخيرة وفوزهما في النيابة هو بعض ما يستحقان جزاء اخلاصهما وتضحيتهما ، وان كانا من الشباب الذين لا يطلبون جزاء ولا شكوراً في سبيل الوطن وارض الوطن ...

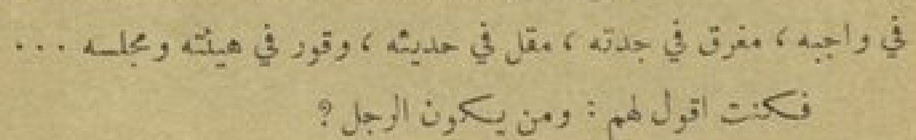
- ٢١ -

ابراهيم بك كمال



من عادة نفر من اصدقائي في بغداد — لما عرفوا باني مزمع على زيارة القصر الملكي ان يقولوا :

— انك واجد في القصر شخصاً كثير الاتزان شديد التحرج، لا يتبسط وجهه، ولا تعرف الابتسامة شفتاه، مخلص في واجبه ، مغرق في جدته ، مقل في حديثه ، وقور في هيئته ومجلسه . . .



فكنت اقول لهم : ومن يكون الرجل ؟

فيقولون : ابراهيم بك كمال رئيس الديوان الملكي وسكرتير صاحب الجلالة الخاص

•

ومضت ايام على حوارنا هذا ثم جاء الوقت الذي استقبلت فيه باب القصر ، فما دلفت اليه ، حتى تملكتني الهيبة ، وغمرتني سحابة من القلق شديد فاخذت انقل الخطى في كثير من التريث ، وكان يحزنني ان انصرف من القصر ولا اوفق في اجتماعي مع رئيس الديوان ، بعد ان حدثوني عن اتزانه وجموده ما اخافني وافزعني ، وكان يدور في خلدي اني غير ملاق عنده هذه الابتسامة المرحة، التي تذهب بما يثقل صدر الزائر — لاول مرة — من قلق

واضطراب

ودلفت الى مكتب معالي رئيس الديوان في شيء من القلق كثير ، ما ادري اذا كان بادياً على وجهي ، ولكنه كان ثقيلاً على صدري ، فاعتورتني عند دخولي الدهشة ، وانساني جميل اللقاء طريف القلق ، فبهت ، واستعصى عليّ الكلام ثوان معدودات ، ثم ما لبثت ان تنبهت الى ان ابراهيم كمال على غير ما يظنون ، وانه في الواقع جميل المحضر لطيف المعشر ، نبيل البسمات رقيق الخطرات ، وان ما يحتويه من إتزان ليس غير غشاوة رقيقة لما في قلبه من نبل وكريم اعراق ...

واذا كان الذين تحدثوا اليّ عن رئيس الديوان قد وفقوا بعض التوفيق في تصوير مظاهره الاولى ، فانهم من ناحية اخرى قد وفقوا كل التوفيق في حوارهم عن ثقافته وعلمه واخلاصه ، فقد فشا حديث نبله في مختلف الاندية ، ومشى بخبر ثقافته الكبير والصغير ، واجمع الناس على بياض صحيفته ، ومشهور عفته ، وعظيم خلقه ، ومضاء رأيه ، وحسن نقيبته

نفس كبيرة ، وعقل حصيف ، وفكر نيّر ، تناولته احداث الزمن في عمله السياسي ايام المعارضة في مجلس النواب الاول ، فوفى واجبات النيابة ، ورعى حقوق منتخبيه وعمل في مختلف الوظائف واحسن في كل المناصب ، هادي الجأش يصمد لاحداث الزمن ، ما يكترث ولا يضطرب ، وكذلك تكون مواقف الرجال في ساعات الشدة ، ومواقف الابطال في مواطن الكر والفر ..

وهو الى هذا كله محبوب في العراق طوله وعرضه ، هذا مع عدم اختلاطه بالناس إلا على قدر ، ومرد ذلك ما اشتهر عنه من الاخلاص والصدق

فما يذكر احد عنه انه مشى الى سياسة خاصة ، او دلف الى منفعة ظاهرة ، ثم هو لا يواري ولا يحابي ، ولا يصانع ولا يتصانع ، عزيز النفس ، غزير التفكير يحلق في حواره تحليقاً يستفزك ويستثيرك ، غزارة علم ، ومتانة حجة ، وقوة بيان ..

راجح العقل سديد الرأي ، ناقد لا يُخطىء سهمه ، يرمي في كل بحث ويبدع في كل حديث ، كفوء فيما تلقي عليه الايام من عمل ، قوي في ما يكلف به من رئاسات ومناصب ، شغل كثيراً من الوظائف العالية ، وفاز فيها جميعاً ..

وهو الى ذلك من اعمق العراقيين ضميراً ، ومن يدري فقد يكون قد اخذ نفسه وهو شاب بالمران على اخفاء نياته ، بحيث لا تفصح معارف وجهه على ما في قرارة نفسه ، ولكنه الى هذا من ارق الناس شعوراً ، والطفهم معشراً ، واحلاهم شمائلاً ، واكرمهم رفداً ..

وهو بعد لا يزال في اول نشأته ، وفجر شبابه ، وسيكون له في سياسة العراق شأن كبير ، وحديث خطير !!



..

— ٢٢ —

فخر الدين آل جميل

رئيس مجلس النواب



احمر اللون في تبسط وجه، وقوة جسم، واعتدال في الطول، وكثير من العرض، حديد البصر، قوي النظرات، وادع هادىء تضطرب الدنيا من حوله، وهو ثابت ينتظر ساعته، ويترقب مهب الريح، وقد تجلس اليه تحدثه فيضع يده في جيبه وينفرد عنك في غرفة استقباله غير بعيد، يستمع اليك، فأن اطربه حديثك اخذ معك باطراف الكلام، وإلا تركك لنفسك، تستمع الى حوارك .. وتقلب وجوه الرأي وحدك ..

حاضر البديهة رائع النكتة، حلو الحديث، جذاب المعشر، لا يحتويه مجلس الا غمر هذا المجلس الوان البحث، وامتع الحديث، شديد الفطنة حلو الملاحظة، لا يكاد يعرض لسمعه او لبصره شيء الا اداره على وجوهه، ووجّهه في الطريق التي يريدها، فتراه يقتحم ماتع الرأي في طريف الاسلوب وجميل الكلام .

وهو الى ذلك ابن نعمة نشأ في الحسب، وتقلبت اعطافه في الترف، ولكنه ديموقراطي السجية بكل ما في هذه الكلمة من معنى، فلا يكاد يستشعر محدثه

بارستوقراطيته ، ولا يحس بانه يتكلف في مجلسه معه، جواد كريم مضياف ، وطني متحرج، مخلص في حبه لبلده،مغرق في عروبته،طروب في معشره ،يقصده الناس الملمات ، فيجدونه ابدا عند حسن ظنهم ، وجميل اعتقادهم . . .

وهو الى ذلك رئيس مجلس النواب في العراق،ورئيس هذا المجلس المجدد الذي يريد ان يخلق العراق خلقاً جديداً ، فانعم بجلسه مجلســا ، واكرم به رئيساً . . . .

يقول اصحابه فيما يقولون عنه ، انه عذب الروح ، فكه الحديث ، فأن قدّر للمرء ان يصحبه عشرين سنة لا يمل صداقته ، ولا تثقل عليه مخالطته ، وقد رأيت مصداق ذلك في هــذا الاجتماع القصير الذي اتصلت فيه اليه ، ووجدته يقبل على محدثه فلا يرتفع به الى نفسه ، وانما يتدلى بكل حديثه اليه ، فيساوقه في قوله ويكلمه من جنس كلامه ، ويباديه على قدر فهمه ، حتى ينصرف عنه وقد القي في روعه انه مثله . . . . .

. . .

والعراق الى ذلك حديث عهد بالحياة النيابية ، وهي لم تنبثق فيه الا بعد الثورة العراقية ، ونزول الانكليز على رغبة الامة العراقية ، ورضــاهم بانشاء الحكومة الوطنية سنة ١٩٢١ .

واول هيئة نيابية منتخبة في العراق هي الجمعية التأسيسية التي انتخب اعضاؤها اواخر سنة ١٩٢٢ وفاقاً لقانون الانتخاب العثماني القديم ، والتي كانت مهمتها اقرار معاهدة سنة ١٩٢٢ ، والمصــادقة على قانون الانتخابات العراقي الجديد ، واقرار دستور الحكومة .

وقد لاقت الحكومة الوطنية عناء عظيما في انتخابات الجمعية التأسيسية

لمقاطعة الشعب لها ، احتجاجاً على نصوص المعاهدة العراقية الانكليزية ، ولم توفق في الانتخابات الا بعد تعب وعناء شديدين ، فاجتمعت الجمعية التأسيسية واختارت المرحوم عبد المحسن السعدون رئيساً لها ، فكان اول رئيس لاول هيئة نيابية في العراق .

وعاد النضال الى اشده بين الحكومة واعضاء الجمعية التأسيسية حول المعاهدة عند اجتماع الجمعية ، فقد حمات عليها المعارضة حملة شديدة ، وطلبت رفضها ، ولم تتمكن الحكومة من اقرارها الا بصعوبة وبعد ان وعد الانكليز بتعديلها

وقد انتهى عقد الجمعية التأسيسية بعد اقرار المعاهدة وقانون الانتخاب والدستور، ودعت الحكومة الامة الى انتخاب نوابها ، فجرت الانتخابات في جو هادىء. واجتمع البرلمان لاول مرة في ١٨ تموز سنة ١٩٢٥ ، وبذلك بدأ العراق حياته البرلمانية .

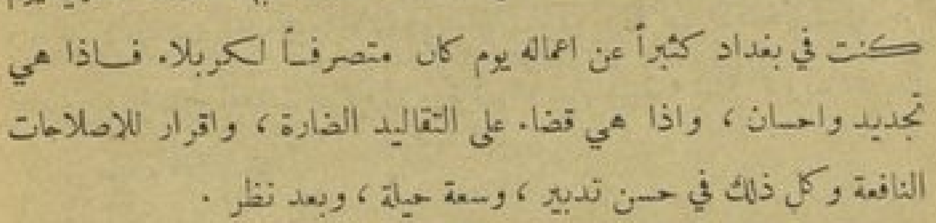
. . .

ورئيس المجلس النيابي الحالي فخر الدين آل جميل الذي تقدمنا بوصفه في صدر هذا الفصل ، قد اثبت مهارته وليونته وحسن سياسته وبعده عن الحزبية في ادارة الجلسات وتنظيمها ، والمحافظة على جدول الاعمال فيها ، حتى يصح ان يقال انه خلق للرئاسة البرلمانية ، وخلقت له ، ولا غرو فهو من اعرق الاسر العراقية وطنية وشرفاً وحسباً وثقافة ، وقد ساهم في جميع الهيئات النيابية التي قامت في العراق فكان إما عضوا في مجلس الاعيان او مجلس النواب ، او وزيراً بلا وزارة في احدى الوزارات .

— ٢٣ —

صالح بك جبر

والاصلاح الجديد في القضاء والتشريع العراقي



معالي الاستاذ صالح جبر من علماء القانون الاعلام، ومن رجال الادارة الافذاذ، تبسطت له في القضاء شهرة عريضة، وفشت عنه في الادارة مقدرة نابهة ، وقد حدثوني يوم كنت في بغداد كثيراً عن اعماله يوم كان متصرفاً لكربلاء. فاذا هي تجديد واحسان ، واذا هي قضاء على التقاليد الضارة ، واقرار للاصلاحات النافعة وكل ذلك في حسن تدبير ، وسعة حيلة ، وبعد نظر .

ولد معاليه في المنتفق ، ونشأ بها وتلقى علومه في المدارس العثمانية ، ثم دخل كلية الحقوق البغدادية فلما نال شهادتها تعين في العدلية وما برح يتقلب في المناصب القضائية حتى عين ترجماناً لمحكمة التمييز ، فحاكماً للصلح، وفي سنة ١٩٣٠ انتقل الى الميدان السياسي ، واشترك في الانتخابات النيابية ففاز بالنيابة ، وكان في المجلس من اعضائه النابهين ، وخطبائه المفوهين ..

وفي سنة ١٩٣١ اعيد انتخابه للنيابة ، ولما الف معالي جميل بك المدفعي وزارته الاولى في خريف تلك السنة ، اختاره لوزارة المعارف ، فاحسن فيها كل الاحسان ، وبعد استقالة الوزارة عين متصرفاً لكربلاء ، فطارت شهرته

وبرزت مواهبه ، ووفق الى مـا لم يوفق اليه غيره من حيث صيانة الامن في منطقته ، بينما كانت المنـاطق الاخرى – وهي عـلى مقربة منه – تعج بالاضطرابات، وتضطرب بالخصومات .

وهو اليوم وزير العدلية في الوزارة السليمانية ، وبين يديه مشروع قضائي عظيم يريد اقراره ، ونحن نحسن صنعاً اذا تركنا معاليه يتحدث عن اصلاحاته ، وما يريده من تعديلات في التشريع والقضاء العراقي، قال معاليه :

«من تحصيل الحاصل القول بان معظم القوانين النافذة في العراق وهي من مخلفات الحكومة العثمانية والاحتلال البريطاني لا تلائم حالتنا ولا الروح الجديد لانها وضعت لزمن غير هذا الزمن، وجيل غير هذا الجيل ولذلك فكرنا في وضع قوانين ونظم جديدة تساعد على تكوين الشعب العراقي تكويناً اجتماعياً يوحد اجزاءه ويزيل ما بينهما من فوارق وفواصل، يتناسب مع حالتها ويفي بحاجاتها .

«ان وضع قانون مدني جديد للعراق هو في مقدمة ما نعني به في الوقت الحاضر، لانه في مقدمة ما نحتاج اليه، وقد الفت لجنة من كبار رجال القانون حددت مهمتها باختيار قانون مدني للعراق يلائم حالته ويفي بحاجـاته ، وستأتي اللجنة بالقوانين المدنية النافذة في البلاد الاخرى فتدرسها واحداً بعد واحد ثم تضع تقريرا ترفعه الى الوزارة وتقترح فيه الاخذ بقانون من هذه القوانـين بعد تعديل نصوصه واحكامه تعديلاً يلائم حاجة العراق اذا كان ثمة حاجة ، وبعد ان تدرس الوزارة مشروع اللجنة تحيله الى البرلمان لدرسه . ومعنى هذا ان الوزارة لا تكلف اللجنة وضع مشروع قـانون ، وانما تكلفهـا اختيار قانون من القوانين النافذة لاعتقادها ان هذا اسهل وايسر، ويلوح لي

ان القانونين المدنيين في تركيا وايران وهما جارا العراق وتشبه عاداتهما وتقاليدهما من وجوه كثيرة عادات العراق وتقاليده، سيكونان في مقدمة القوانين التي تعني اللجنة بدرسها، لانه قد انتج تطبيقها هنالك افضل النتائج وبالطبع فان لها ان تقترح تعديل ما تراه من الاحكام والنصوص ليأتي القانون الجديد وافياً بحاجة العراق كما قلت، وارجو ان تنتهي اللجنة من دراستها قريباً ليتسنى لنا تنفيذ هذا المشروع الخطير الذي تعلق عليه امالا كبيرة

. . .

«وهنالك ايضاً مشروع آخر لوضع قانون للعقوبات نرجو ان يتم قريباً.

«لقد كان قانون العقوبات في العهد العثماني « قانون الجزاء القديم » مما خذه العثمانيون عن القانون الفرنسوي منذ نصف قرن تقريباً

« ورأي الانكليز في بدء الاحتلال انهم في حاجة الى وضع تشريع جديد للعقوبات فاخرجوا « قانون العقوبات البغدادي » وقد اقتبسوا احكامه من القانون العثماني القديم ومن قانون العقوبات المصري والسودان الهندي، وادخلوا فيه احكاماً خاصة تتعلق بأمن الجيش المحتل وسلامته مما لم نعد بحاجة اليه .

واتجهت انظار الوزارات العراقية في السنين الاخيرة الى وضع قانون جديد للعقوبات يحل محل القانون الذي وضعه الانكليز في عهد الاحتلال وتسنى للوزارة السابقة ان تعرض لائحته « مشروعه » على البرلمان فتناقش مجلس النواب السابق في بعض احكامه وقد استردت وزارة الحقانية هذا المشروع لاعادة درسه وادخال ما تراه من تعديلات بسيطة عليه وستعيده الى مجلس النواب لينظره في الدورة الحاضرة

« وشرعت الوزارة تعيد النظر في قانون المرافعات المدني والجنائي (قانون اصول المحاكمات الحقوقية واصول المحاكمات الجزائية) ووضعت الاسس لتعديلهما تعديلاً يلائم حاجة البلاد وتمليه التجارب . واننا لنرجوا ان نفرغ منهما قريباً وان يعرضا على البرلمان في الدورة المقبلة

« وكذلك فاننا نعيد النظر في قانون حكام الصلح ، ونضع مشروعاً جديداً لتحسين حالة الحكام

« تلك هي القوانين الرئيسية التي نعدلها او نضع بدلا منها ، وتلك هي الاساليب التي اخذنا بها . واقول اجمالا ان الخطة التي نسير عليها تقضي باصلاح جميع القوانين القديمة وتعديلها وتنقيحها حتى تأتي وافية بحاجة البلاد وملائمة مع روح العصر ومع التشريع الحديث ، فلا يجوز لنا ان نتمسك بقوانين ونظم قديمة وضعت من عشرات او مئات السنين لزمن غير زمننا وعصر غير عصرنا

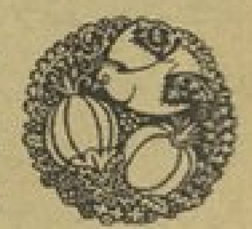
« وكذلك فنحن نعمل على اصلاح هيئة التدوين القانوني نتخذ منها نافذة نطل منها على التشريع الحديث ونجعلها صلة الوصل بيننا وبينه ، بحيث تستطيع ان تدرس تطوره وتحوله عن كثب وتقترح ادخال ما تراه منه على تشريعنا العراقي .

« ورغبة في تعزيز هذه الهيئة وفي انشاء تقارب فعّال بين التشريعين العراقي والمصري والاخذ بالمصطلحات القضائية النافذة في مصر ، اقترحت على مجلس الوزراء استقدام اثنين من رجال القضاء النابغين في مصر لضمهما الى هيئة التدوين القانوني ، فأقر المجلس الاقتراح وارجو ان ننفذه قريباً وهكذا تنشأ صلات مباشرة بين قضائنا وقضاء مصر . »

- ٢٤ -

حديث الشعر والادب في العراق

الاستاذ احمد رضا الشبيبي



كهل يتزاحف الى الخمسين، ان لم يكن قد اقتحمها فعلاً، غزير العلم واسع الثقافة ، بديع المحاضرة، كتب لي الله ان اشهد مجلسه ، فأخذني عن نفسي والهاني عن عملي ، فاذا انا في بستان من الادب تدفقت جداوله ، وهتفت على اغصانه بلابله ، واشرق نرجسه وتألق ورده ، واذا انا بين يدي شاعر يؤمن باشراق الديباجة وفصاحة القول ، وتلاحم النسج ، ورصانة القافية وجميل المعنى ، وروائع الفكر ، وهذا والله الشعر ، والشعر الخالد !!

وكذلك هو صاحب السماحة الشيخ احمد رضا الشبيبي رئيس مجلس الاعيان وكبير شعراء العراق ...

...

والواقع انه لم يكن يدور في خلدي وانا اكتب كتابي هذا ، انني سأعرض للادب والادباء في العراق ، وليس مرد ذلك انني ارغب عن هذا

البحث، او احاول التهرب منه ، ولكنني كنت اعتقـد ، ان بحث النهضة الادبية العربية يجب ان يكون عاماً لا خاصاً ، وان الكاتب يحسن صنعاً اذا عرض لهذه النهضة بشيء من التبسط ، وافاض فيما يحتويها من لون جديـد ، ومذاهب رائعة ، تنتظم في البلاد العربية من ادناها الى اقصاها ، لان حديث هذه الجدة الادبية في العراق مثلاً، مرتبط الى حد بعيد بحديث الجدة في مصر ومشارف الشام

ولكنها على كل حال خطوة قيمة هذه التي نريد ان نخطوها ، فقـد اعتزمنا ان نتحدث عن بعض مظاهر الحياة الادبية في العراق ، ونحن مستيقنون ان الادباء سيقدرون هذه الخطوة ويسرون بها، وهي الى ذلك قد لا تخلو من احراج للصدور،فنحن نتوسل الى المتأدبين ان يكونوا ارحب صدراً ، واشد احتمالاً للنقدمما كانوا الى الان،ونحن نعلم ان بعض الادباء قد عرض لهذه الناحية قبلنا ، ونعم ايضاً انه قد اغضب جماعة واساء آخرين، وقد تجاوز هذا الغضب الى شيء من الحرج وضيق الحظيرة ، كما تجاوزه ايضاً الى شيء من التشنيـع والتشهير

نحن نعلم كل هذا ، ونعلم الى ذلك اننا نكتب في الادب مخلصين ، وان كثيراً من الادباء والشعراء لم يتعودوا النقد،ولم يتعودوا إلا مقارضة الثناء، وهم يرون في انفسهم اراء قد لا نراها نحن فيهم ، وهم يؤمنون لانفسهم بشيء من العصمة قد لا نؤمن نحن به لاحد . ونحن نعيذهم ان لا يعلموا اننا ابعد الناس عن الغض منهم والتعصب عليهم ، فان ارضاهم هذا فهو ما نريد ،والا فلهم ان يمضوا فيما هم فيه من كلام وسعي ومن غضب وحرج ، فذلك كله اقل ما يعنينا ..

ولست افشي سرا اذا قلت انني في كثير من بحوثي النقدية الماضية عن ادباء مصر والشام ولبنان قد تخطيت كثيراً من الاعتبارات ، فكنت اتناول في بحوثي لوناً واحداً من الادب ، وكنت اكثر تعلقاً في دراسة بعض ما يتفصد عنه كتابنا من منثور ومنظوم ، فاعرض له عرضاً رقيقاً واشير الى ما فيه من فساد واضطراب . وكنت اتجنب المغامرة في الفروض والظنون حتى لا يتعرض ما اكتبه لنقد يفسده ، خصوصاً ان شباننا لا يزالون في فجر حياتهم الادبية ، وقد يكون منهم خير كثير في المستقبل ، ونحن ان عرضنا لبنات افكارهم فانما نعرض لها تشجيعاً لهم ، وترويجاً للحسن من الادب وقضاء على الفاسد منه .

وليس من ينكر ان الادب عندنا ما يزال في اول نشأته، وان اغراض المتأدبين لا يزال يعتورها العنت والاضطراب ، والذين ينصرفون لبحوث الادب ليسوا على غرار واحد ، فمنهم المثقف ومنهم الجاهل ومنهم الذي يريد ان يروّض نفسه على مختلف انواع المنثور والمنظوم فلا يأتي بكثير ولا قليل، ومنهم من يستبق الايام والاحداث فيطالع الناس باللغو والعبث ، فهؤلاء كلهم عرضنا لهم في شيء كثير من اليسر ، وذهبنا نضع لهم مقاييس ادبية ليس يصح ان يتجاهلها الكاتب والشاعر ، وجماع القول في هذه المقاييس ان بحوث الادب تحتاج الى ثقافة مستفيضة وبيان غزير، وان الاديب يجب ان يجمع بين الثقافة والبيان فان اخطأ احدهما فقد بعدت الشقة بينه وبين الادب الخالد واصبح ما يطالع الناس به من لغو الكلام

ولو اني قصدت في ما اكتب الى الاتجار والى تمليق عواطف الجمهور لذهبت اتغنى كل كاتب وشاعر، ولذهب هؤلاء بدورهم يتغنون ببياني ويروجون

لثقافتي ، واعترف بان فكرة كهذه كافية اذ تقوم في ذهني لتصدني عن اتيان اي عمل يثيرها، فان تقديري لشرف صناعة الادب واكباري لكل ما يتصل من هذه الصناعة بالبحث عن الحقيقة في الفن والادب، يدفع الى نفسي الاشمئزاز من فكرة الاتجار والترويج، ومن الكذب على نفسي وعلى الناس

والحقيقة التي اريد ان اصارح الناس بها ، ان الادب لا يزال عندنا في فوضى مترامية الاطراف متوعرة المسالك ، ومن الصعب ان نقول اليوم ان اديباً من المعاصرين سينعم في باقيات الايام بالخلود ، ولعل سبب ذلك ان الحياة الاجتماعية والادبية عندنا لا تزال ضعيفة مضطربة ، وان حياة اجتماعية وادبية كحياة الغرب اليوم، هي وحدها التي تلهم الكاتبين في فنون الادب الهاماً يمكن لهم في الارض، ويدفع بنتاج افكارهم في سبيل القوة والذيوع والخلود ...

...

واذن فنحن نريد هذه البحوث الادبية مليئة بالعمق بعيدة عن التبذل، لاننا لا نخدم الادب بشيء هو انفع له من تكبير قدر الكاتب والشاعر وتنزيهه عن هذا التبذل الذي اشتهر به جماعة المتأدبين المعاصرين، واتخذوه بينهم كالسنة المرعية لا عار فيها ولا ملام، لأن من حق الاديب على نفسه وقومه ان يكون عزيز النفس محمي الكرامة ، بليغ الثقافة ، واسع المعرفة، صبور العسر ، كريم الرخاء ...

ونريد هذه البحوث قريبة الى الفكرة الشعبية مليئة بهذه النوادر الادبية الطريفة التي تلم بنواحي الحياة الحاضرة . والتي هي اقرب ما تكون الى وصف الحياة في الاوساط الادبية والاجتماعية والسياسية وصفا تلتمع فيه

اللباقــة وحسن التصرف وجودة البيان

ونحن الى ذلك لا نرى كبير امر من وراء تلقين عامة الناس واوساطهم ان فلاناً اشعر من فلان ، وان الشاعر الفلاني سرق ابيات قصيده من شاعر آخر ، وان كثيراً من الشعر الجاهلي الذي انحدر الينا مع الرواة مضى مثـاراً للشك في نسبة الجاهلية ، على حين لا يراد من هذا الشعب الضئيل الثقافـة وهؤلاء الشباب الغر الموطأين الاكناف لبعض بحوث الادب ، الا ان يروّضوا اذهانهم على تذوق الادب العربي في ادواره المختلفة، لتتضح فيهم الملكات الادبية وينشأ الجيل الحاضر ، وهو اكثر تمكناً من اداب لغته من الجيل المنصرم ، ومن المعلوم ان هذا الاستقراء والتقصي التاريخي لسرقات الشعراء والصحيح من الشعر والمدسوس عليه ، لا يكون الا بعد تربية الذوق الادبي واستجماع النماذج الصالحة من الادب القديم ، لان صدم هذه الذهنية الادبية الصغيرة من الوهلة الاولى بالتشكك والاحراج خطر على هذه الذهنية نفسها ، وتسرب الى الشك فيما بعد الشعر الجاهلي والمخضرم من الادب كله ، واذا سرى الشك في النشوء المتأدب ومشى به خـلال الادوار الاخرى من الادب العربي فلسنا ندري الى اية غاية هو ماض بهم ، والى اين نحن صائرون !!

ولو ان جماعة المتأدبين ينفرون في تجديدهم الى التلويح بالاذواق العربية الفصيحة والنادرة المستملحة ، لحملوا اوساط الناس وعامتهم على تتبع البحوث الادبية بشغف ولهفة ، ولكان من المفروض ان يكون البحث الادبي عاماً وان تكون الجدة ظاهرة قوية في الاوساط الشعبية

فيرى القارىء اننا نريد هذه (الجدة) الادبية قوية بلا عنف ، ونريدها مليئة باللباقة وحسن التصريف ، هذه رغبة المجددين لا فرق في ذلك بـين

اديبهم ومتأدبهم ، فاما اذا ارادها الكهول والشيوخ عتيقة جامدة فلهم منا صلابة الصخر وبأس الحديد ، ولهم منا ما يكرهون ولا يرغبون ، ونحن على مثل اليقين انهم فاشلون واننا الغالبون المنتصرون

اما اولئك الذين يعرضون لبحوث الادب وقرض الشعر دون ما تبسط في العلم وطول التمرين في نظم الكلام ، ودون ان يكون لهم سابقة ادبية بسطت اغراضهم ، وبصّرتهم بكثير من مضارب الكلم ، فنحن لا نستطيع ان نماشيهم في اغراضهم ، لاننا نريد الجدة الادبية الحاضرة بعيدة عن التبذل قريبة من الكمال ما كان الى ذلك سبيل

ومن المؤكد اليوم ان ما نقرأه من شعر الشعراء وكتب الادباء لا يبعث فينا كثيراً من الارتياح والغبطة ، ومرد ذلك اننا في دراستنا للآثار الادبية الجديدة نحاول قبل كل شيء ، ان نتساءل عن المدى الذي بلغته هذه الآثار في ظاهرة التجديد الحديث ، وهل تواتي حاجات الحياة بالمقدار الذي يواتيها كل شيء يسمى ادباء او شعراً ، حتى اذا انقضت اجيال وراح ناقد يبحث هذا الشعر وهذا الادب ، ايراهما صورة لعصرنا الحاضر ، وما فيه من نواحي الحياة الفكرية والسياسية والاخلاقية ؟؟؟

يقول العقاد مع بعض التصرف « ان القصد من الشعر ابراز فكرة او صورة او احساس او عاطفة في صياغة لفظية تخاطب النفس وتصل الى اعماقها من غير حاجة ولا كلفة او مشقة ، ولقد حاول بعضهم وما يزال يحاول ان يوفق الى جديد في الشعر يلائم بينه وبين روح العصر الحاضر ويصل به الى هذا المدى الذي وصفناه ، وفي هذه المحاولات جرأة وفيها عمق ، ولكنها لما توفق الى الطريق السوي فتعبر عن مدركاتنا واحساسنا وعواطفنا بالقوة والدقة

للتين وصل النثر الى التعبير بها »

ومن المؤكد انه يوم يوفق الشعر الى معالجة هذه النواحي المختلفة ويوم يؤدي الغاية التي اشرنا اليها، يكون قد وفق الى اداء حاجات النفس اداء صالحاً. ويومئذ يسير مع النثر ويجاهد جهاده لصيانة اللغة العربية وصقلها بما يجعلها تواتي الكاتب والشاعر بكل حاجات العصر في غير مشقة ولا عناء ، ويومئذ نكون قد قمنا نحو اللغة العربية في حاضرها وماضيها بشيء مما يجب علينا القيام به ، شيء يزيدنا بالحياة وجمالها متاعاً، ويشعرنا فيها بالعزة وسمو المكانةالى جانب اعز الامم واسماها مكانة

والواقع انناقي حكمنا على الآثار الادبية الحديثة لا نستطيع ان نخرج عن هدف واحد ، هوالاثر الذي تتركه هذه الآثار في نفس القارىء بعداعوام وبعد ان تكون قد بعدت الشقة بيننا وبين صاحبها،وليس ادل على ذلك من اثر القرآن الكريم في كل من يحاول بحث الادب، ومن اثر الجاحظ في كل شاب يحاول النفاذ الى جماعة المتأدبين !!

ومن حق الجاحظ ان يسميه بعض ادبائنا الشباب امير البيان في ماضيات العصور وبواقي الايام ، ومن حقنا نحن ،ومثلنا من يعنيه الرأي الطريف يستبق الناس اليه ، ويحاول النفاذ قبل غيره الى الوانه ونزعاته ، ان يساير بيانه وان يحتذي صناعته، خصوصـــا اذا كان يريد مساجلة المتأدبين ومقارعة المثقفين ، ويريد الاحتجاج على ارباب الاقلام الحديثة وزعمـــاء النحل الجديدة ، وحين يكون مفروضاً عليه مقارعة ابطالهم ومناقشة كبارهم، وكل هذا يحتاج الى إحكام الصنعة ، واجادة البيان ، ولباقة التصريف يحـــاكي به بيان الجاحظ ورفيع بلاغته وبديع اسلوبه، فيكرّ على نفسه ويعمل على اسقاط الهجنة من

مقاله ولا يزال يكابد هذا ويغالبه ويناضله ويساجله ، ويتأتى لترويج الفصيح من الكلم ، والبليغ من اللفظ في اسلوبه حتى ينتظم له ما يحاول ويتسق له ما يؤمل .

ومن المؤكد ان اثر الجاحظ هذا هو السبب في خلوده ، ولو انه كتب لعصره لكانت آثاره الادبية محدودة النواحي ، ضيقة الوجوه ، ولكانت كالأثر في المتحف ، ليس يعرض لها الا مؤرخ الادب يحاول ان يتعرف منها على الوان الجدة الادبية في عصر الجاحظ وما كان للاثار الادبية التي سبقته من تأثير في ادبه وتبيانه . . .

ولما كان لكل زمن اوضاعه وتقاليده ، ولكل عصر ادبه ونزعاته ، فمن الحق ان نحكم على كل شاعر وعصره ، وان لا نقايس بين اديب اليوم واديب الامس ، والامس غير اليوم ، الا ان تنزع بنا الرغبة الى مجاراة بعضنا بعضاً ، فنتوهم ان الادب القديم هو العلة في تأخر الادب الحديث ، ولا ندرك ان تأخر الحديث ليس سببه إلا ترك القديم والرغبة في ان نخلق للناس ادباً جديداً لا يقوم على اساس ثابت قوي

واذا كان من الحق ان تكون مقاييس الادب في العصر الحاضر ما ذكرنا ، فانا نريد ان نتعرف على اثر هذه المقاييس في ادبائنا المعاصرين ونريد ان نتلمس ما صدر عنهم حتى اليوم من نظم ونثر ، لنرى اذا كان يجاري الوان الحياة الحاضرة بالمقدار الذي يجب ان يجاريها كل شيء يسمى ادباً

ونريد بعد هذا ان نسائل المتأدبين اذا كان من الحق ان يبحث الادب وان يصدر للناس رأيا في الادب ، من ليس يوفق في المنظوم والمنثور الى كثير ولا قليل ؟؟

ونريد ان نعرف اذا كان الادباء في الامم المتمدينة ينفرون الى مثل هذه البحوث ، وليس بينهم من نشر للناس كتاباً ولا قصيداً ، نستطيع ان نقول معها انه خالد وانه يعيش ، ونريد ان نزيد على ذلك : ان الغربيين يسمون واحدهم اديباً اذا طلع على الناس بمؤلفات عميقة ، وبحوث طريفة وليس بينهم من يستطيع ان ينفذ الى جماعة الادباء — وعندهم عشرات النقاد يسدون عليه مسالكه وطرائقه — إلا ان يكون مكين البيان ، واسع الثقافة ، كثير الاطلاع ، فهل بيننا من يستبيح ان يعرض للناس بضاعة ادبية فيها عمق وفيها ثقافة وفيها بيان وفيها جدة ؟؟؟

والواقع اننا في دراستنا للشعراء المعاصرين لا نستطيع ان نطلب منهم اقل مما يجب ان ينعم به الشاعر المعاصر من علم وثقافة وجدة ، واظن احداً لا ينكر علينا ان الشعراء في العصر الجاهلي والقرن الاول للهجرة كانت لهم حظوظ يسيرة جداً من الثقافة ، وكان اثر الطبع والخصب في لغتهم اقل من اثر العلم ، وكان من الحق بعد ذلك ان يساهم الشعر في الفنون والثقافة ما توفرت هذه الفنون له بتقدم الحضارة الاسلامية في عهده . ونحن حين ندرس الشعر القديم لا ندرسه على انه وصف للحياة في عهده فحسب ، وانما ندرسه على انه وصف للحياة العلمية في ذلك العهد ، ومن المؤكد اننا لا نبالي بالشعر اذا كان ضعيفاً في هذه الناحية ، ولا نستطيع ان نضعه في منزلة رفيعة من الادب العالمي اذا كان لا ينعم بهذه الناحية ولا يتكلف صاحبه وصف مظاهر الحياة الثقافية في عهده بالمقدار الذي يؤاتي حاجات المدنية الحاضرة ، واذن فان هذه المقاييس التي نضعها للشعر القديم هي نفسها التي نفرضها على الشعر المعاصر ، ونريد من الشعراء ان يعنوا بها ، ويتكلفوها ، واذا كان الامر كذلك فاهو

اثر الشعر في العراق اليوم من الحياة الثقافية في العراق ؟؟

وكذلك هو موقفنا مع الاديب الناثر والناقد المعاصر ، فالاديب في نظرنا هو الذي يتصل بعصره اتصالا وثيقا يمثل ذوقه الفني اذا كان منشئا وحيـاته العقلية اذا كان ناقدا ، او مؤرخاً للادب ، وليس اديبا منشئا هذا الذي ينظم الشعر فلا يتجاوز ما قال القدماء في اللفظ والمعنى والاسلوب ، وليس اديبا ناقدا هذا الذي يدرس الادب ،فلا يتجاوز ما قال المبرد والجاحظ وابو الفرج وصاحب العقد الفريد

وانما الاديب المنشيء من يقرأ معاصروه ادبه ، فيرون فيه انفسهم ،وانما الاديب الناقد من يقرأ معاصروه نقده فلا يشعرون بان بينهم وبينه بعد مـا بينهم وبين القدماء .

واذن فنحن لا نهمل الادب القديم لان هذا القديم ضروري لدراسة تاريخ الادب وتطوره ، ونحن نجدد الادب درسا وانشاء كما يجدد الطبيعيون والاطباء طبيعتهم وطبهم عملا ونظراً .

. . . .

الذين يقرأون احمد رضا الشبيبي لا يستطيعون ان ينكروا عليه ، علمه وفهمه للحياة ، وحيرته بها ، وتمرده على بعض مظاهرها ، وهو مؤمن ولكنه مؤمن مثقف ، يدرك مزالق الاقيسة العلمية ، ويحاول ما استطاع ان يوفق بينها وبين التعاليم الدينية ، فيوفق على قدر ، ويحار على قدر ، ويظهر توفيقه هذا ، وحيرته هذه في شعره ظهوراً تاماً :

انجدت من بعـد اغوار زلت بهـا   فانجـاب عن تقى بالله انجادي
وقـد حدتني اهواء مضللة   عدلت عنهـا وضل الركب والحادي

ويصور لنا شعره ناحية خاصة ، تغمر نفسه ، وهي تزهده في الحياة وحبه للوحدة ، وايمانه بالله ، ويأسه مما يعتور الناس من كفر والحاد وضلال :

غريب بهذي الدار طال اغترابه ... فلا يزدهيه اهله وصحابه
واسعد خلق الله من جاء في غد ... قليلاً تقصيه يسيراً حسابه

منكر للاهواء والاغراض :

عهدت اهلك لم يبطل تكبرهم ... على الطغاة فلم صاروا طواغيتا
ملفق من مخاريق كلامهم ... ومن محال ون سموه لاهوتا

مؤمن بالقضاء والقدر :

من الجهل لا من صحة العقل اننا ... نحكم في الاقدار اوهام عاقل
امور باسعاف المقادير نلتها ... على حين اعيى نيلها بالوسائل

حائر في اسرار الحياة :

واني لميال الى محو ما جرى ... به قلمي او ما تضمنه طرسي
كتبت وقد جاريت فيما ظننته ... علاجاً لاهواء النفوس هوى نفسي

واذن فنحن امام شاعر مفكر ، يصور لنا شعره اثر العلم الحديث في البلاد العربية ، ورغبة الناس في الاهتداء به ، مع رغبتهم في الوقت نفسه بالتوفيق بين العلم والدين ما كان الى ذلك سبيل !!

وهو في توفيقه هذا يساوق الامام الشيخ محمد عبده في تفكيره وجدته ، ويحاول الاصلاح والاحسان بالحسنى والعلم ، لا بالسخرية والانكار ..

والواقع ان الاستاذ الشبيبي يعد من اكبر شعراء العراق اليوم واكثرهم تفكيرا وابعدهم غورا ، والمهم ثقافة وابقاهم على الايام !

اما الاستاذ محمد بهجة الاثري فشاعر مقل وناثر معا، شعره لطيف جذاب ونثره رائق ماتع ، كتب الي يقول لما طلبت منه بعض شعره :

« اقدم اليك بعض ما اخترته منه الان من غير اختيار ، ولعلك تعلم او لا تعلم اني لا اقرض الشعر صناعة اتظاهر بها ، بل لعلي لم افكر قط في ان احشر نفسي يوما فيمن يدعون بالشعراء ، فاذا رأيت ان تضعني في صفهم ، فانا اعتذر اليك باني لست منهم ، لان هذا الشعر لا اعرفه الا اذا واتاني من طبيعته وفاضت به نفسي واوحاه الي شعوري »

وهذا هو الشعر الذي نريده ، ونحاول الوصول اليه ، ونظن انه يكون خالدا مصورا للحياة ، منتقدا لما فيها من اخطاء ومظاهر ...

ثم اننا في ما قرأناه من شعر الاستاذ بهجة الاثري نستطيع ان نقول انه في اكثر شعره مطبوعاً ، يرسل نفسه على سجيتها ، لا يتعمق ، ولا يتكلف وقد لا يروق شعره المتعمقين الذين يلتمسون اللذة الفنية بعد الجهد ، ولكنه يروق المفكرين الذين يريدون الشعر المعاصر صورة حية للحياة ..

خذ مثلا هذه الابيات التي يصف فيها المتاجرين بالدين (١)

ارهقتني وظيفـةٌ	ما لقيني بهـا ارب ..
كدت انسى بهـا « ابا	جاد » فضلاً عن الادب
مصبحي كل انكدٍ	وجهُ يبعث الكرَبْ
حشوُ مـلاحهِ اذىً	حشو يافوخهِ شغب
ترتقي النـاس للذرا	وهو يدعو الى الضبب
ان يكن في التيوس ما	كان فيهـا سوى الذنب

(١) الاستاذ محمد بهجة الاثري مدير اوقاف بغداد

نخر السوس عقله | انما السوس للخشب
تخذ الدين مكسباً | وادعى الزهد مطلب
شوهوا الدين بالذي | أحدثوه من الجرب
حجبوه عن الورى | بالسخافات فاحتجب

. . .

وقال في وصف انتصار الجيش العراقي على الاشوريين وقد نظمها وهو مصطاف في بحمدون !

انثروا الورد ونور الياسمين | اقبل الظافر وضاح الجبين
وافرشوا الدرب الذي يسلكه | قطع الديباج والخز الثمين
واضفروا الغار اكاليل له | انه تاج رؤوس الفاتحين
مهرجان الشعب في استقباله | مهرجان الحق في النصر المبين
خرجت بغداد في موكبها | ليتني كنت مع المستقبلين
الشبابُ الحيّ في نخوته | والصبايا في ازدها، اللاعبين
وصلوا الليل بانفاس الضحى | طربا والطبل موصول الحنين
..حي اعرابية ما عرفت | غير حلب الشاة او غزل الوضين
هزّها البشر فثارت فرحاً | برقص (الدبكة) في مرأى العيون
فرح الاوطان انساها الحجا | فتلظت بنشيد الزامرين

. . .

ليتني اسطعت فوافيت الحمى | وتجندت مع المستنفرين
نجدة الاوطان في انفسنا | ساعة المحنة ، دين اي دين
يا مناحات العراق احتسبي | فقدك الاشبال لله المعين

يا شباباً كل بنيان علا — كان من جهد الشباب العاملين
انتمُ المطمح فابنوا لغدٍ — انه اليوم الذي تنتظرون
واجعلوا في اسّ ما تبنونه — نزعة الابداع والخلق المتين
صغتمُ الحاضرَ لكن غداً — عبئه يُثقل اكتاف السنين
في سبيل الله ما اهرقتمُ — من نجيع وبذلتم من ثمين

وقال في الجامعة القومية بمناسبة حوادث فلسطين سنة ١٩٣٣ :

رحمٌ موصولة اوشاجها — لم يقطّعها كياد الدولِ
طالما راموا تفاريق العصا — والعصا تلقف كيد الدجل
حيّها جامعةً قوميةً — من تخوم الريف حتى الموصل
إنني ألمحها ظافرةً — تستقل التاج منضور الحلي

وقال في الشهيد العربي عمر المختار

يا اخا الفاروق أسماً — وأخا الفاروق شأنا
وصلاح الدين في ابـ — لائهِ ضرباً وطعنا
فقدَ الاسلام في فقـ — دك سيفاً ومجنّاً
كنت سيف الله في الذو — دِ عن الدار وحصنا
شيمةً في طبع عدنا — نَ تجلّت فيك معنى
فأبت ان يطأ العـ — جُ من الاوطان مغنى
وأبت ان يجعل العلـ — جُ من الاحرار قِنّاً
حلت كالليث اذا الليـ — ثُ على الخاتل شنّا
انت فينا آيةُ المؤ — منِ اخلاصاً وصونا

والاستاذ الاثري الى هذا اديب مجيد ، وكتابه (المدخل) من خير الكتب التي أرخت للادب العربي منذ اقدم عصوره حتى اليوم ، وهو في ادبه اقرب الى المذهب القديم منه الى الجديد ، فلا يعرض لهذه البحوث التي فرضها المستشرقون على الادب العربي وتطوره واثر الفارسية واليونانية فيه ، ولا يتبسط في هذه الحلقات التي كانت تنتظم في المساجد ، واثرها في تقدم الشعر وتبسط النثر ، ولا في الاثر الوثيق الذي افضت به فتوح الشام الى الادب العربي ، وقد كنا نفضل لو انصرف في تقسيم فصوله الى غير ما انصرف اليه في كتابه ، كأن يتناول الشعر مثلاً منذ الجاهلية الى اليوم الحاضر ، ثم يعرض للنثر ، ثم للخطابة ثم للفنون للاخرى ، فاما تقسيم هذه الموضوعات وفاقاً للازمنة التاريخية ، فانا نراه قلقاً لا يخرج القارىء منه بشيء ذي عناء .

ونحن نفضل الى ذلك ان تقسم فنون الادب الى انواع ثلاثة ، الشعر والخطابة والكتابة ، بدلا من تقسيمها الى شعر ونثر وخطابة ، فلفظة كتابة اجمع للغرض الذي نريده ، وهي خليقة بتحديد الآثار الادبية الاخرى التي ليست من الشعر والخطابة في كثير ولا قليل .

واما لغة الاستاذ الاثري في كتابه فهي رائعة عذبة سلسة ، فيها كثير من جزالة الاقدمين وجدة المحدثين . وكتابه الى ذلك من خير الكتب في تاريخ الادب .

..

وهنا انتقل الى شاعر آخر ، يختلف كل الاختلاف عن الشاعرين السابقين وهو الاستاذ احمد الصافي النجفي نزيل دمشق ، وكان حضرته قد تفضل علي

فاهداني بعض شعره ، واسمعني البعض الآخر، وكنت وعدته ان اعرض لهذه النواحي الجديدة التي داف اليها في قصيده ، وحلق بها في تفكيره ، ثم عرضت عليّ مشاغل المتني عن هذا الواجب، فله مني العذر، عن واجب سلف، وخطأ ما كان مقصوداً .

والاستاذ الصافي طويل دقيق ، ريشة في الهواء ، وخيال في الفضاء ، جلست اليه يوماً في مقهى في دمشق فطفق يقرأ اليّ بعض شعره، ويتحدث اليّ عن امراضه وبؤسه، واذا هو اقرب الى مستشفى متحرك منه ، الى شاعر رقيق مجدد في تفكيره، محلق في خياله، ولا بد للقارىء من تفهم هذه الناحية الخاصة فيه ليتمكن من تفهم شعره، وما ينصرف اليه من ترديد البؤس والشقاء في اكثر قصيده

اسير وظل البؤس يمشي لجانبي	كأني حليف للشقاء وذو رحم
تعلق بي حباً فهذا خياله	يلوح على شكلي ويبدو على رسمي

واسمعه يصف غرفة شاعر او يصف نفسه وغرفته :

اكافح البرد في سراج	كاد من ضعفه يموت
في غرفة ملؤها ثقوب	او شئت قل ملؤها بيوت
يسكن فيها بلا كراء	فار وبق وعنكبوت
للفار من مأكلي غذاء	والبق جسمي لديه قوت

ثم يصف العنكبوت في غرفته وصفاً بديعاً ، وينتقل من ثم الى غرفته :

أغرفة للمنام هذي	ام هي منفى له نفيت
ام تلك قبر الحياة فيه	عذبتُ من قبلما اموت

وله قصيدة في الوحدة تصف حاله وصفاً صادقاً ماتعاً :

ان رمت تاريخ حزني	سل مفرشي وغطـاني
هما قديمـان عاشا	معي وحـلا فنائي
صارا ثمينين لمـا	صارا من القدمـاء
ملت سهدي وملا	تقلب الاعضـاء
ينبئآنـك اني	ما ذقت غـير اسقياء

وفي ديوانه الامواج الذي اقلب صفحاته عند كتابة هـذه السطور قصائد جميلة خالدة ، تصور البؤس في اصدق صوره ، وتصف الحياة كما هي في الحقيقة ، والصافي من هذه الناحية ، يشابه ابن الرومي من حيث مقدرته الشعرية على الوصف ، واحسانه في تصوير البؤس والبؤساء .

وهو الى ذلك من شعراء العرب المعدودين ، ومن اصـدق الشعراء تصويراً واخلاصاً لفنه

اما لغته الشعرية فهي عاريـة شاحبة جذابة سلسة ، ولكنها ليست جزلة قوية !!

والواقع ان الصافي ينعم بظاهرة قد يكون فريدا فيها بـين المعاصرين فهو الشاعر الذي يصور بؤس الحياة ، واسقام الحياة ، وعناء الحياة ، في كثير من الصدق والبراعة ،وهو الشاعر الذي يوصلك الى الاعتقاد بان الحياة على حالتها الحاضرة تحتاج الى شيء من « الرتوش » وانها في الواقـع ليست من الانتظام والاتزان بالقدر الذي يظن بعضهم .

...

اما الاستاذ الجواهري فهو شاعر عراقي في اول نشأته الشعرية المجددة الجارفة ويؤسفني ان ليس عندي الان بعض شعره، لأتقدم الى قاري. كتابي بنماذج رائعة منه ، ولكن ما قرأته منه يوم كنت في بغداد ، يدل على شاعرية في جزالة لفـظ ووضوح اسلوب ، ومن المنتظر ان يكون لشاعرنا مستقبل عظيم بين شعراء العربية ، خصوصا في القوميات التي يجيد فيها كل الاجادة والتي يحلق فيها تحليقاً رائعاً بديعاً خالداً

ولا بد لي من ذكر شاعرين آخرين قبل ختام هذا الفصل اولهما الاستاذ اليعقوبي الذي تعرفت اليه ايضاً في بغداد، والذي ليس لدي من شعره شيء استطيع نشره ، ولكن ان فاتني هذا فليس يفوتني الثناء عليه وتقدير شاعريته ،وحسن اختياره للمعاني والالفاظ

وثانيهما الاستاذ ناجي القشطيني الذي لا ينصرف الى الشعر الا غرارا ، والذي لو انصرف اليه لأجاد فيه واحسن، لان في بعض قصائده التي قرأها عليَّ شاعرية قوية ، وثورة جارفة ، اظن انها تبلغ اغراضها من الكمال والاحسان لو يتعهدها صاحبها بالعناية والاهتمام ...



- ٢٥ -

رجال في بغداد

[جميل بك المدفعي]



زرت صاحب الفخامة جميل بك المدفعي صباح يوم في بغداد ، وكان الهواء رائقاً ، والشمس معتدلة الحرارة زاهية الالوان ، وكانت غرفة الاستقبال تعج بالناس وتزدحم بمختلف الشخصيات ، فجلست غير بعيد منه اتفرس في ملامحه ، وادرس شخصيته ، على نور الاخبار التي سمعتها عنه ، ولم يكن في مظهر فخامته ما يدل على ما يضطرب في قرارة نفسه ، لقد كان هادئاً رزيناً ، جميل الاستقبال ، رائق المظهر ، مهيب الطلعة ، لا يتحدث الا غراراً ، وما ينفك يودع زائرا ويستقبل مقبلا ، ولكن مظهره كان يدل على عظمة نفسه ، وملامح وجهه كانت تخبرك اليقين من انك امام شخص لا كغيره من الرجال .

يقول الذين خبروه وعرفوه ، انه كبير الهمة ، عظيم الارادة ، افنى

الى العراق بكثير من الخدمات ، وساهم في بناء العربية فاحسن كل الاحسان ولولا استفاضة الخبر عن وطنيته ، وثقة العراقيين من الذين اجتمعت اليهم بحسن رأيه وجميل اخلاصه، وناصع تاريخه وبياض اعماله ، لما تعرضت لفخامته ولا افضت في التحدث عنه ، وانا لم اجتمع اليه الا دقائق معدودات ، ولم آخذ باطراف الحديث معه في كثير ولا قليل ...

ولكن من واجب الذين يؤرخون للعراق الجديد ، ان يتحدثوا عن الاخلاص اين وجوده ، وان يعرضوا للتضحيات ايان كانت ، فليتقبل مني فخامته هذه الكلمة عن غير معرفة ، وليذكر فيما يذكره ، ان شباب العرب يقدرون اخلاصه ، ويؤمنون بتضحياته، وان كانوا لا يعرفونه ولا اتصلوا به ولا جلسوا اليه ..

[ناجي باشا السويدي]

واما ناجي باشا السويدي احد رؤساء الوزارات السابقين فقد اخذت باطراف الحديث معه ، فضربنا في كل فن ، ونفذنا الى كل خبر ، وهو في الواقع عالم مثقف ، وسياسي ماهر ، لفاف دوار في حديثه السياسي ، يضرب في كل علم ، ويأخذ معك بمختلف الاحاديث ، وكثيراً ما كان يرسل في حواره نفساً طويلاحاراًتعلم معه ان للباشارأياخاصاً في كل ما يتحدث به ، او يبسط وجوه القول فيه ، ولكنه الى ذلك مؤمن بعروبته ، لا يتعصب لرأيه ، ولا يتحرج في الاعتراف بفضل المخلص ، وجميل العامل ، فلايرى كبير امر مثلا في تقدير زملائه من الوزراء من سابقين وحاضرين ، ولا يجد مشقة في الاعتذار لهم ، والاعتراف بجميلهم

[عبد العزيز بك القصاب]

بقية السلف الصالح كرماً ومحتداً واخلاصاً ووطنية وتضحية ، فان جهلته بعد ذلك فانت ساري الليل يجهل الكوكب طالعاً ، وسارب النهار لا يرى الضوء ساطعاً ، حياة حافلة بالمجد والترفع والاباء والنزاهة ، ما يذكر العراقيون له تقصيراً ، ولا عرفوا فيه ضعفاً في اخلاص ، او تساهلا في مصلحة عامة ، يهتدي بهدي الرسول في اعماله ، ويترسم خطوات الخلفاء الراشدين في اقواله وافعاله ، وهو الى ذلك فريد في هذه الناحية بل امثله من خير من القيت اليهم مقاليد الاحكام في ماضيات الايام وسيكون على ما اعتقد والى وقت طويل من خيرهم في مقبلات الايام .

نفس وادعة وعقل راجح ، واخلاص لا نهاية له ، فان جلست اليه فكأنك تجلس الى احد اصحاب محمد ، طهارة قلب ، وورع ، ودين واحسان وخوف من الله ، ومن خاف ربه ، سلك طريقه ، ومن سلك طريق الله ، فقد فاز

...

[محمود بك صبحي الدفتري]

فاذا انتهيت الى سعادة محمود بك صبحي الدفتري امين العاصمة سابقاً فنحن امام « عنبر » من الاخبار ، و « جمرك » من الأنباء ، وتاريخ حافل بالحوادث ، وصلاة موفورة مع كل الاشخاص الذين ساهموا في العراق الحاضر ، ناقد لا يخطىء سهمه الا قليلاً ، بارع في تصوير الشخصيات ، يهمه ان يكون العراق في خفض ودعة ، ورفاهة وعز ، لا يبتأس ولا ييأس ، يعترف للسابق

بسبقه ويوجه اليه من الانتقاد ما هو اهله، متحرج في ارائه ، لا يعرف المداراة والاعتدال ، فان اعتقد امراً امضاه الى غايتـــه ، فاما ان يفوز بغرضه ، او يترك مركزه لغيره ٠٠ وكذلك فعل ، وسيفعل دائماً وابداً ٠٠٠

٠٠٠

[الحاج رايح العطية]

طيب القلب ، صادق الود ، بادي الاخلاص، باسم الوجه ، حسن الرفد يقصده اصحابه للشدائد ، فيحسن الخدمة ، ولا يطلب جزءاً ولا شكورا

عرفته في بحمدون من مصايف لبنان ، فكان من اجمل الصور العراقية وكان من امتع الوان الدعاية ، ينتظم في مجلسه ، شباب من مشارف الشام ، وشبـاب من وادي النيل ، واخرون من الارض المقدسة، فيحسن استقبالهم ويجيد في حديثه معهم ، ويتبسط في رفده ، فلا ينفضون من حوله الا وقد ارضاهم واعجبهم ، وحبب العراق اليهم ، وجعله قطعة من قلوبهم

وكذلك هو النائب الحـاج رايح العطية ، الكريم النبيل ، الجميل الصفات ، الطيب الاعراق ٠

٠٠٠

[بهجة بك زينل]

كان من عاة الاستاذ بهجت بك زينل نقيب المحامين ان يجلس الي في الفندق ، ليستمع الي حديثي عن العراق وكان في الواقع من احسن النـاس استماعاً لحديث، وهي صفة لازمة للمحامي البارع ، والقاضي اللامع ،وكنت اتبسط معه في حواري ، مقدراً ذكائه ، وعظيم ثقافته ، وجميل رأيه ، وبديع

تعليقاته ..

واذا كان قد ارضاه حديثي ، فقد ارضاني بداهة خاطره ، وماتم اراته وجميل اخلاصه ، رغبته الملحه في اذ يجعل مهنة المحاماة في العراق تساوق امثالها عند ارقى الامم ، واعظم الممالك ..

. . .

[الاستاذ حسن جميل]

لو تركته ينجو من بين يدي ، لقضيت عمري عاتباً على نفسي ، مقرعاً ضميري ، ثم مالي لا اتفرغ اليه واسرح النظر في جسمه ، وقد احرجني فأخرجني يوم كنت في بغداد ، لطفاً وعطفاً ورعاية ، ومثله بعد ذلك خليق بالتقدير ، حقيق بالمدح والتقريظ !

واظن بعد هذه المقدمات التي قدمتها والحجج التي ادليت بها والعذر الذي شرحته فيما يتعلق بضرورة هذه الكلمة ، انني استطيع ان احرك كتفي اليمنى ، تنبيهاً لمسجل الحسنات والسيئات بانني قد قضيت الواجب ، ونفضت الوزر ، وسجلت لنفسي حسنة جديدة ارجو ان يضمها الى اخواتها ...

دقيق الجسم متواضع القسمات ، اسمر الوجــه ، بادي الفطنة ، ظاهر الذكاء ، حاضر النكتة ، عذب الحـديث ، مستطيل الجسم حتى ليناطح السحاب طولا ، فترسو رجلاه في التراب ، ويستقر رأسه فوق السحاب

صحبته شهراً واحداً فما وجدت فيه خـلة يتذمم منها خلق كريم ، او يتحايل لها عذر جميل ، او تغضب لها وطنية او تضطرب لها حزبية ...

معتدل في رأيه ، صادق في قوله ، يقوم بواجبه في مديريــة الدعاية

والنشر ، كأحسن ما يكون وافضل ما يكون

ثم هو الى ذلك خير شخصية لتكون صلة الوصل بين العراق والادباء والصحفيين من ابناء العربية ، فما اعرف صحفياً ، انكر من حسين جميل امراً او تكلف عنه نقداً ، لقد كان يرعاهم ويساعدهم في المعلومات التي يريدونها ما استطاع وكان الى ذلك سبيل ، وكان كل منهم يذهب عنه راضياً متلمساً احسن الكلم في الثناء عليه، والاشارة لعطفه وعنايته وتجرده ونزاهته وصدقه واخلاصه ..

. . .

« الدكتور عبد المجيد قصاب »

زينة الشباب ، وزهرة من ازاهير العراق ، تعرفه مشارف الشام وطنياً مخلصاً وعربياً شريفاً ، ويعرفه العراق عاملاً مقداماً ، وعراقياً حراً ، وشاباً عربياً ملء بردته مجد ، له ماض مجيد يفاخر به ويعتز غيره ببعضه

كان لي في بغداد نعم الرفيق، وخير الاصدقاء ، ولولا ذلك لتلطفت في امتداحه الى ابعد حد واقصى ما في طوقي من البيان ، ولكني لا اريد ان تشاركني عواطفي في الكلام عنه، فحسبه مني اني امحضه ما في قلبي من الاخلاص والوفاء والاعتراف بالفضل

. . .

« خليل بك اسماعيل »

ما رأيت ارضى نفساً من خليل بك اسماعيل المدير العام في المعارف ، ولا اكرم خلقاً وارق شمائلا ، وهو من هذه الناحية يساوق معالي وزير المعارف

في هذا الخلق الكريم والنفس الرضية ، والاخلاص العذب الذي يتضوع في مختلف البيئات العلمية فيزيدها اريجاً ومسكاً

زاهد في الحياة ، ما يعرف غير الخدمة العامـــة قبلة ومصلى ، فهو في مكتبه في الوزارة اول القادمين ، وآخر الذاهبين ، وهو في عمله شديد الاخلاص كثير التحرج ، يفضي الى المعارف بكل ما لديه من اخلاص وتضحية وثقافة واعتدال في الرأي واتزان في الاحكام

فانعم به مديراً ، وانعم به موظفاً كبيراً

. . . .

(الدكتور فاضل الجمالي)

شاب ينعم بثقافة وسيعة ، وعلم غزير ، ويتقلد في وزارة المعـارف منصب مدير المفتشين ، فهو والحالة هذه يشرف على التفتيش اشرافاً مباشراً ويعمل ما وسعه العمل ليكون الاصلاح في المعارف امراً منظوراً ، كريم الخلق ، رائع السجايا ، جذاب المعشر ، عذب الحديث ، وهو الى ذلك من شباب العراق المعدودين ، وطنية واخلاصاً وتضحية ونشاطاً واذا كان من الحمق تقرير المرء لثقافته ونبله وجميل صفاته ، وحسن خدمته ، ورائع اخلاصه وتضحياته ، فهو من اخلق الشباب تقديراً ،

والواقع ان وزارة المعـارف العراقية موفقة في معالي وزيرهـا ، موفقة في كبار موظفيها وهو مـا يسر له كل عربي محب للعراق مخلص للعروبة .

. . .

[الشيخ معمر]

وانه لمن الحق بعد هـذا ان اذكر بالشكر، النبيل الاعراق الكريم المفضال الشيخ معمر مفوض صاحب الجلالة السعودية في بغداد، فانه في الواقع وفي اعتراف الجميع من اكثر عمال صاحب الجلالة اخلاصاً ووطنية وبعد سياسة ومهارة دبلوماسية ، وقد اصبحت المفوضية السعودية في عهده عاملا فعالا في توطيد الحلف العربي وتغذيته وتقويته ، ومن حق العرب في مختلف اقطارهم ان يسجلوا الفضل لاهله ، ويغدقوا الشكر لصاحبه ، فالى سعادته اخلاصي وتقديري واكباري واجلالي لشخصه المحبوب . .

. . .

والواقع اني كنت اود ان اتبسط في هذا الفصل، ابحث فيه كل الاصدقاء الذين تحدثت اليهم واتصلت بهم ، طيلة اقامتي في بغداد ، ولكني اعتذر الى كل من تفضل بالعطف علي ، فقد اشرف كتابي الى نهايته ، وسأعود لتفصيل ما اجملت في كتاب جديد يكون عنوانه « رجالات العراق » اتناول فيه شخصيات العراق في السياسة والادب والشعر ، والاجتماع والعلم والتجارة بكثير من التبسط والتفصيل ، بحيث يكون شاملا جامعاً لحديث هذه الجدة العراقية ، التي اخذت تفرض نفسها في صدر الوجود . . .

اما اخواني السوريين الشباب الذين رفعوا اسم سوريا عاليـا في القطر الشقيق فاني لا استطيع ان اختم فصلي هذا دون الاشارة الى فضلهم عليّ ، وعطفهم على شخصي ، واخص بالذكر الوجيه الكريم والوطني العربي حسن بك المخزومي الذي ما يبرح في كل زيارة الى سوريا ولبنان يحبب العراق الى ابناء

عمه ، ويشيد بذكر اخلاص القائمين بالحكم ورغبتهم في العمل والاحسان ، وهو الى ذلك يقوم في العراق بمختلف المشاريع النافعة العمرانية تعزيزاً للقطر الشقيق وسعيا وراء ازدهاره وعمرانه .

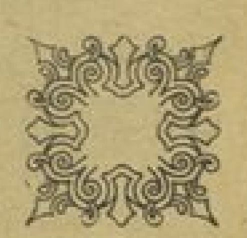
واختم الفصل بالثناء المستطاب على الشباب المجددين والعاملين المخلصين اصحاب معامل طباره وعبود للسكاير في بغداد ، الذين تبرعوا بسبعمائة وخمسين دينارا لسلاح الطيران العراقي ، فكان لعملهم هذا رنة فرح وسرور عظيمين في سوريا ولبنان ومختلف الاقطار العربية ، لان مثل هذا البذل يستحق الثناء ويستحق كل التقدير والاعجاب ...

واخص بالذكر منهم السيد بهيج طباره الذي يعد احسن قنصل لسوريا ولبنان في العراق ، والذي يقوم في القطر الشقيق بوظيفة القنصل حقاً في خدمته للسوريين واللبنانيين ورفع اسم بلادنا عالياً شريفاً



— ٢٦ —

الدنيا الجديدة !



جلوت فيما سلف من فصول كثيراً من اخبار هذه « الدنيا الجديدة » التي يريد رجالات الانقلاب العراقي الاخير ، ان يسووها للناس في العراق امراً واقعاً وشيئاً مقضياً ، وتبسطت ما كان الى ذلك سبيل في وصفها ، والمعت الى اغراضها وعظيم خطرها ، ونفذت الى كثير من مظاهرها ، وفي مرجوي ان اكون قد وفقت في عملي هذا لان اقضي اماني ان يسير كتابي هذا بين الناس صادقاً في اخباره ، معتدلاً في احكامه وان يتقبله جمهرة القراء بقبول حسن ، فيحسنوا الانتفاع بمعلوماته ويتكلفوا قراءته وتفهم نزعاته

ولست اكتم القارىء انني في تعليقاتي المختلفة على الوقائع والحوادث والشخصيات ذهبت الى ترجيح المصلحة العامة وتقديمها ، ونفذت الى لباب الموضوع واثره ومصايره ، فان اخطأت في بعض احكامي ، فخطأ غير مقصود ، والكمال امر ليس في الطاقة ولا في الامكان . واظن بعد هذا ، انني عرضت في كثير من التبسط والتفصيل للانشاآت العمرانية التي يحاول رجال الانقلاب من اعضاء

الوزارة اقرارها في السنة الحاضرة والتي تلي ، ويسرني ان اقول انهم قد بدأوا فعلاً في انفاذ كثير منها ، فقد زيدت مخصصات المعارف زيادة عظيمة كما قدمنا ، واشرنا الى ذلك في الفصل الخاص بالمعارف ، كما الفت الحكومة لجنة عامة لدرس المشروعات العمرانية التي يحتاج اليها العراق ، وجاءت ايضاً بجبير لحفر الابار الارتوازية ، وستعهد اليه بحفر الابار في المناطق الصحراوية بحيث تتوفر المياه للبدو فيكون ذلك مقدمة لتحضيرهم وجعلهم عنصراً فعالاً من عناصر الانتاج والعمران

وتدور المفاوضات الان بين الحكومة واحدى الشركات لرصف طرق العراق وطولها خمسة الاف كيلو متر ، كما شرعت في انشاء سكة حديد بغداد — الموصل — تل كوجك — وقد بدأ العمل فعلا في هذه الناحية ، وتقدر نفقات المشروع بمليون وسبعماية الف دينار

ولما كانت الاموال اللازمة لهذا المشروع غير متوفرة في الخزينة وكانت الحكومة في حاجة الى مليون ديناراً اخرى لتنفيذ مشروعات الري وغيرها من المشروعات العمرانية التي شرعت بها فقد فكرت في عقد قرض بثلاثة ملايين دينار لمدة ٢٥ سنة بفائدة ٣ بالمئة ، وليس يخامر اولي الامر شك في انهم سيدفعون مال هذا القرض من صافي دخل هذه السكة ، فالموصل من اعظم الاقطار الزراعية وهو يصدر سنوياً مالا يقل عن ١٥٠ الف طن من القمح و ٤٠ — ٥٠ الف طن من الشعير وهذا عدا الحاصلات الاخرى

على ان احدى الشركات قد عرضت على الحكومة سلفة بمليوني جنيه مقابل السماح لها باستخراج النفط من لواء البصره على ان يخصم هذا المبلغ من الضريبة التي تستحق للحكومة في المستقبل ولا يزال المشروعان تحت الدرس

وكذلك وسعت الحكومة نطاق المدرسة الحربية وادخلت فيها لهذا العام مئات الطلاب لتخرجهم ضباطاً يخدمون في الوحدات العسكرية الجديدة التي شرعوا في انشائها لتوسيع نطاق الجيش ، ووسعوا نطاق « تشكيلات » الشرطة وزادوا عدد رجالها ، ومما يسر ان الثوار الذين كانوا يقاتلون الجيش في السنة الماضية قد انضموا الى صفوفه والى صفوف الشرطة وهنالك عدد كبير منهم يعمل في مشروعات الري التي شرع في تنفيذها بلواء الديوانية حيث كثرت الاضطرابات في السنين الاخيرة

واما المؤسسات الصحية فان العناية بها تقوم على قدم وساق ، ونضرب مثلا لذلك ان عدد الشواغر سنة ١٩٣٦ في وظائف الاطباء بلغ ٣٣ مركزاً مما اضطر اولي الامر لاخذ خمسة عشر طبيباً من المستشفى الملكي وارسالهم الى خارج العاصمة ، لسد نصف هذه الشواغر التي كانت امراً واقعاً ، وقد تمكنت الحكومة هذه السنة من املاء كل هذه الشواغر بواسطة الاطباء الذين جلبتهم من مصر وسوريا ، فاعادت الخمسة عشر طبيباً الى المستشفى الملكي في بغداد ، علاوة على الاساتذة الذين اتفقت معهم للتدريس والتعليم ، كما فتحت كلية الصيدلية ومدرسة القابلات ، وقد تم في اواخر عام ١٩٣٤ فتح ٨٠ مستوصفاً جديداً فبلغ عدد المستوصفات ٢٥٠ ، كما انشأت الحكومة خمسة مستشفيات جديدة فاصبح لديها ٤٣ مستشفياً ، وزادتها ووسعتها حتى بلغ عدد الاسرة فيها (٢٣٣٠) وانشأت كذلك سبعة مستوصفات مسائية جديدة ، و ٢٢ مركزاً لتوزيع الحليب في كافة انحاء العراق على الفقراء ، واصلحت الباخرتان الصحيتان في البصرة وجعلتها جاهزتين لتكونا مستوصفين نهريين . واول ما يلفت النظر في العراق اليوم هو عدم وجود الاطباء والدجالين وعدم خلو

مركز او ناحية من مستوصف حكومي، وستتمكن مديرية الاسعاف العام في السنة الحاضرة، وبواسطة الزيادة التي اضافتها الحكومة على موازنتها من تأمين الاسعافات الصحية اللازمة في بقية القرى التي لم تنل نصيبها الكافي من هذه المؤسسات الصحية

وهناك تحسينات عظيمة قررتها الحكومة في مديرية الصحة العامة لا مجال لذكرها الان، وانما نقول ان العراق يستطيع في سنة ١٩٣٨ على الاكثر ان يكتفي نفسه ويحصل على حاجته من الاطباء الذين تخرجهم كلية الطب العراقية في كل عام، بحيث يصبح عدد الاطباء كافياً لحاجات العراق ونموه المطرد ...

وقد صرح فخامة رئيس الوزارة في حديث له مع احد الصحفيين في بغداد برغبة الحكومة في الاستفادة من الثقافة المصرية ما كان الى ذلك سبيل فقال:

« سيولي العراق وجهه شطر مصر ويستعين برجالها في كثير مما تدعو الحاجة الى الاستعانة به من رجال فن وخبرة ويسرني ان انوه بالخدمات الجلى التي اداها ويؤديها الاساتذة المصريون للتعليم بالعراق وارجو ان يزداد التعاون العلمي والثقافي بيننا وبينها قوة ونمواً في المستقبل

« ولن نقتصر على الاستعانة برجال مصر في الميدان العلمي والثقافي والطبي بل قررنا استقدام خبير للاوقاف، وتدور مفاوضات بيننا وبين الحكومة المصرية لاستقدام مهندس كبير لتنظيم الري واصلاحه على ان له حق اختيار مساعديه المصريين، وهكذا ترون اننا نوسع دائرة التعاون بيننا وبين مصر الشقيقة تدريجياً حتى تشمل معظم المرافق ونفضل الاخوان المصريين على

غيرهم في كل عمل مما تقتضي المصلحة ان نستعين به بغير العراقيين »

ولما سأله الصحفي عما اذا كانت حكومته تفكر في انشاء سكة حديد بغداد — حيفا لوصل العراق بالبحر المتوسط قال :

« نحن نكتفي الان بسكة حديد الموصل ، التي تربطنا بسكك حديد سوريا ، ويعمل الترك على وصل خطوطهم الحديدية بخطوطنا من جهة نصيبين وبذلك نتصل بالبحر المتوسط عن طريق سوريا ، وتركيا ، وختم بخاتمته حديثه مع الصحفي فتطرق الى سياسة العراق الخارجية فقال : «ان للعراق ثلاث سياسات : عربية وشرقية واوربية . فاما ما يختص منها بالسياسة العربية فنحن نتبع الخطط والاساليب القديمة وقد سرنا فيها خطوات الى الامام وتجاوزنا كثيراً الحدود التي بلغتها الوزارات السابقة،وكان آخر ما عملناه اننا ارسلنا وفداً الى اليمن لزيارة جلالة الامام يحيي ومفاوضته فيما يتعلق بتنظيم العلاقات الخارجية بيننا

«وابواب مدارسنا ومعاهدنا مفتوحة للطلاب اليمانيين ولدينا منهم الآن ٣٢ طالباً يتلقون العلم في مدارسنا وننفق عليهم . وانا لنرجو ان يزداد عددهم تدريجاً ونحن نرحب بكل قادم ، وابواب مدارسنا مفتوحة لجميع ابناء البلاد العربية على السواء.

« اما في قضية فلسطين فموقفنا صريح واضح فقد عطفنا على فلسطين وساعدناها ولا نزال نعطف عليها لاعتقادنا انها مظلومة ولان عدم حل قضيتها يؤثر في سلم الشرق العربي . ولا تزال المحادثات مستمرة بيننا وبين حلفائنا الانكليز في هذا الشأن ونحن نلح بضرورة حل هذه المشكلة باسرع ما يكون وعلى منوال يرضي العرب خدمة لقضية السلم ، وصلاتنا مع الدولة السعودية على افضل

ما يرام .

«هذا ما يخص سياستنا العربية العامة اما سياستنا الشرقية فتقوم على الاحتفاظ بما هنالك من صلات ودية بيننا وبين جيراننا الترك والايرانيين والافغانيين وقد قطعنا شوطاً في هذا السبيل

وصلاتنا مع حليفتنا بريطانيا على افضل ما يكون من الصفاء والمودة ونحن ننفذ احكام المعاهدات بامانة ودقة »

. . .

وبذلك نرى ان سياسة رجال الانقلاب في العراق هي سياسة عملية منتجة وان الحكومة الحاضرة قد اخذت تعنى بمختلف المرافق العراقية والسياسية في العراق ، عناية عملية ، سيكون من نتائجها رفع المستوى العلمي والثقافي والصحي ومختلف وسائل الرخاء والرفاهية ، بحيث يخلق العراق خلقاً جديداً ، ويأخذ نصيبه من الحضارة الحاضرة ، ويحتل مركزه بين الدول المتمدينة كاحسن ما يكون ، وارفع ما يكون . . .

ونظن بعد هذا ان ما بسطناه في كتابنا هذا من الوان الاحسان في العراق ، يصح ان يكون مناراً لرجالات العرب في البلاد العربية الاخرى ، لتأخذ الشعوب العربية جميعها باسباب النهوض والاستقرار ، معيدة ماضياتها الماتعة ، وحضاراتها المجيدة ، مستقرة في مركزها اللائق بها بين الدول الراقية . .

. . .

ومما تجب الاشارة اليه قبل ختام هذا الفصل ، هو ضرورة تأييد البلاد العربية جميعها للجهود الصادقة التي يقوم بها رجال الانقلاب في العراق لتعزيز

القطر الشقيق وما ينصرفون اليه من تعزيز الجيش، وانفاذ المشاريع العمرانية المختلفة ، لان تقدم العراق وازدهاره ، تقدم لكل عربي وتأييد لقضيته وتعضيد لجهوده ، ونحن بعد ذلك احوج ما نكون الى الاعتراف للمحسن باحسانه ، وتقدير المخلص وفاقاً لاخلاصه ، لان المصلحة العامة يجب ان تكون قبلة ومصلى لكل امة ناهضة تريد ان تأخذ مكانها في صدور الوجود . ونختم كتابنا هذا متقدمين الى رجالات الانقلاب ، وقواد الجيش وافراده ، بشكر شباب العربية وتقديرهم لهذه الجهود الجبارة التي يقومون بها في العراق الشقيق مؤكدين لهم اخلاص شباب العرب ، وتأييدهم حتى يصلوا بالعراق والعربية الى حيث الحياة الحرة المستقلة ، لاننا نأبى ان نكون بعد اليوم عبداناً مستضعفين !



فهرس الكتاب

للمؤلف

الكتب المطبوعة

١ — محمد النبي العربي
٢ — محمد بن عبدالله واقوال المستشرقين في نبوته والاسلام
٣ — ماذا يجب ان تعرف عن محمد والاسلام
٤ — ابو بكر الصديق
٥ — عمر بن الخطاب
٦ — عثمان بن عفان
٧ — علي بن ابي طالب
٨ — الحسين بن علي
٩ — فاطمة بنت محمد
١٠ — خالد بن الوليد
١١ — معاوية بن ابي سفيان
١٢ — يزيد بن معاوية
١٣ — هارون الرشيد
١٤ — تيمورلنك
١٥ — فيصل الاول
١٦ — الامير عبد الكريم
١٧ — سيد الجزيرة العربية ابن السعود
١٧ — كفاح هتلر
١٨ — هتلر المرعب
١٩ — البحث عن الله
٢٠ — العراق الجديد (١)
٢١ — جهاد فلسطين العربية (٢)
٢٢ — تاريخ سوريا ولبنان منذ فجر التاريخ الى اول القرن التاسع عشر
٢٣ — تاريخ سوريا ولبنان في القرن التاسع عشر
٢٤ — دولة الادب والبيان
٢٥ — رجال الجمهورية في لبنان
٢٦ — حسن : قصة عربية
٢٧—٣٠ مجموعات البوليس الروائية

---

[١] جميع هذه الكتب طبعت على نفقة المكتبة الاهلية — بيروت
[٢] بالاشتراك مع المحاميين الفلسطينيين ابراهيم نجم وامين عقل

اصلاح خطأ

وقعت في الكتاب اخطاء مطبعية لا تخفى على القارىء ، وقد رأينا الاشارة الى بعضها ، ليسهل اصلاحها في مكانها قبل قراءة الكتاب :

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٤	١٤	ضمر	ذمر
٣٩	١٣	انهاما	انهما
٤١	٥	فيه	ته
٤٧	٦	ان	اني
٥٥	١٢	طلبة	طبقة
٦٣	٦	وذو	وذوو
٧٧	٥	الاسراع	الامراع
٧٧	١٤	استقر	استشعر
١١٠	١٤	التي يسير	يسير

سلسلة مطبوعات [الاهلية]

في سنة ١٩٣٧ | تأليف الاستاذ عمر ابو النصر

= ١ =

الحجاج بن يوسف

= ٢ =

موسى وطارق

= ٣ =

هشام بن عبد الملك

= ٤ =

انهيار امية